وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية ما بين القرنين (11-12هـ/17-18م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب:

عبد الحميد مكشتي

إشراف:

أ.د/ صالح بوسليم

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. أحمد جعفري	أستاذ محاضر "أ"	غرداية	رئيسا
أ.د. صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	غرداية	مشرفا ومقررًا
د. عمر بن قايد	أستاذ محاضرة "أ"	غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1441-1442هـ/ 2020-2021م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية ما بين القرنين (11-12هـ/17-18م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالب:

عبد الحميد مكشتي

إشراف:

أ.د/ صالح بوسليم

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. أحمد جعفري	أستاذ محاضر "أ"	غرداية	رئيسا
أ.د. صالح بوسليم	أستاذ التعليم العالي	غرداية	مشرفا ومقررًا
د. عمر بن قايد	أستاذ محاضرة "أ"	غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي:

1442-1441هـ/ 2021-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

" أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"

سورة الأنبياء الآية 30

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع:

إلى من علمني أن الدنيا كفاح، وسلاحها العلم والمعرفة

إلى من سعى لأجل راحتي ونجاحي

إلى من أفتخر بارتباط إسمي به "أبي الغالي" رحمه الله

إلى من ساندتني في صلاتها ودعائها، إلى من سهرت الليالي تنير دربي

إلى نبع العطف والحنان إلى أجمل إبتسامة في الحياة

إلى "أمي" أطال الله في عمرها

إلى العائلة صغيرها وكبيرها

إلى كل من ساندني في انجاز هذا العمل

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

إلى كل من استغرب في العنوان ولم يقرأ المضمون

شكر وعرفان

"وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبرحمته تتنزل البركات، وبذكره تطمئن القلوب، وبرحمته تغفر الذنوب، والصلاة والسلام على المنارة المهداة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد عليه أفضل الصلاة، وأزكى التسليم.

وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

أتقدم بالشكر الخاص والجزيل للأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور "صالح بوسليم حفظه الله"

على جهوده المبذولة ونصائحه القيمة

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلِ أساتذتي في قسم التاريخ كل بإسمه وبجميل وسمه وخاصة أساتذة المغرب العربي الحديث بجامعة غارداية

قائمة المختصرات:

1. باللغة العربية:

تق وتح: تقديم وتحقيق

در وتح: دراسة وتحقيق

تع: تعريب

تر: ترجمة

ط: الطبعة

ع: العدد

ج: الجزء

مج: مجلد

ص: صفحة

ص ص: صفحات متتالية

ص–ص: ما بين الصفحات

هـ: هجري

م: ميلادي

د ب: دون بلد

د ت: دون تاريخ

د م: دون معلومات

2. باللغة الفرنسية:

P:**Page**.

P.P : **Pages Successives**

T : **Tome**

S.I : **Sans informations**

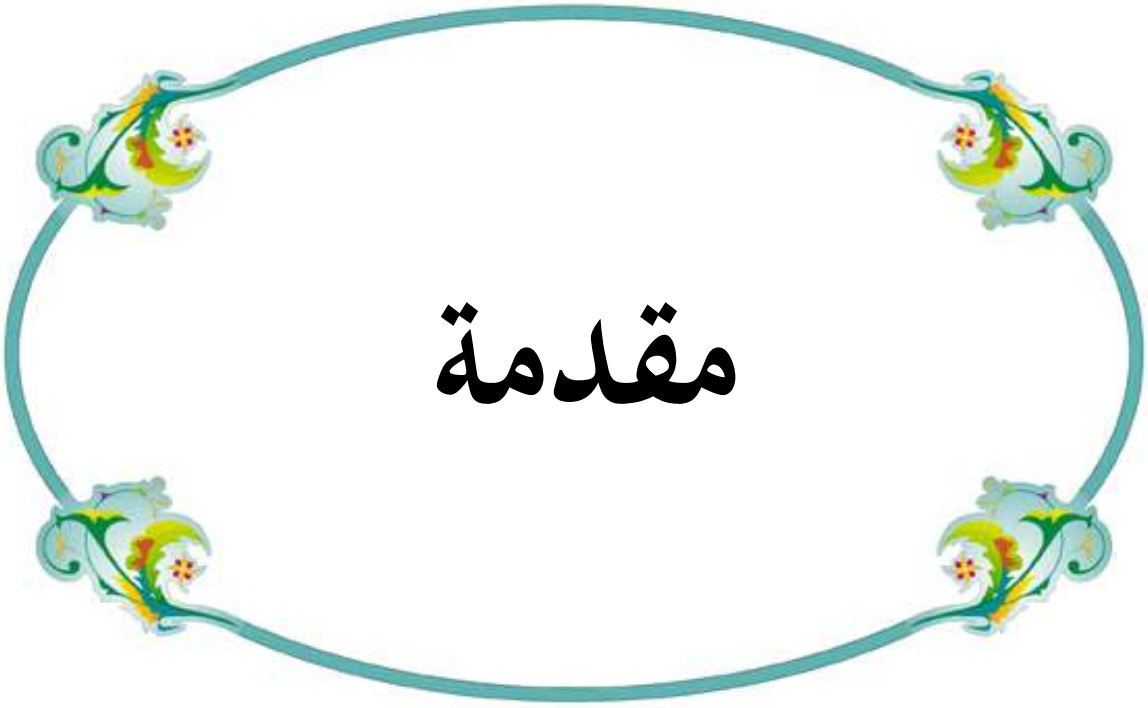

مقدمة

يعد أدب الرحلة أحد مصادر الكتابة التاريخية نظير ما يحتويه من وصف دقيق لتفاصيل كل ما يكتبه الرحالة عن البلاد التي يحل بها، وقد حظيت الصحراء الجزائرية في الفترة الحديثة بالعديد من الكتابات الخاصة الرحلات الحجازية، والتي تغير عرف مسارها تغيرا جذريا في الفترة الحديثة بعد أن كانت في الغالب بحرًا حتى أصبحت برًا نظرًا لتوسع القرصنة البحرية، ويعتبر الماء احد الركائز الأساسية المحددة لمسار تلك الرحلات، وبالعودة لكتب الرحلة الحجازية فقد خلفت لنا الأخيرة رصيدًا ثريا من المعلومات عن الصحراء الجزائرية في شتى المجالات، سواءً عما سمعوه من أشخاص عن طريق الرواية الشفوية أو ما رأوه وما كتبوه عنها.

شهد القرنين (11-12هـ/17-18م) العديد من الرحلات الحجازية التي مرت في طريقها عبر الصحراء الجزائرية، ونظرً لارتباط المصطلحات الثلاثة "الصحراء، الماء، الرحلة" ارتباطا وثيقا لضرورة الملحة للماء في الصحراء وارتباط الرحلة بأماكن تواجد الماء في تحديد مسارها خاصة إذا كانت الرحلة تمر بالصحراء، كان عنوان مذكرتي "**الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية ما بين القرنين (12-11هـ/17-18م)**"

حدود الدراسة:

الإطار الزماني:

تنحصر حدود دراستي زمنيا في الفترة ما بين القرنين (12-11هـ/17-18م)، حيث يمثّل التاريخ نشاط الرحلات الحجازية المغاربية عن طريق البر بعد أن كانت اغلب الرحلات بحرا الحجازية بحرا، وهذا بعد نشاط القرصنة في حوض البحر الأبيض المتوسط، وكثرة المصادر المدونة والمتاحة عن هذه الفترة.

الإطار المكاني:

يتناول مجال الدراسة الصحراء الجزائرية، من خلال ذكر أهم المسالك التي مرت عبرها القوافل الحجية، واهم مصادر ومعاطن تواجد الماء بالصحراء الجزائرية من أودية وآبار وعيون، وذكر ابرز الحواضر والمراكز المتواجدة بالصحراء الجزائرية والتي قدم الرحالة وصفا لها عامة، ولمياهها خاصة.

أهمية الدراسة:

يعدّ موضوع الدراسة في غاية الأهميّة، لكون الماء أساس الحياة لا يُستغنى عنه في كل مجالات الحياة وتكمن أهمية الدراسة في عدة نقاط أبرزها:

- إبراز أهمية كتب الرحلات في كتابة تاريخ الصحراء الجزائرية خاصة في الفترة الحديثة.
- إماطة اللثام عن مناطق الصحراء الجزائرية التي أخذت عنها صورة سوداء (مجهولة، مأهولة، جرداء، موحشة، قاحلة).
- إبراز تنوع الحياة في الصحراء الجزائرية من خلال ما دونه الرحالة.
- إعطاء وصف شامل لتضاريس الصحراء الجزائرية رغم شساعتها.
- ذكر المسالك والطرق بالصحراء الجزائرية و معاطن تواجد الماء

إشكالية الدراسة:

كيف أرخت كتب الرحلات الحجازية لعنصر الماء في الصحراء الجزائرية ما بين القرنين (11-12هـ/17-18م)؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي حاولت الإجابة عنها في متن البحث.

- ما هي أهم مسالك الرحلات بالصحراء الجزائرية؟
- فيم تمثّلت مصادر المياه بالصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية؟
- ما هو دور الماء في الرحلات الحجازية؟
- ما هي ابرز الحواضر والمراكز بالصحراء الجزائرية؟ وكيف وصف الرحالة الماء بها؟
- ما هي مظاهر تأثير الماء في الصحراء الجزائرية؟
- ما مضمون أبرز النوازل الفقهية المتعلقة بالماء من خلال ما ذكر في كتب الرحلات الحجازية؟

خطة الدراسة:

لم يكن من السهل وضع خطة جامعة مانعة لكل عناصر البحث إلاّ أنّه بعد تمحيصي المادة العلمية استقر رأيي على خطة رأيتها الأنسب، استهليتها بمقدمة وفق ما تتطلبه المنهجية العلمية، وقسمت الدراسة إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول :

تطرقت في الفصل التمهيدي إلى التعريف بالموضوع وقسمته إلى ثلاثة مباحث، عرفت الأول جغرافية الصحراء الجزائرية، والثاني الماء وأهميته، والمبحث الثالث والأخير ماهية الرحلة

وانتقلت إلى الفصل الأول وتطرقت فيه إلى الماء في الرحلات الحجازية، أدرجت فيه ثلاثة مباحث ذكرت في أولها مسالك الرحلات بالصحراء الجزائرية وفي الثاني مصادر الماء بالصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية وفي الثالث دور الماء في الرحلات.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه الماء والحواضر الصحراوية الجزائرية ، والذي قسّمته إلى مبحثين، فكان الأول معنونا بأهم الحواضر والمراكز بالطريق العرضاني الأوسط، والثاني معنونا بأهم الحواضر والمراكز بالطريق الجنوبي الصحراوي.

وتطرقت في الفصل الثالث إلى مظاهر تأثير الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الجزائرية، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، فكان الأول موسوما بعنوان تأثير الماء في الزراعة، والثاني تأثير الماء في الحياة العامة بالصحراء الجزائرية، والثالث نوازل فقهية متعلقة بالماء من خلال الرحلات الحجازية

وختمت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج، وأتبعتها بقائمة المصادر والمراجع ومجموعة من الملاحق المشار إليها في المتن، والفهارس وأدرجت في الأخير ملخصا للبحث.

المنهج المتبع:

لمعالجة هذا الموضوع اعتمدت المنهج التاريخي الوصفي، القائم على وصف المناطق التي ذكرتها كتب الرحلات ، والمنهج التحليلي من خلال استقصاء وتحليل ما ورد من نصوص في كتب الرحلات الحجازية عن الصحراء الجزائرية .

دوافع اختيار الموضوع:

هناك دوافع كثيرة حفزتني على اختيار هذا الموضوع منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي.

الدوافع الذاتية:

- ميلي ورغبتي الشديدة في الغوص في ثنايا هذا الموضوع والبحث في التاريخ المحلي .
- اختياري للقرنين (12-11هـ/17-18م) كونهما شهدا حركة واسعة للقوافل الحجية البرية
- محاولة جمع أهم ما ذكره الرحالة وخاصة في الجانب الجغرافي للصحراء الجزائرية في دراسة أكاديمية.
- شغفي بالبحث والمغامرة في المواضيع النادرة الدراسة والبحث في أدق التفاصيل.

- رغبتي في استغلال كتب الرحلات ورد الإعتبار لها كونها مصدرا تتميز بصدق سرد الأحداث في أغلبها.
- الإبتعاد عن الدراسات العامة ورغبتي في التعمق في الدراسات المتخصصة.

الدوافع الموضوعية:

- إضافة دراسة أكاديمية جديدة وبكر وفتح المجال أمام الطلبة للبحث في الموضوع.
- مواءمة طبيعة الموضوع لتخصص الدراسة، ومستوى الماستر
- محاولة رد الاعتبار لكتب الرحلات وللمصادر المحلية التي كتبت عن الصحراء الجزائرية في الفترة الحديثة
- إبراز أهمية الماء في الصحراء الجزائرية عامة وفي الرحلات خاصة كونه أهم عنصر عبر العصور وبوادر انتقال الصراع حوله في المستقبل.
- عدم وجود دراسة سابقة واضحة لنفس الموضوع في الصحراء الجزائرية وخاصة الفترة الحديثة.

الدراسات السابقة:

رغم حداثة الموضوع إلا انها كانت هناك بعض الدراسات تتقاطع الموضوع في بعض الجزئيات أذكر منها:

. أطروحة دكتوراه للدكتور أحمد بوسعيد الموسومة بعنوان " ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518–1830م (دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية)"، بحيث ذكر فيها الركب ومكوناته وعلاقة السلطة العثمانية بالركب الجزائري، ولقد استفدت من هذه الدراسة كثيرا خاصة فيما يتعلق بمسالك الرحلات بالصحراء الجزائرية ، إذْ وظفت المعلومات المستقاة منها في المبحث الأول من الفصل الأول.

. مذكرة ماستر للطالب دحو عامر المعنوّنة ب "الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين 11–12هـ/17–18م" وقد استفدت من بعض ما ورد فيها، خاصة في التعريف بالركب الشنقيطي ومصادر الماء والتعريف ببعض الحواضر وبعض الخرائط.

. مقال للأستاذ قادة الدين في مجلة قضايا تاريخية، الموسوم بعنوان " أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية"، تحدث من خلاله عن معاطن

تواجد الماء بالصحراء الجزائرية بوجه عام، واستفدت من خلاله في عنصر مصادر تواجد الماء بالصحراء الجزائرية.

صعوبات الدراسة: لا يخلو أي عمل من صعوبات ومعيقات، وقد واجهت بعض الصعوبات أثناء البحث في الموضوع أذكر منها:

- واجهت بعض الصعوبة في انتقاء الفكرة من المصادر وصياغتها.
- حداثة الموضوع أخذت مني بعض الوقت في مرحلة قراءة ونقد المصادر.
- صعوبة التوفيق بين الحجم المحدد للمذكرة الذي تقيدني به منهجية البحث مع الكم الهائل من المعلومات مما دفعني للاختصار احتراما لحجم المذكرة.
- ظروف عملي زادت من صعوبة المهمة في التوفيق بين العمل وانجاز المذكرة في الوقت المحدد.
- عدم الوصول إلى جميع الرحلات التي مرت بالصحراء الجزائرية خلال الفترة المراد دراستها.
- قلة مصادر الموضوع في مكتبة الجامعة والمكتبات المحلية مما جعلني أوسع دائرة البحث والتواصل مع بعض أصدقاء الدول المجاورة عبر وسائل التواصل بأنواعها المختلفة للتزود ببعض المعلومات، وهذا ما زاد في إضاعة بعض الوقت أثناء البحث.

كانت هذه بعض الصعوبات الظرفية، والتي حفزتني على البحث للتغلب عليها، وقد تمكّنت بمرور الوقت من تجازوها، كما ساعدتني توجيهات الأستاذ المشرف على إنجاز المذكرة في وقتها المحدد.

نقد المصادر والمراجع:

لا يمكن أنْ تكتمل أي دراسة وتقدم على الوجه المطلوب إلا بالاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع المتخصصة، لذلك قمت بجمع عدد منها، و قد تنوعت مواضيعها، واختلفت مناهج تأليفها، ومن بين المصادر والمراجع التي خدمت الموضوع بصورة مباشرة أذكر:

أ- المصادر المطبوعة: أغلب المصادر التي اعتمدت عليها في موضوعي هي الرحلات الحجازية ومن بينها على سبيل المثال والأهمية لا الحصر:

- **رحلة أبو سالم العياشي** المسماة " **ماء الموائد 1072هـ/1662م**"، في مجلدين والتي تعتبر من أهم الرحلات الحجازية التي اعتمدت عليها في الدراسة وكونها أم الرحلات لأن أغلب الرحلات أخذت عن أبي سالم العياشي خاصة في تحديد الطرق والمسالك.

- **رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري** المسماة **"الرحلة الناصرية الكبرى 1195هـ/1782م"**، والتي استفدت منها كثيرًا من خلال كونها غنية بذكر معاطن الماء وأيضا استفدت منها في نازلة فقهية طرحت على الرحالة.
- **رحلة ابن المليح السراج** المسماة: **"أنس الساري والسارب من أقطار المغارب وإلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب 1040هـ/1630م"**، والتي تعتبر من أهم الرحلات التي سلكت الطريق السفلي بالمسلك الجنوبي الصحراوي ، وذكرت معلومات مهمة عن أهم تضاريس المسلك، خاصة صحراء آزكر باتجاه فزان.
- **رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي (1150هـ-1737م)** المسماة: **"التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه السلام"**، والتي استفدت منها كثيرًا في ذكر التضاريس بالطريق العرضاني الأوسط وفي الجانب الاجتماعي من خلال الصلح بين القبائل في فك النزاع على الماء.

ب- المراجع:

لمعالجة هذا الموضوع اعتمدت على مجموعة من المراجع أذكر أبرزها:

- **كتاب مولاي بالحميسي** المتمثل عنوانه ب **"الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني"** الذي اعتمدت عليه في اتباع مسالك الرحلات المغاربة والتعريف بأغلب الرحالة وما زاد من قيمة هذا المرجع هو احتوائه على خرائط توضح مسالك بعض رحلات المغاربة.
- **كتاب مصطفى الغاشي المعنون ب:" الرحلة المغربية والشرق العثماني (محاولة في بناء الصورة)** " وهو كتاب مهم بالنسبة لي، واستفدت منه كثيرا في أهمية الرحلة، والتعريف بالشخصيات وتاريخ الرحلات.
- **كتاب عبد الهادي التازي المعنون ب:"رحلة الرحلات (مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة)"**، واستفدت منه في التعريف برحلات المغاربة وأهم الرحالة.

كانت هذه أبرز المصادر والمراجع على سبيل المثال، ولا يمكن الإغفال عن المراجع الأخرى والمقالات وغيرها.

الفصل التمهيدي: مفاهيم عامة

المبحث الأول: جغرافية الصحراء الجزائرية

المبحث الثاني: الماء وأهميته

المبحث الثالث: ماهية الرحلة

المبحث الأول: جغرافية الصحراء الجزائرية

أولا: أصل تسمية الصحراء:

يختلف مصطلح الصحراء من لغة إلى أخرى، واختلفت المعاجم في إعطاء مفهوم واضح للصحراء.

معنى كلمة الصحراء في معاجم اللغة العربية: "عند العرب: صحراء مفردة وجمعها صَحْراوات، صَحَارَى، صَحَارٍ، الصَّحَارِي، وهي أرض فضاء واسعة نادرة الماء مرتفعة درجات الحرارة ولا حياة فيها، ويقال صحر الأرض الزراعية، أي بورها وحولها إلى أرض غير صالحة للزراعة وتصحر المكان أي تحول إلى صحراء[1].

وفي المعجم الوسيط الصحراء هي أرض فضاء ذات واسع فقيرة الماء، ويقال أَصْحَرَ القومُ، أي برزوا في الصَّحراء[2]، وفي معجم المعاني الجامع عرفها أنها أرض واسعة فقيرة الماء.

اتفقت أغلب معاجم اللغة العربية في إعطاء مفهوم شامل للصحراء "أرض واسعة لا نبات فيها ولا ماء"، أي في ثلاثة عناصر "الأرض، النبات، الماء".

والصحراء هي مؤنث الصفة وجمعها الصحاري، الصحروات وصحاري، ويقال أصحر أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة، والصحراء في معجم لسان العرب هي تلك الأرض المستوية في لِينٍ وغِلَظ دون القُفِّ، وقيل أنها الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه"[3].

وعرفها ابن شميل "الصحراء من الأرض، مثل الدابة الأجرد ليس بها شجر ولا آكام ولا جبال، ملساء"[4].

---

(1) أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، مج1، القاهرة، مصر، 2008، ص1271.

(2) إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، مصر، 2004، ص508.

(3) أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، مج4، بيروت، لبنان، 1997، ص16.

(4) إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص13.

عند الغربيين:

يقول لاكوست "الصحراء مثل البحر وهي أحد المجموعات الطبيعية الكبرى المتميزة من آلاف السنين في معظم التمثيلات في العالم، ولكن الصحراء هي كذلك كلمة، فكرة تحمل معنى كبير"[1].

ونجد مصطلح الصحراء "Le désert" عند الغربيين مجملا بما جاء في الانجيل وهو ما ذهبت إليه صالیناص "M. Salinas" بقولها عن الغربيين وهم يصلون الصحراء الجزائرية "بالالتقاء بسكان الجنوب يطور المسافر صورتية انجيلية حية تتكئ البنية العامة على وجود حياة البدو والرحل ...." [2].

ومع مرور الوقت تغير معنى مصطلح "désert " الذي كان يشير إلى مكان منعزل، موحش، فضاء واسع وغيرها" على كلمة لها دلالة دينية تحمل معنى روحي أكثر منه مادي مصدرها الانجيل"[3].

واستعمل المصطلح لتوضيح عدة معاني خاصة بعض الكلمات العصرية مثل كلمة TOHU، Le detrnome، Hor bhoh، Ar bhoh[4].

وقال عنها "بوتان" في مشروعه "مساحة المملكة الجزائرية وتقسيمها الإداري" بأن هذه الأخيرة "الصحراء" مازالت مجهولة ما يبلغ طول البلاد حوالي 250 فرسخا[5]، أما عرضها فيختلف من جهة أخرى أي بين 50 إلى 90 فرسخا[6].

---

(1) Lacoste: unité et diversité des désert, S.I, p243.

(2) Michèle Salinas : Voyages et voyageurs en Algérie, 1830-1930,S.I, p322.

(3) رشيد رايس: الصحراء لدى الكتاب الفرنسيين خلال القرن 19، مجلة الآداب، ع7، د ت، ص271.

(4) نفسه: ص274.

(5)الفَرْسَخ من مقاييس المسافة قديمًا. وأصل الكلمة فارسية معربة، حيث 1فرسخ يساوي 4.82 كيلو متر.ينظر: موقع المحول الإلكتروني، https://www.econverter.net، تاريخ الاطلاع يوم 24مارس2021 على الساعة 20 و16 دقيقة.

(6) رشيد بنور: الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782–1830، دار الواحة، الجزائر، د ت، ص40.

ثانيًا: الموقع الجغرافي والفلكي

يمتد الإطار الجغرافي للصحراء الجزائرية ضمن الصحراء الكبرى الإفريقية وهي أحد أكبر صحاري العالم، والتي تمتد من المحيط الأطلسي غربًا إلى البحر الأحمر شرقًا، ومن جبال الأطلس شمالاً إلى بلدان الساحل[1] جنوبًا[2].

ويشترك فيها من الجهة الشمالية كل من المغرب الأقصى والجزائر وتونس ومالي، النيجر وتشاد والسودان من الناحية الجنوبية، وتحديدًا تقع الصحراء الجزائرية ضمن الصحراء الوسطى[3].

تشكل الصحراء الجزائرية القسم الأكبر من مساحة الصحراء الكبرى، وتقدر مساحتها حوالي 1987600كم^2، حيث تحتل هذه المساحة نسبة 90% من مساحة الجزائر[4].

تمتد حدودها ما بين الأطراف الجنوبية للأطلس الصحراوي شمالاً وتونس وليبيا شرقًا، والنيجر وهضبة تادميت غربا، والمغرب الأقصى والصحراء الغربية وموريتانيا ومالي غربًا وجنوبًا[5].

---

[1] بلدان الساحل: هو مصطلح عربي يطلق على بلدان السهل، فترجمت إلى الفرنسية إلى ساحل Sahel، ثم عربت إلى كلمة الساحل يقصدون بها الطرف الجنوبي لصحراء إفريقيا الشمالية يتميز بوجود سهوب دغلة منقطة بأشجار شوكية (أكاسيا) و نجيليات دائمة .ينظر جورج بيار: معجم المصطلحات الجغرافية، تر: محمد الطفيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان، ط2 ،2002م، ص411.

[2] إبراهيم مياسي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934)، دار هومة، الجزائر، 2005، ص19.

[3] سميرة دعاشي: الإهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية ما بين 1850-1945، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف دة فلة موساوي القشاعي، جامعة غرداية، 2014-2015، ص15.

[4] حميدة عمراوي وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص10.

[5] بشيرة قرايفة: رجاء تواوة، البعثات الإستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19م، مذكرة مكملة لمتطلبات الحصول على شهادة الماستر، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عاشوري قمعون، جامعة الشهيد حمه لخضر،الوادي-الجزائر، 2016-2017، ص10.

ويحدد أحمد توفيق المدني في كتابه جغرافيا القطر الجزائري حدود الصحراء الجزائرية ما بين حدود تونس والمغرب جنوب جبال الأطلس الصحراوي، وقد وضعت هذه الحدود سنة 1909م، وهو خط يمتد ما بين من أقصى جنوب طرابلس الغرب إلى جهة وادي "ريو دي اورو" تاركا بلاد الهقار موطن الطوارق الأحرار[1].

والصحراء الجزائرية هي التي تقع بعد جبال "النمامشة، الأوراس، أولاد نايل، الجلفة، جبال العمور، جبال القصور"، وهنا توفيق المدني في كتابه "هذه هي الجزائر" لم يعط حدود دقيقة للصحراء الجزائرية[2].

وعند المستكشفين الغربيين يمكن تحديدها كما حددها "دوماس Doumas"[3] بأنها "تبدأ من الواحات الستة الواقعة جنوب الجزائر من وادي سوف، وادي غير، تماسين، ورقلة شرقا، ميزاب وأولاد سيد الشيخ من الجهة الغربية، وعن المدن الواقعة جنوب تلك التي تربط غدامس بطريق توات والمنيعة[4]، ويحددها "أوغستين Augustine"[5] أن بجنوب الأطلس الجزائري حوضان أساسيان هما

---

(1) أحمد توفيق المدني: جغرافية القُطر الجزائري، مطبعة الشريف، تونس، 1948، ص07.

(2) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د ت، ص17.

(3)دوماس: هو ملشيور جوزيف اوجين دوماس ولد في 1803/07/14 بمدينة دليمونت سويسرا، التحق مبكرا بالعمل العسكري وأرسل إلى افريقيا وعين قنصلا لدى الأمير عبد القادر وتعلم العربية الى حد الإتقان عين في عدة مناصب ، وله عدة مؤلفات خاصة على المجتع الجزائري والصحراء الجزائرية توفي في ماي 1871. ينظر: زاجية هرباش: الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين "دوماس انموذجا"، مجلة عصور الجديدة، ع6، 2012، ص-ص 29-30

(4) Numa Broc : « les Français face à l'inconnue Saharienne (géographes, explorateurs, ingénieurs 1830-1881) », Annales de géographie , T.96, N°.535, 1987, p 306.

(5) أوغستين برنارد: من مواليد 1865م وهو واحد من موظفي غرفة العلوم الجغرافية الذين يهتمون بدراسة الجغرافيا التاريخية حيث اهتم بجغرافية افريقيا وعلى اثر تنظيم جامعة السربون لتعليم الجغرافيا واستعمار شمال افريقيا شغل منصب استاذ لمدة 33 سنة و كتب على جغرافيا الصحراء وغرب افريقيا في مجلدين كبيرين، توفي في 1947/12/29م. ينظر: سميرة دعاشي: مرجع سابق، ص02.

وادي اغرغار من الشرق ووادي زوزفانة والساورة من الغرب ويفصل فيهما هضبات طباشيرية لمنطقة ميزاب والمنيعة وتادميت[1].

ويضيف "غوتيه Goutier" أن الحوض الغربي يمتد من فكيك حتى تيديكلت ويمر عبر قورارة وتوات على طول 800كم[2]، ما وراء تيدكلت هناك كتلة صخرية معقل الطوارق إلى الشرق على طول خط 12° تشكل كل من الأهقار والطاسيلي[3].

من خلال ما ذكره المستكشفين الفرنسيين يظهر اختلاف واضح في حدود الصحراء الجزائرية بين ما ذكره المؤرخين الجزائريين الذي أعطوا وصفًا دقيقا لحدود الصحراء بين الدول المجاورة، على عكس الفرنسيين الذين ذكروا واكتفوا بتحديد المناطق الواقعة داخل الصحراء الجزائرية. وفلكيا تقع الصحراء الجزائرية تقريبا ما بين خطي طول 10° شرقًا و5° غربا، وبين دائرتي عرض 33° و17° شمالاً، حيث تمتد من السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي إلى جنوب أدرار وايفوغاس بمالي وجنوب مرتفعات الاير بالنيجر[4].

ثالثًا: التضاريس والمناخ

1- التضاريس:

اتسمت الصحراء الجزائرية بالتنوع في تضاريسها وهذا لشساعتها والتكوين الجيولوجي لها، حيث يمكن تقسيم تضاريس الصحراء الجزائرية إلى أقسام:

القسم الأول: يقع في الزاوية الشمالية الشرقية، ويتميز بمنخفض تحت مستوى سطح البحر ما يقارب

---

(1) Augustin Bernard : « Sahara Algérien et Sahara Soudanais », Annales de géographie, T.19, N°.105, 1910, p 261.

(2) ينظر الخريطة في الملحق رقم 01، ص132.

(3) سميرة دعاشي: مرجع سابق، ص2

(4) R.Furon : le Sahara (géologie, ressources, minérales, mise en valeur), Payot , Paris , 1957, p21.

24 مترًا، بينما الأراضي المجاورة لا يزيد ارتفاعها عن 200 متر[1]، وتسمى بالصحراء المنخفضة وأول من نعتها بهذا الاسم هو المهندس س.ج رولاند في تقريره العلمي لسنة 1880م. يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب 700كم أما عرضها فهو تقريبا نصف طولها، ارتفاعها منخفض مما يساعد على انتشار الواحات وتوفر المياه الباطنية[2].

- **القسم الثاني:** وهو الذي يغطي الجزء الأكبر من الصحراء ويضم العرق الشرقي الكبير، والعرق الغربي الكبير[3]، وعروق أخرى ثانوية مثل عرق شاش وعرق ايقدي، عرق الراوي وغيرها[4]، ويضم أيضًا ما يعرف بالرق[5].
- **القسم الثالث:** الهضاب الصحراوية الصخرية، ويحتل مناطق وسط الصحراء، أهمها هضبة تادميت التي يبلغ ارتفاعها 536 متر فوق سطح البحر، وحمادة تينرهرت قرب الحدود الليبية، وحمادة الذراع غرب تندوف، وهذا النطاق تكويناته صلبة تغطيها صخور جيرية رملية على شكل صفائح طبقية تسمى الحمادة[6].
- **القسم الرابع:** نطاق المرتفعات المتواجدة بالجنوب الشرقي في منطقة طاسيلي والهقار، أغلب تكوينات الجبال ناتجة عن اضطرابات بركانية، لا تزال فوهاتها بارزة وهي شاهقة الارتفاع

---

(1) إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1918، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص19.

(2) محمد رشدي جراية: الصحراء الجزائرية "دراسة في الجغرافيا"، مجلة البحوث والدراسات، ع14، 2017، ص343.

(3) العرق الشرقي الكبير :العرق هو سطح واسع الأطراف تغطيه كثبان رملية يتراوح ارتفاعها مابين 260و 500م، وتنتشر بكثافة في الشرق حيث العرق الشرقي الممتد من الحدود التونسية حتى المنخفض الذي يفصل بين تادمايت والمنيعة، و لعرق الغربي الكبير: يمتد مابين بني عباس والمنيعة إضافة إلى عرق الشاش وإيقيدي. ينظر محمد الهادي لعروق: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى ،الجزائر، 2009، ص14.

(4) إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص15.

(5) الرق: وهو سهل صخري يغطيه الحصى أو أحواض منخفضة ملأتها السيول الجارفة بالرواسب الصخرية. وهي صالحة للحركة، حيث تشكل مسارات العديد من الطرق الصحراوية. ينظر محمد الهادي لعروق: مرجع سابق، ص 14.

(6) سميرة دعاشي: مرجع سابق، ص05.

يتخللها وادي جرات الذي يعتبر معلمًا أثريا عالميا، وفي منطقة الطاسيلي تقع أعلى قمة في كتلة الاتاكور في تاهات حوالي 2915م وتعتبر أعلى ارتفاع في الجزائر[1].

2- المناخ:

يسود الصحراء الجزائرية مناخ يمتاز بالبساطة والتشابه في مساحاتها الواسعة، حيث تطالع زائرها بقحولتها مما يجعل معركة الحياة مع هذه البيئة عبئا على الإنسان والحيوان، حيث لا تحتاج الحياة إلا في أماكن محدودة ومتناثرة هنا وهناك[2].

تتميز الصحراء الجزائرية بمناخ قاري جاف ذو مدى حراري كبير، تسيطر عليه رياح والعواصف الرملية وندرة في تساقط الأمطار، حيث لا تتجاوز 50ملم سنويا، وارتفاع في درجة الحرارة تصل إلى 50° صيفا وتنخفض في الشتاء، وتصل إلى 70° في العروق الكبرى[3].

يقل تساقط الأمطار وإن صح القول نادرة وقليلا ما تسبب في فيضانات عادة ما تخلف سيلان الأودية وتنبع أغلب الأودية الصحراوية من جبال الأطلس الصحراوي تسرب مياهها إلى الصحراء لتمتصها الرمال وتختفي في الطبقات الطينية لتتجسد على الأرض في شكل واحات[4].

تنعكس هذه الظاهرة على التوزيع العمراني للسكان، حيث نجد أن أغلب الأودية تشكلت حولها واحات قرى ومدن حول ضفافها، مثل وادي ريغ، ووادي جدي ووادي مزاب[5].

أثر المناخ السائد في الصحراء على الغطاء النباتي وظهور الظواهر الطبيعية مثل التصحر وزحف الرمال، ويسود المناطق الصحراوية النبات الشوكي نظرًا لطبيعة المناخ والجفاف، وعموما يمتاز مناخ الصحراء بالجفاف وقلة الأمطار، حيث تختلف نسبة التساقط السنوية من منطقة إلى أخرى وارتفاع درجة الحرارة يؤثر في صعوبة التأقلم والعيش في مثل هاته الظروف.

---

(1) أحسن دواس: صورة المجتمع الصحراوي في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب المقارن، إشراف الأخضر عيكوس، جامعة منتوري، قسنطينة- الجزائر، 2007-2008، ص02.

(2) جمال الدين الديناصوري وآخرون: جغرافيا العالم، ج2، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، د ت، ص2259.

(3) أحمد توفيق المدني: جغرافية القُطر الجزائري، مرجع سابق، ص41.

(4) محمد رشدي جراية: مرجع سابق، ص349.

(5) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مرجع سابق، ص22.

رابعًا: التركيبة البشرية في الصحراء الجزائرية

أثرت طبيعة الصحراء القاسية في توزع السكان بها، فبالرغم من شساعة مساحتها إلا أنها تواجد السكان بها قليل، حيث يؤثر عنصر الماء بنسبة كبيرة في انتشار السكان، ونظرًا لمحدودية مناطق تواجد الماء فيستقر الغالبية حول الواحات والاستقرار وممارسة أنشطة تسمح ببقائهم بها مثل التجارة والصناعة التقليدية والزراعة، وهذا ما نسميه بالحضر، وهناك فئة أخرى تعيش خارج المدن والواحات ويمتهنون الرعي وينتقلون من مكان إلى آخر بحثا عن الكلأ ومناطق تساقط الأمطار والأودية ويسمون البدو أو الرحل.

1- **سكان الحضر**: هم المستقرين في المدن وسكنوا القرى والقصور أو بنو مساكنهم بصفة دائمة، وتمارس هذه الفئة الأنشطة التجارية والزراعية، وتنقسم هذه الفئة إلى ثلاثة أصول وهم الغالب على أغلب المدن في الصحراء الجزائرية وهم الأمازيغ والعرب والزنوج، وتضاف لهم فئة اليهود فمنهم من اختلط وانصهر وتجاوزوا فيما بينهم، ومنهم من حافظ على نسله مثل الطوارق[1]، وبنو ميزاب[2].

2- **سكان البدو**: البدو والبادية والبداوة هي خلاف الحضر، وبدأ القوم بدوًا أي خرجوا إلى باديتهم وقال الليث البادية اسم للأرض التي لا حضر فيها[3] ، وهم المقتصرون على الضروري العاجزون

---

[1] الطوارق: اسم الطوارق هو كيل تماهق ولذلك يسمون أنفسهم اموهاغ، تعددت تسميات الطوارق فهناك من يرى أن اسمهم مشتق من ترك حيث يذكر ابن خلدون أن سبب تسميتهم أنهم تركوا دينهم المسيحية معتنقين الإسلام وان صنهاجة هم الملثمون القاطنون بالصحراء الجنوبية واتخذوا اللثام شعارا لهم وذهب بعضهم إلى أن الكلمة مكونة من مقطعين طوا بمعنى شعب ورق اسم لمكان الطوارق وهناك من يقول أن الكلمة تعود لقبيلة تارغا إحدى القبائل الذين يسكنون الصحراء منذ القدم، وتنتشر قبائل الطوارق عبر كامل الصحراء الكبرى.ينظر: الشاوي اللاله البكاي اماهين: الطوارق عبر العصور، تح: اصلاح محمد البخاري حمودة، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي-ليبيا، 2007، ص30.

[2] ريمون فيرون: الصحراء الكبرى، تر جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب، مصر، 1963، ص86.

[3] ماكس اوبنهايم واخرون: البدو، تح ماجد شمبر، ج1، دب، دت، ص11.

عما فوقه[1]، ويقصد بهم الذين ليس لهم مكان موحد يستقرون فيه استقرار دائم وفضلوا الارتحال والانتقال ويضربون مضاربهم قرب أسوار المدن أو بجانب غابات النخيل ولهم حياة الانتقال ففي الصيف ينتقلون إلى الشمال نحو الهضاب وفي بداية الخريف ومن بين قبائل البدو قبائل الشعانبة والطوارق وسكان الواحات[2].

ويمكن القول أن الصحراء الجزائرية كانت عامرة بالسكان في الفترة الحديثة، ويذكر الرحالة المغاربة مظاهر الحياة في الصحراء الجزائرية وعن الطرق التجارية والحواضر الكبرى وقبلهم ذكره حسن الوزان ومارمول كربخال الصحراء الجزائرية وأبرز الإمارات التي نشأت في الصحراء والحواضر وتأثيرها الاقتصادي والثقافي والعلمي.

المبحث الثاني: الماء وأهميته

أولا: مفهوم الماء

1- معنى كلمة الماء:

1-1. المعنى اللغوي: أصل كلمة ماء من فعل "موه" أُبدلت عينه المعللة ألفًا لتحركها، وفتح ما قبلها وأبدلت هاؤه همزة لاتحادهما في المخرج، فصارت "ماء" فالألف الأولى هي عين الفعل الذي كانت واوا، والهمزة التي في الأخير بدل من الهاء فإذا جمعت ردت إلى الأصل فيقال: أمواه في القلة، ومياه في الكثرة مثل حمل، أحمال، حمال، وإذا صغرت فيقال موية[3].

ويقال ماهت البئر أي أظهر ماؤها، وماهت السفينة داخل الماء فيها، وكلمة ماء جاءت مفردة وجمعها أمواع ومياه وهو سائل عليه عماد الحياة في الأرض وهو في نقائه شفاف لا لون له ولا رائحة ولا طعم له[4].

---

(1) محمد العبدة: البداوة والحضارة "نصوص من مقدمة ابن خلدون"، ط1، المنتدى الاسلامي، لندن، 1993، ص44.

(2) إبراهيم مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، مرجع سابق، ص23.

(3) أبو الفضل ابن منظور: مرجع سابق، مادة موه، ج13، ص543

(4) أحمد مختار عمر وآخرون: مرجع سابق، ص2141.

وفي المعجم الوسيط الماء سائل شفاف لا لون له، ولا طعم ولا رائحة وهو ضروري عماد الحياة بكافة أشكالها على الأرض، يتركب من اتحاد الهدرجين والأكسجين بنسبة حجمين من الأول إلى حجم الثاني "H_20"[1].

1-2. اصطلاحًا: الماء عصب الحياة وأصل الوجود، حيث يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]، وهنا فسرت الآية قدرة الله عز وجل في خلقه، وأن أصل كل الأحياء من الماء[3].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[4].

ظاهر الآية الكريمة معناه أن قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرض لم يكن في الوجود سوى عالم الماء ومن فوقه عرضً الله عز وجل، ثم حدث أن خلق الله الكون الذي من حولنا وأوجدنا فيه لكي يختبرنا ويظهر حقيقة أعمالنا وإيماننا، ولما سبق خلق الماء كل المخلوقات جعله الله أساس حياة الكائنات الحية[5]، ولفظ الماء من الغيبيات التي لا مجال للخوض فيها لبعدها عن مجال العالم الطبيعي.

---

(1) إبراهيم أنيس وآخرون: مرجع سابق، ص892.

(2) سورة الأنبياء: الآية30.

(3) أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرءان العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ج5، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية، 1999، ص339.

(4) سورة هود: الآية7.

(5) عبد العزيز العبادسة: الماء في القرءان الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تفسير علوم القرءان، اشراف مروان محمد ابو راس، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2002، ص2.

وفي الحديث فقد وردت عدة أحاديث تحمل معنى الماء، فعن أبي هريرة –رشي الله عنه– أن موسى –عليه السلام– اغتسل عند مويه"[1].

وقد اهتم علماء المسلمين منذ القدم بالماء ومعرفة أصله وحقيقته، ووضعوا عدة تعريفات له ومن بينهم:

ابن وحشية فيعرفه: أما جوهر الماء فهو جسم يسال منبسط عرضًا، حار بلطافته...، وأما بمزاجه فإنه بارد رطبه عرضًا، وأنا في الجوهر فيسال برطوبته وبرد ببرودته[2].

ويعرفه الحاسب الكرخي: "...وأنه في جريته يطلب شكله الكري، فإذا وجده لم يجر بتة"[3].

2– أقسام الماء:

ينقسم الماء إلى عدة أصناف وهذا بسبب موضوع التقسيم، فمن حيث الذوق ينقسم الماء إلى[4]:

- **الماء العذب**: وهو ما قلت نسبة الأملاح الذائبة فيه، بحيث أصبح سائغًا في الذوق من ناحية ملوحته.
- **الماء المالح**: وهو ما زادت نسبة الأملاح الذائبة فيه على نسبتها في الماء العذب.
- **الماء المعدني**: الماء الطبيعي الذي يخرج من جوف الأرض وبه أملاح دائبة تكسبه طعمًا خاصًا وله خواص طبية.
- **الماء المقطر**: ناتج من تكثيف بخار الماء، وهو خالٍ من الإصلاح.

---

[1] حرمة بوفلجة: الأحكام الفقهية لاستغلال المياه الجوفية وتوزيعها، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الفقه والأصول، اشراف نور الدين طوابة، جامعة أحمد دراية أدرار–الجزائر، 2007–2008، ص3.

[2] أبو بكر ابن وحشية: الفلاحة النبطية، تح: توفيق فهد الجان، والجاني للطباعة، ط1، ليماسول قبرص، 1993، ص ص56–57.

[3] ابن بكر محمد بن الحس الكرخي: أنباط المياه الخفية، دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر أباد، الهند، 1940، ص4.

[4] محمد خميس الزوكة: جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996، ص10.

- **الماء العسر**: هو الذي لا يحدث رغوة مع الصابون بسهولة لاحتوائه على أملاح الكالسيوم والمغنزيوم الدائبة فيه. وهناك من يقسمه حسب مصدره: الأنهار، السدود، الأمطار، البحار...الخ.

وهناك أيضًا من يقسمه حسب وجوده في الطبيعة إلى مياه جارية، مياه جوفية[1].

ثانيًا: الدورة المائية

تعرف الدورة المائية بأنها عبارة عن عدة عمليات طبيعية مستمرة ليس لها بداية أو نهاية، فالمياه تتبخر من سطوح كل من الكتل القارية اليابسة والمسطحات البحرية والمحيطية لتصبح بخار ماء عالق في الهواء يأخذ في الارتفاع خلال الغلاف الجوي حتى يتعرض لعمليات التكثيف لتنهمر في أشكال التساقط المختلفة على الكتل القارية والمسطحات البحرية والمحيطية على حد سواء[2].

تحدث الدورة المائية بفعل عدة عوامل أبرزها:

1- **الرياح**: للرياح مهمتان أساسيتان غي الدورة المائية، أولها في اتارة السحب عن طريق احتكاك الرياح بسطح المحيط أو البحر وهذا يساعد على تبخر الماء، والثانية في تجميع التبخر في الهواء ليشكل بذلك سحبًا، حيث يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾[3].

2- **السحب**: يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[4].

---

[1] وسيلة عليوش: الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها منشآتها إستغلالها من القرن 1 هـ إلى نهاية القرن 6 هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف إبراهيم بحاز، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2012-2013، ص16.

[2] محمد خميس الزوكة: مرجع سابق، ص24.

[3] سورة الروم: الآية48.

[4] سورة الرعد: الآية12-13.

3- **الجبال**: لها أهمية كبيرة في عملية تساقط الأمطار، وقد هيأ الله لذلك أسبابا وخلق الجبال وجعلها مصايد طبيعية، فكثيرًا ما يربط القرءان بين الجبال ونزول المطر[1]، ويقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[2].

4- **عملية تهاطل المطر**: بعد تشكل السحب ووجود الظروف المادية في الطبيعة تحدث عملية نزول المطر، وتعتبر هذه العملية من أهم أسباب الحياة على سطح الأرض للكثير من الكائنات. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [3].

5- **شرب الماء إلى باطن الأرض**: يشرب الماء بعد نزول المطر وتشكل الأودية إلى الطبقات الجوفية فتكون بذلك خزانا جوفيا فتفجر منه الينابيع، كما له دور في النبات وبقائها من خلال امتصاص جدورها للماء الذي تتسرب، وتعتبر المياه المستنبطة من باطن الأرض من أعذب المياه. يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [4].

ثالثًا: أهمية الماء

لقد وردت عدة آيات في القرآن الكريم تبرز الأهمية البالغة للماء في الحياة ولا يمكن لأي مجال إلا ويكون للماء دور فيه، وتكمن أهمية الماء في الحياة في عدة جوانب والتي نتطرق إليها في شكل عناصر:

---

[1] حرمة بوفلجة: مرجع سابق، ص24.

[2] سورة المرسلات: الآية27.

[3] سورة البقرة: الآية164.

[4] سورة الزمر: الآية21.

1- **الأهمية الشرعية للماء:** تجلت أهمية الماء في حياة الفرد الدينية في العبادات، حيث هناك عدة نصوص توحي بأهمية الماء وإلزامية استعماله مثل: الماء الطهور في العبادات، الوضوء، الغسل، طهارة الثياب، صلاة الاستسقاء، ووردت عدة آيات وأحاديث تبرز ضرورة استعمال الماء في العبادات[1].

2- **الأهمية السياسية والعسكرية للماء:** إن الماء هو حياة الكائنات، ولا يمكن للبشر الاستغناء عنه في حال السلم والرخاء يصبح أكثر أهمية في حالة الحرب، ولا يمكن الاستغناء عنه وهو أساس قيام الحضارات في القدم، حيث أغلب الحضارات قامت على ضفاف الأنهار.

3- **الأهمية الاقتصادية:** تكمن أهمية الماء في المجال الاقتصادي في عدة جوانب مثل: التجارة، الزراعة، المواصلات، البحر والنشاطات التجارية والثروات السمكة، الثروات الباطنية، حيث يعتبر الماء ضرورة ملحة في أي نشاط ويتأثر الجانب الاقتصادي بوفرة وندرة الماء.

4- **الأهمية الاجتماعية:** يحتاج المجتمع للماء بشتى جوانبه ومظاهر وجوده في الحياة، ولا يمكن الاستغناء عنه، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنا أَنْعامًا وَأَناسِيَّ كَثِيرًا﴾[2]، ويقوله أيضًا: ﴿وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكًا فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبادِ وَأَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذلِكَ الْخُرُوجُ﴾[3].

5- **الأهمية الصحية:** الماء هو نبض الحياة الدافق في عرق الإنسان، حاملا إلى كل خلية من أسباب بقائه بأكسجين وغذاء وهرمونات ومواد المناعة وفيتامينات وكل العمليات الحيوية في جسم الإنسان لا تجري إلا بوجود الماء، وجسم الإنسان يحتوي على أكثر من 70% من وزنه ماء، فإن غاب هذا العنصر الحيوي عن الجسم فغنه يحيف وترتفع درجة حرارته، فإذا كان الإنسان

---

[1] عبد العزيز العبادسة: مرجع سابق، ص ص 8-21.

[2] سورة الفرقان: الآية48-49.

[3] سورة ق: الآية9-11.

بإمكانه العيش فترة طويلة دون طعام فإنه لا يمكنه العيش بدون ماء، حيث قال تعالى: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[1]، وهنا نزلت الآية كدليل على أهمية الصحية للماء وذكر القرءان طريقتين للعلاج بالماء أولها الاغتسال به وثانيها شربه.

المبحث الثالث: ماهية الرحلة

أولا: مفهوم الرحلة

منذ القدم والإنسان مُولع باكتشاف محيطه القريب والبعيد، فكان يسير ويهاجر لمعرفة ما يحيط به، سواءً كان بغرض الاكتشاف أو الحاجة، ولم يستقر قي مكان معين، بل كان يتنقل من مكان إلى آخر وهذا ما سمي بالرحلة.

1-تعريف الرحلة:

1-1.تعريف الرحلة لغة:

ورد مصطلح الرحلة في القرءان الكريم في عدة مواطن، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[2].

ورد في لسان العرب "رحل الرجل إذا سار، و رجل رحول، وقوم رُحل، أي يرتحلون كثيرًا. ورجل رَحّال عالم بذلك مُجيد له، والترحل والارتحال الانتقال، والرحلة اسم الارتحال والرحلة بالضم هي الوجه الذي نأخذه فيه"[3].

وفي معجم معاني صحاح العربية "رحل" الرجل، مسكن الرجُل وما يستصحبه من الأثاث، والرَحْلُ أيضاً :رَحْلُ البعير، والجمع رِحالى، ورحلة البعير أرحله رحلاً، إذا شدت على ظهر الرحل، الرحلة بالضم الوجه الذي تريده[4].

---

[1] سورة ص: الآية42.

[2] سورة قريش: الآية2.

[3] ابن منظور: مرجع سابق، ص1648.

[4] محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت-لبنان، 1986، ص160.

وفي المعجم الوسيط "رَحَلَ عن المكان رَحَلاً ورَحْلاً، ورِحْلَة: سار ومضى، والبعيرَ ، رَحْلاً ، ورِحْلَةٌ، أي جعل عليه الرحل فهو مرحول ورحيل، وعلاه وركبه، ويقال رحل فلان بمكروه ورحله سيفه: علاه به، ويقال ارحل فلان أي كثرت رواحله"[1].

يفرق قاموس المحيط بين الرحلة بالكسرة وهي الارتحال والرحلة بالضم وهي الوجه الذي تقصده السفرة الواحدة[2].

اتفقت أغلب المعاجم على مصطلح الرحلة متعلق بالانتقال من مكان إلى آخر.

1-2.تعريف الرحلة اصطلاحًا:

ظهرت عدة مفاهيم ومقاصد للرحلة وهي مشتقة من الارتحال، وتعني الانتقال من مكان لآخر، لتحقيق هدف معين كان ماديا أو معنويا[3].

والرحلة هي انتقال واحد أو جماعة أو قبيلة أو أمة من مكان لآخر لمقاصد مختلفة، ولأسباب متعددة، وإن كان لكشف أمور علمية أو تاريخية أو جغرافية سمية رحلة[4].

والرحلة في نظر أبو حامد الغزالي "نوع حركته أو مغالطة أو نوع مغالطة مع زيادة تعب ومشقة، وقد رأى بأن الفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من طلب، فالإنسان لا يسافر إلا لغرض[5].

والرحلة هي التي تمتد لتقرب شعوبا تباعدت عن شعوب، وأقوام إلى أقوام تفصل بينهما البحار والقفار، وهي حلقة رائعة ومثيرة من تلك المنظومة الإلهية التي تشمل الكون وتوجه أنساقه البشرية والطبيعية لتحقيق المزيد من محاولات اكتشاف الذات الإنسانية واختراق المسافات الطبيعية لاكتشاف الحياة على الألوان المختلفة[6].

---

(1) إبراهيم أنيس وآخرون: مرجع سابق، ص834.

(2) محمد يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تح: أنس محم الشامي، دار الحديث، القاهرة-مصر، 2007، ص626.

(3) عبد اللطيف الصعيدي: تعريف الرحلة، الدار العربية للكتاب، ط1، مصر، 1996، ص15.

(4) ناصر الموافي: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة الوفاء، ط1، القاهرة-مصر، 1995، ص24.

(5) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، ط1، ج6،بيروت-لبنان، 1982، ص1080.

(6) فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الإسكندرية، ط8، القاهرة-مصر، 2002، ص ص21-22.

والرحلة هي نتاج مبادرة فردية وقد تكون جماعة تخترق الحدود والمسافات البعيدة من اجل تحقيق رغبة مرتبطة بحياة الانسان وإرادته[1].

من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يلاحظ أن الرحلة هي رغبة الإنسان الانتقال من مكان لآخر بغض النظر عن الدافع، وللقيام بهذا العمل عليه تحمل مشاق الرحلة.

2-خصائص الرحلة:

تنقسم خصائص الرحلة إلى مجموعتين، حيث قسمهما ناصر عبد الرؤوف الموافي في كتابه "أدب الرحلات" إلى معيارين "معيار الشكل، معيار المضمون".

2-1.معيار المضمون:

ويقصد به الطابع الذي جاء في سرد مضمون الرحلة وهي كالآتي:

أ- الطابع الموسوعي والمعرفي: يعطي للرحلة حريته، وهو في الحقيقة قيد ذلك لأنه يحتم عليه الاختيار الدقيق الذي يضمن دوام التواصل مع القارئ وهنا تكمن صعوبة الكتابة في أدب الرحلات والطابع الموسوعي هو طابع معرفي في الوقت ذاته[2].

ب- الطابع الوثائقي: حظيت الرحلة بأنها وثيقة يمكن الرجوع إليها لأنها[3]:

- محددة الزمان والمكان.
- واقعية ذات أهداف ونتائج.

---

(1) مصطفى الغاشي: الرحلة المغربية والشرق العثماني"محاولة في بناء الصورة"، الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2015، ص142.

(2) ناصر الموافي: مرجع سابق، ص49.

(3) بناهض عبد الكريم: القيمة اللغوية للرحلات المغاربية المجازية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق "رحلة العياشي أنموذجًا"، أطروحة دكتوراه، تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري، إشراف: والي داده عبد الكريم، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 2017-2018، ص38.

- معروفة المؤلف.
- تعتبر الرحلة وثيقة حية ونتاج معاينة ومعاناة.
- إن إدراك الرحالين للطابع الوثائقي في رحلاتهم جعلهم يزودون كتبهم بكل ما يؤكد هذا الجانب.

ج- الرحلة ذات طابع فردي ذاتي: إن الكشف الخارجي الحقيقي لا يتأتى إلا بعد الكشف الداخلي، وإن رحالا لا يصل إلى حقيقة يعتد بها إلا إذا عرف حقيقة نفسه أولا.

د- الرحلة ذات طابع كشفي: يتأتى باستغلال الرحالة لبصره وبصيرته، وصولا إلى الحكمة التي تؤهله لأن يطلق عليه لقب "الخبير أو المجرب".

هـ- الطابع الإنساني: الرحالة إنسان، يصف الإنسان وما يتعلق به ويوجه وصفه إلى إنسان، ومن بين المحاور الثلاثة يظهر الطابع الإنساني للرحلة جليا[1].

و- الطابع الشعبي: يترتب كون الرحلة تصف شعوبا أنها ذات طابع شعبي، وهذا الطابع مزدوج، بمعنى أنه يصف شعوبا وهو موجه إليها ومراع لها.

ز- الطابع الجمالي: الجمال الذي يخرج من أجله الرحالة موضوعه متعة لا غاية لها، ولا علاقة لها بالمنفعة الحسية...، وهذا الجمال مصادره متعددة وجوانبه كثيرة وذوق الرحالة المهذب هو الذي يحدد كون الشيء جميلا من عدمه[2].

ح- الطابع النقدي: أهم ما يجب أن يتحلى به الرحالة امتلاك روح الناقد البصير المحايد وإذا لم تكن فيه هذه الصفة كامنة فيه قبل تحركه، فإن الرحلة كفيلة بثها في نفسه.

---

[1] ناصر الموافي: مرجع سابق، ص ص50-52.

[2] نفسه: ص54.

ط- الطابع الفكاهي: اعتبر أحد النقاد أن من مميزات كتب الرحلات أن تتجلى فيها روح الفكاهة وروح الظرف والمنادمة وأوصاف شائقة للمشاهدات والانطباعي في أسلوب كثير التوابل[1].

2-2.معيار الشكل: يتجدد المضمون بتجدد الشكل، حيث يتحكم في شكل الرحلة طريقة التدوين:

أ-طريقة التدوين: يعتبر التدوين عملا حضاريا يتم عن فطنة الرحالة، وأنه ليس من قبل المصادفة أن الرحالة المدونة إلا في ظل الازدهار الحضاري لأمة من الأمم.

تتمثل أهمية طريقة التدوين في أنها تميز بين كتاب في أدب الرحلات وآخر في نوع أدبي أو فرعي علمي يعتمد على محصلات الرحلة، ومن الضروري أن يكون الهدف من التدوين واضحًا في ذهن الرحالة[2].

ب- البنية: يقصد بها مدى توافق أجزاء النص فيما بينها وبيان مدى الانسجام بين النص وهدفه، حيث يرى بعض النقاد جمال الفن في نظامه وحسن تنسيقه، والنص الذي يتمتع بقدر كبير من التوافق أفضل من وجهة نظر الفن، وتكون البنية على عنصرين توافق داخلي وتوافق خارجي[3].

ت- اللغة: إن هدف التدوين للرحلات هو الوصول إلى حقيقة الإنسان ووضعه في الكون، ونجاح الرحلة في كتابة رحلته مرهون بتوضيح هذا الجانب كما يراه، ويشترط أن تكون مفرداتها سهلة ومألوفة، دقيقة ومعبرة وغير مكررة في جملة قصيرة، ويجب أن تكون لغتها سليمة فإن لغة وسلامة مفرداتها يتم عن مستوى وتكوين الكاتب ويكشف عن شخصه الأدبي والعلمي في آن واحد،

---

[1] ناصر الموافي: مرجع سابق، ص58.

[2] بناهض عبد الكريم: مرجع سابق، ص41.

[3] ناصر الموافي: مرجع سابق، ص ص68-69.

وأن يبتعد هن التكلف في أسلوبه وكثرة المحسنات، وأن جمال العبارة وجمال الأسلوب لا يأتيان بالتكلف وإنما يأتيان بالتلقائية والاسترسال[1].

3-صفات الرحالة لكتابة الرحلة:

أجمع بعض الباحثين على بعض العناصر يجب توفرها في الرحالة لكتابة رحلة متكاملة ومتناسقة والتي تميزه عن العامة أبرزها[2]:

3-1.المعرفة: توجد الكثير من الرحلات لكنها تختلف عن بعضها، وهذا للمكانة العلمية للرحالة، وتحتوي كتب الرحلات الكثير من المعلومات والمعارف المتنوعة.

3-2.السرد: تحتوي كتب الرحلات على الأسلوب السردي لاعتماد الرحالة على سرد الأحداث وكل ما رآه في رحلته ولا يمكن للرحالة الاستغناء عنه، فالرحالة يصور ويجسد رحلته للمطالع من انطلاقه إلى عودته وكل ما احتوته من وقائع وأحداث.

3-3.الوصف: يصف الرحالة كل صغيرة وكبيرة وهذا ما يتطلب من الرحالة انتباها ودقة ملاحظة، فلا تكاد تخلو أي رحلة من وصف الأحداث الساكنة، وفي الغالب ينجذب الرحالة إلى وصف الأشياء الغريبة وغير المألوفة لديه والجديد عن عاداته.

ثانياً: أنواع الرحلات

اختلفت وتنوعت أغراض الرحلة، وكان لكل رحالة هدف من رحلته فمنهم من دونها بغرض سرد أحداث واكتشاف مناطق، وهناك من دونها لتركها كطريق أو خارطة لمن يأتي بعده، وقد تعددت أنواع الرحلات بتنوع أهدافها.

من أبرز أنواع الرحلات في التاريخ والتي اتفق أغلب المؤرخين على تصنيفها رغم وجود تداخل بين الأغراض وأهداف وأنواع الرحلة في الكثير من المؤلفات ما يلي:

---

[1] ناصر الموافي: مرجع سابق، ص ص75-79.

[2] خيرة الطار: الرحلة والرحالة في الدولة العثمانية VOLNY أنموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الدولة العثمانية والمشرق العربي، إشراف: نادية طروش، جامعة الجزائر، 2012-2013، ص16.

1- الرحلات الدينية:

هي الرحلات التي غرضها وهدفها ديني وتنقسم إلى قسمين:

1-1.الرحلات الحجية: هي الرحلات التي قام بها المسلمون في كل بقاع الأرض في الارتحال إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج[1]، عملا بقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2].

وقد قام المغاربة بتدوين عدة رحلات إلى الحج، وتعتبر من أهم المصادر وأصدقها في كتابة التاريخ من خلال وصفهم لكل ما صادفهم في رحلتهم مثل: أبو سالم العياشي[3]، وعبد السلام الناصري[4]،وغيرهما.

1-2.الرحلات الصوفية: تميز هذا النوع من الرحلات المغاربة نظرًا لانتشار واسع للتصوف وانتشار الطرق الصوفية، أخذ بهذا النوع من الرحلات طابع ديني روحيا لانتقال المؤيدين والتابعين من أجل البحث عن المعرفة وتعلم الطرق الصوفية ولقاء الأولياء وشيوخ الطرق[5].

---

(1) مصطفى الغاشي: مرجع سابق، ص143.

(2) سورة الحج: الآية 27.

(3) أبو سالم العياشي: هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، المكنى أبو سالم، ينتسب إلى قبيلة آيت عياش البربرية القاطنة بنواحي سجلماسة جنوب غرب المغرب الأقصى، ولد العياشي سنة (1037هـ/1627م) ،كان والده شيخ زاوية، وهو الذي أشرف على دراساته الأولى، ثم انتقل العياشي إلى زاوية درعة، وتتلمذ على يد محمد بن ناصر، ثم عاد إلى فاس، حيث أكمل تعليمه على يد مشائخ مثل عبد الرحمان بن القاضي، وعبد القادر الفاسي، الذي أجازه سنة (1063هـ/1653م)، توفي العياشي بالطاعون سنة (1090هـ/1679م).ينظر بعلي حفناوي: الرحلات الحجازية المغاربة (المغاربة الأعلام في البلد الحرام) ، دار اليازوري، الأردن، 2018م، ص-ص 128-129.

(4) عبد السلام الناصري: هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد الكبير بن ناصر الدرعي التمقروتي السجلماسي، ولد سنة 1145هـ/1732 تعلم على يد الكثير من الشيوخ المغاربة قام برحلتين الى الحج كانت الأولى سنة 1196هـ/1782م وسميت بالرحلة الحجية الكبرى، والرحلة الثانية سنة 1211هـ/1796م وسميت بالرحلة الصغرى، وفي سنة 1239هـ/1823م.ينظر:عمر بن قايد: منطقة الأغواط وجوارها من خلال رحلة ابي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي"قراءة اجتماعية ثقافية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، مج09، ع01، 2018، ص ص 207-208.

(5) مريم دهيمي: صورة الجزائر من خلال كتب رحالات المغاربة في العهد العثمانية "رحلة أبو سالم العياشي انموذجًا"، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019، ص10.

2- الرحلات الرسمية:

هي الرحلات التي يكون الهدف منها تأدية مهمة رسمية وتضم الرحلات السفارية والرحلات الاستطلاعية "التجسسية" والرحلات الجهادية.

2-1. الرحلات السفارية:

هي الرحلات التي بها أشخاص في الغالب يشغلون مناصب في السلطة ويكون أغراضها غير واضحة وسرية، كما تحمل معلومات لا يذكر صاحب الرحلة، ومن بينها الرحلة التي قام بها التمقروتي[1] المعنونة ب"التحفة المسكية في السفارة التركية"[2]، ورحلة الغساني[3] المسماة "رحلة الوزير في افتكاك الأسير"[4].

2-1. الرحلات التجسسية: يختلف هذا النوع من الرحلات عن السابقة في أنها تتميز بالسرية التامة في سرد دوافع الرحلة وفي كل مراحل الرحلة لا تجد يذكر صاحب عن غرض رحلته أو يعطي

---

[1] التمقروتي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي التمقروتي ولد سنة 1534م بتمقروت، تربى في بيت علم صلاح، تعلم في وزاوية والده واخذ عن مشايخ منطقة درعة وكلف بالتدريس في الزاوية، تقلد عدة مناصب هامة ورسمية ببلاط مراكش وكلفه السلطان احمد المنصور السعدي بسفارة اسطنبول1591م، توفي سنة 1594م ودفن بروضة القاضي عياض بمراكش. ينظر حميد ايت حبوش: الرحلة وكتابة تاريخ بلاد المغرب" رحلة التمقروتي انموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، مج06، ع02، دت، ص ص 42 -43.

[2] علي بن محمد التمقروتي: التحفة المسكية في السفارة التركية، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة المالكية، الرياض، المغرب، 2002، ص09.

[3] الغساني: هو محمد بن عبد الوهاب الغساني الأندلسي أبو عبد الله وزير من المؤرخين استوزره السلطان المولى إسماعيل بفاس وبعثه إلى ملك اسبانيا كارلوس الثاني سنة م1690 لغايتين: تخليص الأسرى المسلمين الذين كانوا لدى الإسبان، وجلب ما بقي في الأندلس من الكتب العربية ، وقام الغساني بالرحلة وأقام ثمانية أشهر كتب على إثرها رحلته، توفي في "زنقة الرطل" من فاس القرويين. ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002، ص ص256-257

[4] محمد الغساني الأندلسي: رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تح: نوري الجراح، ط4، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص14.

حتى معنى يوحي بغرض الرحلة، ومن بينها رحلة الحاج ابن الدين الأغواطي الذي ضل مجهولا[1]، ويذكر أبو القاسم سعد الله في مقدمة تحقيقها أنها كانت بطلب من القنصل الأمريكي هودسون[2].

2-2. الرحلة الجهادية: هي التي يقوم بها الرحالة بمصاحبة الملوك والمسؤولين الكبار وقادة الجيوش، حيث يكلف الرحالة هنا بتدوين كل شاردة وواردة عن الحملة. وإذا كان المسؤول قد توجه في حملة تأديبية فإن الرحالة يحرص على تدوين كل ما اعترض هذا المسؤول طول رحلته، فمهمته نسبية إلى حد كبير مهمة الصحفي الذي يصف حدثا ويقدم تقريرًا يصور فيه الأحوال التي رافقت الحركة[3]، ومن بين الرحلات الجهادية في الجزائر رحلة محمد الباي الكبير[4] إلى الجنوب الصحراوي الجزائري لصاحبها أحمد ابن هطال التلمساني التي يتحدث فيها عن أحداث حملة محمد الكبير على الجنوب الجزائري[5].

3- الرحلات العلمية:

إن طلب العلم مرغوب فيه مثاب عليه في الإسلام، فقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «من خرج من بيته ابتغاء العلم وضعت الملائكة أجنحتها له رضا بما يصنع»[6].

---

(1) أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات جزائرية "رحلة ابن الحاج الدين الأغواطي"، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر، الجزائر، 2011، ص10.

(2)هودسون: قدم إلى الجزائر سنة 1825م لكي يساعد شيلر في مهمته كقنصل عام لبلاده في الجزائر، وما أهله لهذه المهمّة هو اتقانه للّغات الشرقيّة عاد إلى بلده بعد سنة 1829م، ينظر: سياب خيرة : رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة بـ(الرّحلة الأغواطية) "دراسة : طبيعية، اقتصادية، اجتماعية، عمرانية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع13، 2015م، ص179.

(3) الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج1، منشورات عكاظ، الرباط، 1990، ص98.

(4) الباي محمد الكبير: هو محمد بن عثمان الكردي و هو يعد المساهمين في صناعة تاريخ الجزائر في أواخر القرن 18م كان بايا على بايلك الغرب من 1193هـ-1779م إلى 1212هـ-1797م، تميز عهده بأعماله الإصلاحية، توفي اثناء عودته من الجزائر بعد أداء دنوشه في 15نوفمبر1797. ينظر: بلبروات بن عتو:الباي محمد الكبير –باي وهران 1779-1797حياته و سيرته ، مجلة عصور، مج02، ع 03، 2003م، ص 151.

(5) أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، ط1، القاهرة-مصر، 1969، ص40.

(6) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عنتر، دار الكتب العلمية، ط1، دمشق-سوريا، 1975، ص83.

ومنذ القدم اهتم العلماء بالرحلة، فقطعوا الصحاري بحث عن فائدة أو رجاء ولقاء عالم رغبة في تصحيحهم مسألة ما[1]، وشهدت بلاد المغرب العديد من الرحلات في طلب العلم، حيث يذكر أبو سالم العياشي في رحلته "وقصدي إن شاء الله من كتابة الرحلة أن تكون ديوان علم لا كتاب سمر وفكاهة"[2]، وهنا يسرد القيمة العلمية للرحلة.

ولم تقتصر الرحلة على علم معين فقد كانت الرحالة ينهل من شتى العلوم كعلم الحديث وعلم الفلك وغيرها، فالرحلة العلمية تعني طلب العلم والدراسة ولها عدة فوائد أهمها[3]:

- زيارة المراكز الثقافية.
- تحصيل الحديث والتثبت من الروايات والطرق وطلب العلم.
- جلب الكتب والمؤلفات العلمية.
- لقاء العلماء.
- بناء الشخصية العلمية وبناء الذات.

ومن بين الرحلات العلمية الجزائرية رحلة ابن حمادوش[4] وعبد الله المقري[5] الذي ألف كتابًا بعنوان نظم اللآلئ، حيث ذكر فيه كل تفاصيل رحلته والعلماء الذين التقى معهم[6].

---

(1) الحسن الشاهدي: مرجع سابق، ص78.

(2) أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية 1661-1663، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،، مج1، دار السويدي للنشر، ط1، أبو ظبي، الإمارات، 2006، ص13.

(3) الحسن الشاهدي: مرجع سابق، ص ص89-97.

(4) ابن حمادوش: هو عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري عاش خلال القرن12هـ/18م، ولد بمدينة الجزائر سنة 1107هـ/1695م اتم تعليمه الأولي بمسقط رأسه، درس العلوم الشرعية والفقه والنحو والتصوف وبرع في مجال العلوم الطبية وأصبح فيما بعد صيدليا وطبيبا، ذهب إلى الحج مرتين سنة1712م و1718م، كما قام برحلة إلى المغرب عام1743م ، توفي وعمره حوالي 90سنة ولم يعلم تاريخ وفاته ولا مكان قبره. ينظر: مشوشة سمير: ابن حمادوش وأبو راس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن18م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات، مج03، ع04، 2017، ص287.

(5) عبد الله المقري: هو الامام محمد بن محمد بن احمد بن ابي بكر الى بن علي القرشي المقري التلمساني، تسميته بالمقري نسبة الى قرية من قرى الزاب لم يوجد تاريخ محدد لميلاده ويقال انه ولد في اوائل القرن 14م، نشأ وسط أسرة اشتهرت بالعلم والمجد والثراء، تعلم على يد شيوخ تلمسان، قام بعدة رحلات وتوفي في فاس سنة 1359م، ثم نقل رفاته إلى تلمسان. ينظر فافة بكوش: أبو عبد الله المقري التلمساني "السيرة والإنتاج الفكري"، مجلة كان التاريخية، مج09، ع33، 2016، ص121.

(6) عبد القادر ربوج: الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والشرق العربي قبل ق17، مجلة البحوث والدراسات، مج15، ع01، 2018، ص301.

ويرى ابن خلدون[1] أن الرحلة في طلب العلم ولقاء المشايخ تزيد في اكتمال التعليم، فعلى قدرة كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسولها[2].

4- الرحلات السياحية:

هي نوع من الرحلات والتي تبرز رغبة صاحبها في السفر وتسمى أيضًا رحلة استكشافية وهي من أقدم أنواع الرحلات، ويتمثل غرض الرحلة في محاولة الانفتاح على الحياة وزيارة الأقطار والأمصار، فهي رحلة متعة ذهنية ونفسية أحيانا ورحلة اكتساب المهارات والخبرات أحيانا أخرى[3].

ومن بين الرحلات السياحية في الفترة الحديثة ببلاد المغرب نجد حسن الوزان الفاسي[4]، حيث بدأ رحلة من المغرب الأقصى إلى المشرق سنة 1515م الموسومة بـ"وصف إفريقيا"[5].

5- الرحلة التجارية:

كانت التجارة منذ القدم مبنية على السفر والرحلة من أجل تأمين سبل الحياة، وقد كانت البلاد العربية موقعا تجاريا هاما كونها ملتقى القوافل القادمة من القارات إفريقيا، أوروبا آسيا، وقد قام المغاربة برحلات نحو إفريقيا جنوب الصحراء والمشرق العربي من أجل التجارة، وكانوا ينقلون بضاعتهم

---

(1) ابن خلدون: اسمه عبد الرحمن ابو زيد ولي الدين ابن خلدون ولد في10 رمضان 732هـ الموافق ل 27ماي1332م بتونس، توفي سنة 808هـ/1406م بالقاهرة، عاش حياته متجولا بين بلدان المغرب، يعتبر مؤسس علم الاجتماع له عدة مؤلفات مشهورة غنية عن التعريف. ينظر: حسن الساعاتي: علم الاجتماع الخلدوني" قواعد المنهج"، دار النهضة، ط1، بيروت-لبنان،1972، ص-ص 05-12.

(2) عبد الرحمان ابن محمد ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية،ج1، ط1، بيروت-لبنان، ص539.

(3) صلاح الدين الشامي: الرحلة عين الجغرافية البصرة، منشأة المعارف، ط2، الإسكندرية-مصر، 1997، ص118.

(4) حسن الوزان الفاسي: هو الحسن محمد بن الحسن الوزان الفاسي أو ما سماه الغرب ليون الإفريقي الذي اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته ووفاته، فأغلب يقال انه ولد مابين 1495 و1500م، وهو غرناطي الأصل، زار العديد المناطق ودون رحلته بعد وقوعه في الأسر سنة 1519م على يد قراصنة البندقية ونقلوه إلى نابولي وقدموه هدية للبابا ليون العاشر يقال انه تنصر، وبقي يعلم رجال الكنيسة العربية، ثم عاد إلى تونس وتوفي بها مابين 1550م و 1554م. ينظر: احمد بوعنينبة: طبائع سكان المغرب الأوسط من خلال كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، مجلة الدراسات التاريخية، مج 20، ع01، 2019، ص 112.

(5) مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر، 1989، ص11.

من مكان لآخر ويأتون ببضاعة أخرى وعند العودة يقومون بوصف رحلتهم بأسلوب شيق واصفين كل ما صادفهم أو شاهدوه[1].

فالرحلة التجارية هي التي نطلق بسبب الرغبة في التجارة وتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى[2].

وتعتبر رحلة ابن حمادوش رحلة علمية وتجارية أيضًا، حيث نجده يصف جوانب من الحياة العلمية والسياسية وكذا الاقتصادية في المغرب الأقصى الذي زاره عام 1732 و1743[3].

ثالثًا: أهمية الرحلة في كتابة التاريخ

تكتسي الرحلة أهمية بالغة في كتابة التاريخ لما يحتويه من معلومات هامة، فالرحالة أديب وجغرافي متنقل، ومؤرخ وفقيه وعالم اجتماع من خلال ما يكتبه في رحلته والمعلومات التي تحملها الرحلة تعكس مكانة الرحالة وعلمه ومدى تفقهه، فالرحلة تتأثر بشخصية كاتبها والتأثير أيضًا في قارئها[4]. وتشكل كتابات الرحالة مصدرا هاما في الدراسات التاريخية نظرًا لما تنطوي عليه من فوائد متعددة، فأدب الرحلات قد أماط اللثام وكشف جوانب مهمة من تاريخ الشعوب في شتى المجالات، كما تضمن الكثير من الحقائق التي أغفلتها المصادر الأخرى[5].

تأتي قيمة الرحلات التاريخية من أنها أساسًا قامت على التجربة والملاحظة المباشرة، فهذا الأمر كان واضحًا جليا في جميع الرحلات، فالرحالة قد اعتنوا بالمسالك وقياس مسافات الطرق، وهم بذلك جغرافيون من حيث لم يعلموا، فنجد في الرحلة الكثير من المعلومات وكشفت العديد من

---

(1) جميلة روباش: أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، تخصص الأدب الجزائري القديم، إشراف، امحمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، 2014-2015، ص27.

(2) فؤاد قنديل: مرجع سابق، ص20.

(3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1993، ص ص384-385.

(4) عواطف بنت محمد يوسف نواب: كتب الرحلات في المغرب الأقصى من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11و12هـ، دار الملك عبد العزيز، الرياض-السعودية، 2003، ص19.

(5) فتيحة حاج بن فطيمة: القيم التاريخية لكتب الرحلات، "رحلة ابن جبير والطهطاوي أنموذجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، ع1، 2019، ص311.

الجوانب، خاصة إذا كان الرحالة مهتما بقوة الملاحظة وشهوة التطلع، وقوة الحواس والرغبة في التحصيل والحرص على التدوين والتسجيل[1].

إن الرحلات تقدم في مجال التاريخ بعض المعلومات التي لم يقدمها العلم المختص في هذا المجال، فإذا كان التاريخ يعمل على وصف واستقصاء حياة البلدان وتاريخها بمختلف مجالاتها، فإن كتب الرحلات أعطت كل ذلك بعدة المناسب وتطرقت إلى تحليل الوثائق التاريخية فقامت الرحلات بوضع كل ذلك في دائرة الإشعاع التي توجه إليها لاستجلاء الواقع وإخراج التاريخ عن حدوده الضيقة[2]. وتعد كتابات الرحالة عن الجوانب الاقتصادية في الأماكن التي مروا بها رافدا فياضا لدراسي الاقتصاد في المجتمعات البشرية، فالرحالة تحدثوا عن الصناعات وطرق التجارة وأنماط التعاملات والمعاملات والنقود وجودتها أو زيفها بقدر جيد، وهو في الوقت نفسه كان كافيا للمس التطور الحادث في الأمور والإقتصادية[3].

وتأتي القيمة العلمية التاريخية للرحلات أنها مصادر دونت بشهود عيان عاصروا الحدث وقاموا بتسجيله في حينه، فدراسة الناحية التاريخية للرحلات مفيدة في التعرف على الجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والإقتصادية، بل وحتى السياسية، فهذه الجوانب كلها كُتبت بحسب ما شاهده الرحالة ولمسه، ولا شك أن مثل هذه الأمور لا توجد في كتب التاريخ العامة أو الخاصة التي انصب اهتمام مؤلفيها على الأحداث السياسية[4]، فالرحلات هي بجموعها سجل حقيقي لمختلف الحياة ومفاهيم أصلها على مر العصر[5].

---

(1) فؤاد قنديل: مرجع سابق، ص23.

(2) محمد الصافي: أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ "رحلة ابن بطوطة انموذجًا"، مجلة آفاق للعلوم، مج5، ع4، 2020، ص310.

(3) عواطف بنت محمد يوسف نواب: مرجع سابق، ص25.

(4) نفسه، ص26.

(5) حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت-لبنان، 1983، ص06.

وفي الأخير اختم بقول أبو القاسم سعد الله عن أهمية الرحلة "والسفر بالنسب لي كالماء والهواء، ولو انقضت علي سنة دون أن أتنفس هواء بلد آخر لأحسست بالاختناق حتى في وطني، لا لأنه يفتقد نقاوة الهواء وعذوبة الماء ولكن لأن تغيير الهواء في حد ذاته يصقل الذاكرة ويجدد العاطفة ويبعث على الفضول الذي هو أساس المعرفة ويحقق خمسة فوائد اختصرها الشاعر في قوله:

تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد"[1].

وخلاصة لما سبق ذكره يظهر جليا ارتباط المصطلحات الثلاثة" الصحراء، الماء، الرحلة" فلا يمكن للرحالة أن يقوم برحلة إلا بأخذ معه القدر الكافي من الماء، وازدادت مكانة وأهمية هذا الأخير في الصحراء، التي شهدت نشاطا للقوافل في الفترة الحديثة.

[1] أبو القاسم سعد الله: تجارب في أدب الرحلة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص205.

الفصل الأول:

الماء في الرحلات الحجازية

المبحث الأول: مسالك الرحلات الحجازية بالصحراء الجزائرية

المبحث الثاني: مصادر المياه وطرق استغلاله

المبحث الثالث: مكانة الماء ودوره في الرحلات

تمهيد:

اهتم الرحالة منذ القدم بعنصر الماء في رحلاتهم لأهميته القصوى في الرحلة، ولان الماء مصدر أساسي في الحياة، جعل له مكانة مقدسة في كتب الرحلات العامة الرحلات الخاصة وشهدت الرحلات الحجازية المغاربية في الفترة الحديثة خاصة مابين القرنين 17-18م نشاطا واسعا للمسلك البري الأمر الذي جعل أركاب الحج تختار المسالك السهلة والتي تتوفر على معاطن الماء باختلاف أنواعها وقد كانت الصحراء الجزائرية أول المناطق التي تجتازها الارتكاب باتجاه الحجاز وكانت الارتكاب تتبع المسالك المعروفة لدى الحجيج مسبقا والتي تتوفر على مصادر الماء والكلأ والأمن، وكان للماء مكانة ودور بارز في الرحلة سواء بوفرته وندرته في تحديد المسالك .

المبحث الأول: مسالك الرحلات الحجازية بالصحراء الجزائرية

انتعشت الحركة بالمدن والحواضر الصحراوية خلال الفترة الوسيطة، ونشطت أكثر في الفترة الحديثة وهذا النشاط يرجع لنشاط طرق القوافل التجارية والحجية في الصحراء الكبرى عامة وفي الصحراء الجزائرية خاصة، حيث تعتبر هاته الأخيرة من أهم وأبرز المناطق التي شهدت حركة واسعة في نشاط طرق القوافل من الشمال إلى الجنوب، أو من الشرق إلى الغرب، وكان لسكان المناطق الصحراوية دور بارز في نشاطها، سواءً في التجارة أو في معاملات القوافل الحجية.

وقد اختلفت طرق الحجيج في الفترة الحديثة عن الفترة الوسيطة، وكانت الصحراء الكبرى مجهولة وموحشة عند الأغلب وكان أشهر الطرق في الفترة الوسيطة هو الطريق البحري ونظرًا للظروف السائدة في البحر الأبيض المتوسط من صراعات وانتشار القرصنة تراجع رواد الطريق البحري وفضل أغلب الحجاج الطريق البري لانتعاش التجارة وتوفر الأمن رغم صعوبة تضاريسه.

سلك الحجاج المغاربة عدة مسالك في الصحراء الكبرى، مرورًا بالمدن والحواضر والتواصل مع الأهالي والعلماء والمشايخ، وكان الحجاج عند مرورهم بالمراكز التجارية والحواضر بالصحراء الجزائرية يتبادلون السلع ويشترون ما يلزمهم لمواصلة طريقهم[1].

بلغت الرحلات الحجازية المغاربية البرية أوج نشاطها خلال القرنين 11-12هـ/17-18م بعد حالة الركود المسجلة في القرن السادس عشر لأسباب تبقى في طي الكتمان على حد قول المؤرخ أبو القاسم سعد الله –رحمه الله–[2].

والرحلات الحجازية التي كانت في الأساس دينية لزيارة البقاع المقدسة كانت أيضًا علمية من أجل لقاء العلماء والمشايخ والمتصوفة والاستفادة من بعضهم البعض في أمور الدين وفي مسائل فقهية

---

[1] محمد الكبير الفقيقي: الدور الاجتماعي والاقتصادي للقوافل التجارية الحجية بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة، مجلة دراسات، الجزائر، مج04، ع02، 2015، ص192.

[2] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، 1990، ص179.

وهو ما أورده أغلب الرحالة في رحلاتهم التي أضحت في الغالب تتم عن طريقهم، حيث تنوعت طرق ومسالك الرحلات الحجاج المغاربة إلى البقاع المقدسة مرورًا بالجزائر، فهناك من توغل في الصحراء وهناك من كان مساره على مشارفها والبعض الآخر من أخذ مسلك بالقرب من الساحل، ويمكن تحديد مسالك الرحلات الحجازية المارة بالصحراء الجزائرية ومن أبرز الطرق التي سلكها أركاب الحج المغربي الطريق العرضاني الأوسط، الطريق الصحراوي، وانفرد الركب الشنقيطي بطريق لوحده.

أولا: الطريق العرضاني الأوسط "شمال الصحراء الجزائرية"

كان الحجاج المغاربة سكان منطقة السوس ومراكش إذا استعدوا للحج فضلوا عبور الصحراء الجزائرية على الصعود للشمال وإتباع طريق التل[1].

1- تسميته وموقعه:

سمي هذا المسلك بعدة تسميات، فهناك من يسميه طريق الهضاب، طريق السهوب الداخلية وهو طريق مساره أفقيا بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي وهو من أكثر الطرق التي سلكها الحجاج المغاربة نظرًا لسهولة تضاريسه ووفرة المياه بمحطاته، حيث أن معظم أركاب الحج تختاره سنويا حتى وإن لم تكن انطلاقتها من أحد مقاطعها وذلك لشهرته بين الحجاج ووقوعها في مستوى واحد مع طريق الحج الخارجية الرئيسة، ويجتاز هذا الطريق أركاب الحج المغربي السجلماسي والمراكشي والفاسي[2]، حيث يسلكها تجنبا للتصادم مع حكام الجزائر الأتراك، المتمكنين بصفة أخص في الشمال وفي طريقه التلي[3]، وسماه شريف أحمد الزهار بطريق الصحراء، وهذا في مذكراته عندما حج سيد محمد التجاني ويحتمل من قوله جهل أحمد الزهار للطرق الأخرى، حيث يذكر "..فذهب السيد

---

[1] مولاي بالحميسي: مرجع سابق، ص25.

[2] محمد المنوني: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان-المغرب، 1953، ص ص 8- 9.

[3] أحمد بوسعيد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية خلال الرحلات الحجازية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة أحمد دراية، أدرار-الجزائر، 2017-2018، ص ص129-130.

محمد للحج على طريق الصحراء"[1]، كما سمي أيضًا بطريق الصعاليك لكثرة النهب والاعتداءات التي كان يتعرض لها المغاربة، حيث ابن أبي محلي السجلماسي[2] أول من سماها بهذا الاسم في رحلته الأولى 1000هـ/1592م، حيث ذكر الصعوبات والمتاعب التي واجهته في رحلته[3].

يصف ابن محلي صعوبة وخطورة المسالك في قوله "فكانت مع طريق الصعاليك لفقد الركب يومئذ مع هجوم الحال وقوة السبب القاذف في يوم الترحال دون شروط الوجوب"[4]، وسمي بطريق الصعاليك أيضًا بسبب مرافقة فئة الصعاليك الحجاج المتمردين على نظام الركب والمستكفين عن أداء مهامهم لأركان الحج من خلالها[5].

سلك هذا الطريق عدة رحالة مغاربة مثل أبي محلي السجلماسي سنة 1000هـ/1592م، وأبو سالم العياشي في حجته الأولى سنة 1072هـ/1661م، احمد ابن ناصر الدرعي 1121هـ/1709م، ابن الطيب الشرقي الفاسي[6] سنة 1139هـ/1727م، وأبو العباس الهلالي

---

(1) أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص159.

(2) ابن أبي محلي السجلماسي: هو أبو العباس احمد بن عبد الله بن محمد بن أبي محلي الفيلالي العباسي السجلماسي ولد بسجلماسة سنة 967هـ/1560، كان من قادة الجيش زمن المولى زيدان، ادعى أنه المهدي المنتظر فكثر أتباعه وتمرد ودخل العاصمة مراكش له عدة مؤلفات، توفي سنة 1022هـ/1613م.ينظر: عبد الهادي التازي: رحلة الرحلات" مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة"، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض- المملكة العربية السعودية، 2005، ص177.

(3) أحمد بوسعيد: طريق الصعاليك في روايات الرحَّالين المغاربة خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، عن مؤتمر البحوث والدراسات الإفريقية، مؤتمر طرق الحج بإفريقيا، السودان، 2016، ص03.

(4) عبد المجيد قدوري: ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته "الإصليت الخريت"، منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، 1991، ص94.

(5) أحمد بوسعيد: ركب الحجاج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830م)، مرجع سابق، ص130.

(6) ابن الطيب الشرقي الفاسي: هو فخر الدين محمد الطبيب، و به عرف ابن محمد بن موسى الفاسي المدني المعروف بالشرقي ويطلق عليه أيضًا محمد بن الطيب التركي الصميلي، ولد في مدينة فاس سنة 1110هـ/1698م، ودرس بها وكان كثير التعلم له العديد من الشيوخ في المغرب والمشرق، رحل إلى المشرق للحج وجاور الحرمين الشريفين فداع صيته في مجال العلوم اللغوية والإسلامية فقصده الطلبة من كل مكان، توفي سنة 1171هـ/1759م. ينظر: محمد الطيب الشرقي: رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة، تح عارف أحمد عبد الغني، دار العراب، دمشق-سوريا، 2014، ص ص7-8.

السجلماسي[1]سنة 1150هـ/1737م، والحضيكي سنة 1152هـ/1739م وغيرهم، وهذا العدد من الرحلات يظهر مدى أهمية المسلك وأمنه لدى المغاربة.

2- مساره ومحطاته[2]:

يبدأ الطريق العرضاني من سجلماسة في المغرب الأقصى إلى حامة في بلاد الجريد مرورًا بالجزائر في مسار أفقي بين الأطلس التلي والصحراوي بمنطقة السهوب.

حرص الرحالة المغاربة على ذكر محطات رحلتهم ومراحلها، حيث لا تكاد تخلوا أي رحلة من ذكر مسار الرحلة وأهم ما يميز كل منطقة أخرى، ولم يكتف الرحالة بوصف المناطق بل وصف كل شاردة وواردة في طريقهم وذكر محاسن ومساوئ كل منطقة سواءً في معاملتهم للرحالة أو حياتهم اليومية، ويرتبط هذا الطريق ارتباطا وثيقا بالرحلات الحجازية، حيث ينطلق الركب من سجلماسة مرورًا بالعوينة[3] ثم فقيق وكرزاز، بوسمغون، الغاسول، عين ماضي، تاجموت، الأغواط، سيدي خالد، بسكرة، حيث يجتمع الأركاب المغاربية كلها في هذه الأخيرة [4]

3- تقييم الطريق العرضاني الأوسط:

شهد المسلك نشاطًا في القرنين 17 و18م من خلال كثرة الرحلات الحجية المارة به مقارنة بالمسالك الأخرى، ونظرًا لموقعه الواقع شمال الصحراء وهو الذي جعل أغلب الرحلات تسلك هذا

---

[1] أبو العباس الهلالي السجلماسي: هو أبو العباس احمد بن عبد العزيز بن الرشيد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن محمد" فتحا" بن محمد" ضما" بن الإمام باز النوازل أبي إسحاق إبراهيم بن الهلالي السجلماسي، ينحدر من أسرة اشتهرت بتوارثها للعلم أبا عن جد، ولد بسجلماسة عام 1113هـ/1701م، قام بالحج مرتين، توفي 1175هـ/1763م. ينظر فاطمة بلهواري: وصف الجنوب الصحراوي في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج06، ع07، 2010، ص38.

[2] ينظر الخريطة في الملحق رقم 02، ص133.

[3] العوينة: يقصد بها القنادسة، وقدر وردت في كتب الرحلات بهذا الاسم، وهي أولى قرى بشار ذات النخيل والتمر، لكن الأعراب من البدو الرحل غالبة غلبة لا يطب معها مقام رغب قرب ضيوف الرحمان. للمزيد ينظر: أحمد بوسعيد: طريق الصعاليك في روايات الرحَّالين المغاربة خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، مرجع سابق، ص4.

[4] عامر دحو: الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين 11-12هـ/17-18م، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ المغرب الحديث، إشراف: قريزة ربيعة، جامعة غرداية، الجزائر، 2020/2019، ص58.

الطريق والذي كان له عدة مميزات إيجابية كما كانت له معيقات أترت في الرحلة سواء كانت لظروف طبيعية أو لعوامل كان للإنسان يد فيها.

4- مميزاته "إيجابياته":

يعتبر الطريق العرضاني الأوسط المار بشمال الصحراء الجزائرية من أسهل المسالك للرحلات الحجازية المغاربية من خلال ما ذكرته كتب الرحلات وهو ما يميزه عن غيره لعدة عوامل:

أ- طبيعية:

- أهم ما يميز المسلك هو كثرة معاطن الماء سواءً كانت آبار أو عيون أو منابع، وهي التي تعتبر أساس الرحلة ولا يمكن الاستغناء عنه ولا يمكن لأي ركب الاستغناء عنه، حيث ذكرت كتب رحلات المغاربة معاطن الماء ونوعها في هذا المسلك.
- إضافة إلى وفرة المياه في الطريق، يعتبر الطريق من أسهل الطرق المارة بالصحراء الجزائرية لسهولة تضاريسه "نقص الرمال".
- يعتبر الطريق من أسهل المسالك وأقصرها، حيث أقصى مدة يقطعها ركب الحج هي 40 يوم.
- تقاطع الطريق بطرق القوافل التجارية سواءً القادمة من الشمال إلى الجنوب أو العكس والمحملة بالسلع المتنوعة.

ب- بشرية:

- تميز الطريق بكثرة المراكز، وهو ما ساعد أركاب الحجيج على أخذ هذا المسلك.
- أغلب الرحالة متصوفة والمسلك يعج بالأضرحة والمزارات.
- معاملة الأهالي لركب الحج واستقبالهم والترحيب بهم.
- نشاط الأسواق وتنوع السلع.

5- معيقات:

اعترضت ركب الحج بعض المعيقات في هذا الطريق والتي عرقلت من فترة اجتيازه على الركب، فكانت هناك بعض المعيقات طبيعية نتيجة الظروف التي اعترضت ركب الحج وأخرى بشرية حيث كان الإنسان أثر فيها.

- **طبيعية:**

ساهمت الظروف الطبيعية في إعاقة ركب الحج سواءً كانت بتغير الظروف المناخية أو التضاريس ككثرة الأمطار.

- **بشرية:**

اشتهر هذا المسلك بعدة عقبات كان الإنسان سببها، وكانت أركاب الحج مستهدفة من قبل قطاع الطرق وتعرضت أركاب الحج للسرقة، حيث يقول السجلماسي أنهم تعرضوا للسرقة في فقيق[1]، كما يذكر اليوسي عند دخوله خنق الملح ظاهرة نهب الركب من بعض القبائل[2]، وان أهم عائق كان يعترض القوافل الحجية أو التجارية في الصحراء الجزائرية خاصة في الطريق العرضاني الأوسط هو انتشار السرقة واللصوصية[3]، وكانت أهم هاجس يعترض الحجاج المغاربة وكانت في نظر اللصوص تجارة كما يقول السجلماسي" ... فقد اتخذ أقوام من يمر بهم الركب سرقة الحجاج تجارة عظيمة حتى أنهم على ما قيل يتداينون عليها كما يتداين الناس على غلاتهم نسأل السلامة والعافية" [4].

كما قدم الرحالة المغاربة نصائح مهمة لمرتادي المسلك كحتمية التزود بالسلاح واخذ الرفيق الصالح، وعدم التخلف عن الركب أو الابتعاد عنه حتى لا يتعرض للسرقة والهلاك من طرف قطاع

---

(1) أبي العباس الهلالي السجلماسي: التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، تح: محمد بوزيان بنعلي، مطبعة جسور، وجدة، المغرب، 2011م ، ص147.

(2) محمد العياشي بن الحسن اليوسي: رحلة اليوسي (1102-1101هـ / 1690-1691م)، تح احمد الباهي، مطبعة سوجيم، تونس، 2018، ص75.

(3) رشيد حفيان: امن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، مجلة كان التاريخية، ع27، 2015، ص ص 19-20.

(4) فاطمة بلهواري: مرجع سابق، ص44 .

الطرق[1]، وفي نفس الطرح يذكر الحضيكي[2] ضرورة اختيار الرفيق الصالح في قوله " ثم اعلم أيها الأخ إن من الأهم في ذاك الطريق أن تستعد وتختار أصحاب أمناء أقوياء، أصحاب تعاشرهم ثلاثة وأنت رابعهم مرافقة الأخيار وصحبتهم سنة العقلاء"[3]، ويذكر عبد السلام الناصري السرقة في أم القرى الغربية ويصفهم أنهم أهل سرقة واختلاسات[4]، وتحدث السجلماسي عن السرقة وامن الركب في عدة مواطن من رحلته[5]، إن أكثر شي عانى منه ركب الحج السرقة وكثرة الاعتداءات من طرف القبائل المتمردة على طول المسالك كقبلتي أولاد عكاز وأولاد صولة حسب ما ذكره عبد السلام الناصري، وأيضا ذكرها المصعبي[6].

---

[1] جلول بن قومار: هاجس الأمن عند ركب الحج المغاربة، مجلة الحوار المتوسطي، مج12، ع13، جامعة سيدي بلعباس، 2017، ص14.

[2] الحضيكي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الجزولي قبيلة، الحضيكي شهرة، الشاذلي طريقة، أحد أعلام سوس، ولد سنة 1118هـ/1706م، و بها نشأ ودرس، ثم طاف المغرب بحثا عن الشيوخ فأخذ عن عبد الله بن ابراهيم الجرسيفي، وأبي العباس الصوابي، وعدة شيوخ اخرين، وكاتب من لم يلقه فحصل على الإجازات الكثيرة من المغرب والمشرق،اشتهر بعلمه الغزير ورواياته الواسعة، فجلس للإقراء و الإسماع و استجازه معاصروه، وكثر بذلك تلاميذه، وتنوعت معارفه فشملت الحديث والفقه والسيرة والتاريخ والنحو واللغة وطبقات الرجال.. وقد توفي رحمه الله سنة 1189هـ/1775م .ينظر: رضوان الأهدب: الرحلات الحجازية" رحلة أبي عبد الله الحضيكي أنموذجا"، مجلة مدارات تاريخية ، مج04، ع04، 2019، ص309.

[3] محمد بن أحمد الحضيكي: طبقات الحضيكي، تق وتح: أحمد بومزكو، ج1، دار النجاح، الدار البيضاء-المغرب، 2006م، ص80.

[4] أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري: الرحلة الناصري الكبرى، تح: المهدي الغالي، ج1، دار ابن الرقراق لطباعة والنشر، ط1، المغرب، 2013م ، ص192.

[5] الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص ص 147، 169.

[6] المصعبي: هو الشيخ إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد بن عبد الله بن عبد العزيز الثميني اليسجني المصعبي، ولد ببني يزقن بغرداية، من ابرز أعلام الإباضية في القرن 12هـ/18م، اخذ العلم عن خاله عبد العزيز الثميني، برز في عدة علوم وتقلد الكثير من المناصب على غرار التدريس له عدة مؤلّفات ابرزها رحلته التي ألّفها بعد زيارته للبقاع المقدسة مابين سنتي1781/ 1782م،كان يملك مكتبة ثرية بنفيس المخطوطات انتقلت بعد وفاته إلى حفيده عبد الله بن محمد بن إبراهيم، توفي سنة 1232هـ/1817م. ينظر: ابراهيم بحاز وآخرون: معجم اعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت-لبنان، 2000، ص ص13-14.

ويذكر ذلك قائلا[1]:

أوينا لشيخ الركب ليلة خامس شريف عليا ذا وجاه فلاليا

وقد كان ذا صبر وحلم ورحمة علينا ومنهـــا رده للطواغيا

كأولاد عكـــاز أولاد صـــولة وغيرهم من كل طاغ معاديا

ويذكر الحضيكي ظاهرة أخرى غير ظاهرة السرقة، وهي ظاهرة خروج النسوة متزينات وتسوقهم مع الركب في منطقة عين ماضي، وقد حذر منهن في قوله" .. ونساؤها يرعن بالحسن والجمال إياك ثم إياك يا أخي أن تدخل القرية وألزم منزلك وخباءك، واغضض بصرك فإنهن يفتن من رمقهن ويخرجن للتسوق مع الحاج في منزله ولا يبيع ولا يشتري في تلك البلاد غالبا إلا النساء، وقد افتتن لهن عامة الحجاج"[2].

ثانيًا: الطريق العرضاني الجنوبي

مر الحجاج المغاربة بطريق يتوسط الصحراء الجزائرية، وهو من أصعب المسالك نظرًا لتباعد المراحل بين المحطات وصعوبة تضاريسه، وهو طريق يمر بمنطقة توت التي تعتبر مركزًا تجاريا وحاضرة محل اهتمام الحجاج المغاربة، وقد سلك هذا الطريق العياشي، حيث ذكر "...سبب اقامتنا في هذه البلاد في هذه المدة أن كثيرًا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصر إلى توات فإن الذهب فيها أرخص، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر... [3]

1- تسميته وموقعه:

سمي هذا الطريق بطريق الواحات لأنه يتوغل الصحراء ويمر بالواحات وأيضًا الطريق الصحراوي لأنه يتوغل في وسط الصحراء الجزائرية، ورغم خطورته وصعوبة تضاريسه إلا أن الحجاج فضلوا الطريق

---

[1] الشيخ ابراهيم بن بحمان: رحلة المصعبي، تح يحي بن بهون الحاج أمحمد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص68. عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص209.

[2] الحضيكي: مصدر سابق، ص86.

[3] عبد الله بن محمد العياشي المكنى أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية 1661-1663، تح وتق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي، ط1،مج1،أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص79.

لنشاط التجارة به، خاصة في الجزء الغربي منه وهو طريق آمن باعتبار أن أغلب الطرق تحت سيطرة القبائل لحماية القوافل وتكثر فيه مراكز البيع والشراء مما يضمن التزود بالمؤن والسلع[1].

اتخذ العياشي هذا الطريق في سفره لسببين إقتصادي المتمثل في صرف الذهب ونشاط الجزء الغربي من الطريق بالقوافل التجارية جغرافي توفر الماء والكلأ وكثرة الواحات[2].

كما سلكه أيضًا ابن مليح السراج وأعطى وصفا عن المسلك وهو مسلك آمن، ويذكر أنه التقى بعض العرب من التوارق وتعاملوا معهم وباعوا واشتروا منهم وخلال مروره بالمسلك بالصحراء الجزائرية لم يذكر تعرضهم للسرقة أو اعترض طريقهم قطاع الطرق[3]. كما ذكر أغلب معاطن تواجد الماء طيلة مروره بهذا المسلك. كما يسميه الحجاج القادمون من بلاد التكرور بالطريق الوسطانية[4].

2- مساره ومحطاته:

ينطلق الركب من سجلماسة في خط أفقي إلى توات، والتي تعتبر مركز أساسي تعبره القوافل التجارية والحجية لما يتميز به من أسواق ورخص السلع والمبادلات التجارية، ولما يصل الركب إلى توات ينقسم إلى فرعان طريق علوي وهو الذي سلكه أبو سالم العياشي وسفلي الطريق الذي سلكه ابن مليح ولكل طريق ما يميزه عن الآخر.

2-1. الطريق العلوي:

يتميز هذا المسلك بكثرة الحمادات وبوجود أحجار مبنية على مقاطع معينة من الطريق تغني عن كراء الدليل[5]، ومسار هذا الطريق حسب رحلة العياشي والذي سجل محطات التي مر بها بهذا

---

(1) فوزية كراز: مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية "الرحلات الحجازية"، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الجامعة الإفريقية العالمية، السودان، 2016م، ص161.

(2) مولاي بالحميسي: مرجع سابق، ص25.

(3) أبو عبد الله بن محمد بن أحمد القيسي "ابن مليح": أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تح: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس-المغرب، 1970، ص ص 31-32.

(4) أحمد بوسعيد: ركب الحجاج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830م)، مرجع سابق، ص130.

(5) نفسه، ص130.

الطريق بدقة حيث أنطلق من سجلماسة ثم عين العباس والرفاعية ليدخل صحراء الجزائر من واد الأساور "الساورة" ثم طاية الحمار، ثم واد جير ليمر بقرية اجلي وهي أولى قرى واد الساورة، ليصل إلى قرية مازر وبني العباس، ثم قرية بشير وصولا إلى موقع فم المدفع، ثم قرية بني خلف ونزل الركب بزاوية سي أحمد بن موسى، تسابت، توات، ثم أوقروت، ثم أولاد محمود، واد امكيدن، قرية والا، القليعة، المنيعة، زيارة، الجديد، الحماد، واركلا "ورقلة"، امكوسة "انقوسة" وادي ريغ، بلدة اكرك، تماسين، تكرت "تقرت"، سوفا، ماء الرياح، العلندا، نفزاوة أولى مدن المغرب الأدني[1].

2-2.الطريق السفلي:

تميز هذا الطريق بقلة معاطن المياه وصعوبة مسالكه الموحشة، حيث يتوغل في الصحراء مرورًا بعدة عقبات في هذا الطريق خاصة في الجزء الشرقي منه قبل الوصول إلى فزان.

ومسار هذا الطريق حسب رحلة ابن مليح السراج الذي انطلق من مراكش وصولاً إلى درعة ليدخل إلى تابلبالت ثم المعيتق ثم اركان "رقان"، ليصل إلى توات، ثم الدغامشة، ثم كسطن "قسطن"، صحراء آزكر، ليحط لرحال في واد أرسم الليل، ثم واد جان وواد تاخمالت، ثم سردلس، ليصل إلى فزان[2]، وكما ذكر سابقا يعتبر هذا المسلك من أصعب المسالك وأشقها، خاصة على الضعفاء من الحجاج، حيث أشرف الركب على الهلاك في صحراء آزكر قبل أن يصل إلى فزان، حيث يقول ابن مليح "قد انتفضت الجراب وعجزت الركاب وماتت الرواحل لبعد المراحل وقد أشرف الناس على الهلاك لولا لطف الواحد المالك..." [3]، وبعد ما عاناه ابن مليح في طريق الذهاب من مشاق ونصب، خاصة في صحراء آزكر التي قطعها الركب في قرابة 50 يوم، غيّر طريق عودته، سار الركب في صحراء تيديكلت أسفل توات وصولا واد ارسم الليل، ليغير ابن مليح مسار العودة من واد ارسم

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص- ص75-135.

(2) ابن مليح: مصدر سابق، ص- ص 27-30.

(3) نفسه، ص 32.

الليل لينصرف يمينا لصعوبة وحروشة أرضه وندرة مياهه وبعدها عن العمران ليصل إلى ان صالح ثم افران، ثم واصل الركب المسير بعد المبيت في افران إلى وادي الساورة ثم تابلبالت وإقليم درعة[1].

3- تقييم الطريق الصحراوي الجنوبي:

شهد هذا المسلك نشاطًا واسعًا في حركة القوافل، خاصة في شطره الغربي المار بمنطقة توات، والتي تعد مركزا هاما، ونقطة عبور وسوقا تجاريا بامتياز في جنوب الصحراء الجزائرية وهذا لالتقاء القوافل التجارية القادمة من الشمال أو من الجنوب أو من الشرق، وقد نص الرحالة المغاربة عن هذا المسلك بإيجابياته وسلبياته، سواءً في تضاريسه الجغرافية أو في وفرة مياهه وحتى من الجانب البشري، سواء السكان القاطنين بالمناطق التي يمر بها المسلك ومعاملتهم للحجاج أو تأثيرهم مثل الأسواق والزراعة والسلع.

3-1.إيجابياته: تميز المسلك الصحراوي الجنوبي بنشاط التجارة في الشطر الغربي منه، فقد سلك الرحالة المغاربة هذا الطريق لعدة مميزات رغم صعوبة المسالك وبعدها عن العمران.

أ- طبيعية:

أهم ما يميز المسلك هو أنه يتقاطع مع القوافل التجارية في منطقة توات والتي تعتبر مركز تجاري فيتزود الحجاج منه السلع والزاد سواءً في مرحلة الذهاب أو الإياب وكثرة الواحات ووجود الماء والكلأ خاصة في الطريق العلوي الرابط بين توات ونفزاوة[2].

وتباين المراحل في الطريق العلوي وكثرة محطات الركب ووفرة المياه خاصة ما بين مراكش وتوات، حيث يذكر ابن مليح الأودية ومعاطن المياه بنوعيتها، حيث لا يكاد يمر على مكان إلا ويذكر ويصف نوعية مياهه[3].

---

[1] بومدين كعبوش، إبراهيم بن مويزة: طريق الحج الصحراوي المغاربي من خلال رحلة ابن مليح السراج، مجلة دراسات وأبحاث، مج12، ع1، 2020، ص231.

[2] مولاي بالحميسي: مرجع سابق، ص25.

[3] ابن مليح: مصدر سابق، ص 26.

ب- بشرية:

كان للعامل البشري دور هام في هذا الطريق سواءً في الجانب الاقتصادي أو الجانب الأمني أو الديني، وقد دون الرحالة المغاربة كل هاته الجوانب وما يميزها في هذا الطريق.

- فضل العياشي هذا الطريق لأنه آمن إلى حد بعيد لأن أغلب الطرق تحت سيطرة القبائل لحراسة القوافل مما يعني أن ركب الحجيج عليه تأدية حفاوة المرور والحماية لها[1].
- الطريق يمر على توات وهو مجمع القوافل الآتية من تومبكتو وبلاد اكيدز من اطراف السودان، وفيه صرف الذهب أرخص كما ذكر العياشي في رحلته[2].
- لا تختلف مدينة وركله عن توات من حيث النشاط التجاري والبيع فيها كثيف، حيث أهم ميزة في هذا الطريق سهولة البيع والشراء ولا صعوبة في التعامل مع التجار.
- الطريق على طوله آمن حيث لم يذكر العياشي أو ابن مليح أنه اعترض طريق الركب قطاع الطرق أو أنهم تعرضوا للسرقة، بل وذكر ابن مليح أنه التقى بالتوارق وتعامل معهم والطريق آمن نسبيا[3].

3-2.معيقات الطريق "سلبياته":

لا يخلو الطريق من صعوبات اعترضت الحجاج المغاربة، وعلى الرغم من المميزات التي امتاز بها الطريق ونشاط القوافل إلا أن هناك صعوبات اعترضت الحجاج المغاربة والتي ذكرها العياشي وابن مليح تباعًا، وكانت هاته العقبات في الغالب طبيعية سواءً بفعل صعوبة التوغل في الصحراء أو التضاريس وكل ما وجده في الشطر الغربي من الطريق انعكس سلبا في الشطر الشرقي بمسلكين، حيث زادت هاته العراقيل من حدة السفر ومشقته رغم أن الحجاج كانوا على علم بهذا الطريق ومشقته خاصة أزمات العطش التي تعرض لها الحجاج المغاربة، فأول الصعوبات سجلت بين سجلماسة وإقليم توات، حيث يذكر العياشي "وبتنا قريبا من الركب في موضع يقال له واد البسط ثم

---

(1) فوزية كراز: مرجع سابق، ص161

(2) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص79.

(3) أحمد بوسعيد: ركب الحجاج الجزائري خلال العهد العثماني(1518-1830م)، مرجع سابق، ص130.

ارتحلنا منه وسرنا يوما إلى الليل في أرض حرشة وعرة، يغني عن وصفها ما لها من الشهرة، لا حطب فيها ولا كلأ ولا ماء إلا ما في القرب وإلا فلا"[1]، ويضيف أيضًا العياشي أن في نفس المكان أصابهم ريح بارد شبهه كأنه قادم من نفس جهنم، ولم يستطع وصف العاصفة ولم يجد الناس حطبا إلا الأخضر، كما يذكر ابن مليح صعوبة المسلك في صحراء آزكر، حيث كانت المسيرة بها قرابة 50 يوم بين توات وفزان، حيث يقول "وقد انتفضت الجراب وعجزت الركاب، وماتت الرواحل لبعد المراحل، وقد أشرف الناس على الهلاك"[2]، وصعوبة هاته المفازة جعلت ابن مليح يغير مسار رحلته أثناء عودته، كما زادت المتاعب في الطريق العلوي بين اوقروت وورقلة، حيث لم يكن لها حد، وشهد الركب عواصف رملية، ومرورًا بأرض حرشه، ويذكر العياشي أن هناك عدة صعوبات صادفت طريقهم، ويصف في طريقة صعوبة طول المفازات كقوله "أرض جرداء حرشاء لا علم فيها إلا المرايرالتي شقت على سلوكها المزاير وأرجام على الطريق جنبية[3]، ويذكر أيضًا في حول قضية دفن أماكن تواجد الماء "وجدنا الماء المناهل قد دفنها أولاد محمد، عرب توات، خائفين من عدوهم سعيد أن يغيروا عليهم، فطمسوا ما في طريقهم من الماء لأجل ذلك"[4]، كما صادفت طريقهم عواصف رملية، حيث لا تفتح العين إلا مُلئت رمالاً، ومرورًا بأرض صعبة حرشه، ويصفها العياشي كأنها أرض المحشر ومحل المنشر، حيث يقول "...أرض سوداء شقية، لا تسمع فيها إلا همسا ولا يسلك الدليل فيها إلا حدسا، أرض عزفت في حروشها النعال، وآلمت أخفاف الإبل وحوافر البغال"[5]، ويصفها العياشي بأنها شر البقاع، وما زادها حدة وصعوبة تعرض الركب للجوع والعطش وعانى الركب من الشدة والتعب، ويعتبر هذا الجزء من أشد المفازات صعوبة طبيعيا على مستوى المغربين الأقصى والأوسط[6].

وفي الأخير يبدوا من خلال دراسة رحلة العياشي والسراج وتتبع ما ذكراه أن الطريق صعب، إن لم اقل

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص75.

(2) ابن مليح السراج: مصدر سابق، ص 32.

(3) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص113.

(4) نفسه، ص107.

(5) فوزية كراز: مرجع سابق، ص161

(6) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص113.

مستحيل اجتيازه في فترة الصيف، وما يؤكد أن الرحالة سلكوا هذا الطريق في فصل الشتاء عدة عوامل ومؤشرات ذكرها الرحالة في رحلتهم أبرزها:

- تاريخ الخروج: خرج ابن مليح من مراكش يوم الاثنين آخر شهر صفر عام 1040هـ الموافق لـ07 أكتوبر 1630م، وهو يدل على نهاية فصل الخريف ودخول فصل الشتاء مما يسهل التوغل في الصحراء وتفادي الحرارة وأزمات العطش، وخروج أبي سالم العياشي من سجلماسة يوم أول من ربيع الثاني 1072هـ الموافق ل نوفمبر 1661م وهذا أيضًا يؤكد ما سبق.
- ما ورد في الرحلة: يذكر أبو سالم العياشي في رحلته قبل دخوله توات أصابهم ريح بارد، ووصفة للنبات وتفتح أزهارها يدل أنها في أواخر فصل الشتاء.

ثالثًا: طريق الركب الشنقيطي

شهدت بلاد المغاربة عدة رحلات حجازية اختلطت فيها شتى مجتمعات المغرب، وفي الفترة الحديثة اتخذت الرحلات الحجازية مسارًا آخر، حيث كانت في الفترة الوسيطة أغلب رحلاتها بحرًا، ونظرًا للظروف الأمنية في البحر الأبيض المتوسط واكتشاف مسالك برية، حيث كانت هاته المسالك في الغالب تمر بالصحراء الكبرى، والصحراء الجزائرية شهدت مرور عدة أركاب على غرار الركب المغرب والركب الشنقيطي بالصحراء الجزائرية.

1-تسميته:

تعود تسميته إلى أصل الركب ومنطلقه، وإن أول رحلة حجازية مدونة خرجت من بلاد شنقيط هي رحلة الحاج البشير البرتلي[1] سنة 1789/1204م[2]، وتعد الرحلة من أجمل ما ألف في فن الرحلة المغاربية عمومًا والشنقيطية خصوصًا، وقدم البرتلي وصفا دقيقا لكل ما شاهده في رحلته، و

---

[1] الحاج البشير البرتلي:هو الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب عمر البرتلي المتوفى سنة 1214هـ/1800م الولاتي دارا ومسكنا ومنشأ، ينتمي الى قبيلة بارتيل ونسب اليها وهي مشهورة بعلمائها وشيوخها، لا توجد معلومات كثيرة عن حياته. ينظر: البرتلي الحاج البشير: اقدم رحلة شنقيطية مدونة" الرحلة المباركة للحاج محمد البشير البرتلي بن ابي بكر البرتلي الولاتي 1204-1206هـ/1789-1791م" تح: عمرو عبد العزيز منير، دار بريل، 2021، متاحة للاطلاع على الموقع https://brill.com/view/title/59626، تاريخ الإطلاع 12ماي 2021 على الساعة 21و 52دقيقة، ص23

[2] جلول بن قومار: مرجع سابق، ص13.

دونت الرحلة من ولاية ولاته إلى الحرمين الشريفين ما بين (1205/1204هـ/1789-1790م) [1]، وشهد الركب الشنقيطي عدة رحلات كرحلة ابن طوير الجنة "رحلة المن والمنة "[2]

2-مساره ومحطاته[3]: كان

للركب الشنقيطي عدة مسالك للحج، فهناك من سلكها بحرًا مثل رحلة ماء العينين، وهناك من سلك طريق مالي إلى السودان ثم إلى الحجاز وهو ما كان غالبا ما سلكه الركب الشنقيطي مثل محمد الأمين الشنقيطي[4].

والذي يهمني من الرحلة الشنقيطية الرحلات التي مرت بالصحراء الجزائرية، ولعل أبرز الرحلات التي مرت بالصحراء الجزائرية رحلة البشير البرتلي سنة 1789م، حيث خرج الركب من ولاته باتجاه توات يوم 25 صفر 1204هـ/1789م وهو المسلك الذي يسلكه الركب المنطلق من ولاته ضمن ركب الحج الذي يضم مجموعة كبيرة من أكابر ولاته ومقدميهم[5]، وانطلق الركب من ولاته إلى ازواد شمال مالي حاليًا، حيث كانت قرية بوجبيهة أول قرى أزواد، ثم ينطلق الركب إلى تمبكتو ثم يعود إلى بوجبيهة، ثم قرية المأمون ومنها إلى قرية المبروك، ليتجه الركب شمالاً عبر طريق سالكة المعروفة لدى الأركاب ليقطع صحراء تنزروفت ليصل توات[6].

تعد رحلة البرتلي المصدر الوحيد الذي وصف صحراء تنزروفت الموحشة ومعاناة الركب بها، وبعد قطع مفازة صحراء تنزروفت دخل الركب بلاد توات بقرى اقبلي مجمع ركب الحج، ليخرج باتجاه مدينة عين صالح وصولا بقرية اوباري أولى قرى فزان.

---

[1] عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد باعثمان: طريق ركب الحج الشنقيطي من خلال رحلة الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي المتوفي سنة 1800م، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، مصر، 2016، ص4.

[2] الطالب أحمد بن طوير الجنة الحاجي الوادايي: تاريخ ابن طوير الجنة، تح: سيد أحمد بن أحمد سالم، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 1995، ص05.

[3] ينظر الخريطة في الملحق رقم 03، ص134.

[4] جلول دوامي عبد القادر: أعلام آداب الرحلات المغربية (رحلة الأمين الشنقيطي إلى الحج)، مجلة تاريخ العلوم، جامعة الجلفة، ع06، 2017م، ص181.

[5] عامر دحو: مرجع سابق، ص62.

[6] عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد باعثمان: مرجع سابق، ص07.

3-تقييم مسلك ركب الحج الشنقيطي:

بعد التطرق إلى رحلة الحاج البشير البرتلي وهي الرحلة الوحيدة التي مرت بالصحراء الجزائرية في الفترة الحديثة والتي انطلقت من بلاد شنقيط وما يميز هاته الرحلة أنها المصدر الوحيد التي ذكرت ووصفت صحراء تنزروفت.

3-1.إيجابيات المسلك:

تكاد إيجابيات هذا المسلك منعدمة لأنه محفوف بالمخاطر، خاصة من قطع الركب الصحراء الموحشة، لكن هناك بعض المحفزات خاصة في زيارة الصلحاء والأضرحة، حيث ذهب الركب إلى تمبكتو لزيارة قبور الصالحين ولقاء علمائها، حيث زار الحاج البشير البرتلي مجموعة من مزارات ومساجد تمبكتو وقرية بوجبيهة، حيث استجاز الشيخ محمد الأمين بن أحمد الكلسوكي الجبيهي في كتاب الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى بأجازه[1].

وفي هذا المسلك لقي الركب من حسن الضيافة والترحيب بزاوية أبي نعامة، ويتحدث عن اتصاف أهل مدينة عين صالح بالضيافة وحسن الكرم وخدمة الحجيج، وأهم ما يميز وما يستحسن في هذا المسلك طريق سالكة التي تعرفها الأركاب، وهي معلومة الآبار والمحطات، حيث تمر الأركاب بعدة آبار كبئر اشوراط وبئر تنصضيس، ويكون هذا المسلك بين تمبكتو وصحراء تنزرفت[2].

3-2.معيقات المسلك "صعوباته"

لكل مسلك إيجابيات وسلبيات حتى وإن كانت قليلة، فقد شهد مسلك ركب الحج الشنقيطي معيقات اعترضت طريقة أو أخرت مسيرة الركب.

أ- طبيعية:

إن أهم ما يعترض طريق الركب الشنقيطي هو صحراء تنزروفت الموحشة، حيث سماها الفرنسيون صحراء العطش، لانعدام المياه فيها ومنابع المياه، وهي أخطر وأصعب مرحلة بين أزواد وتوات[3].

---

(1) عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد بعثمان: ص08.

(2) نفسه، ص ص 6-7.

(3) عامر دحو: مرجع سابق، ص72.

وصحراء تنزروفت أرض حصوية خشنة مستوية لا شجر فيها ولا نبات ولا حيوان، قطع الركب هاته المفازة في أسبوع كامل ليصل الركب أول منبع مائي على مشارف قرية ولن في إقليم توات التي تعتبر مركز استراحة بعد قطع المفازة، وتعتبر حسب البرتلي مفازة عظيمة، وهي من أخطر المراحل في الطريق من منطقة أزواد شمال مالي إلى توات وقدم وصفا مفصلا عنها"[1]، كما تقل منابع المياه في الشطر الثالث من المسلك الرابط بين عين صالح وفزان، ويعتبر هذا الطريق استثنائي لان في الغالب ما يندمج الركب الشنقيطي مع الركب المغربي والركب السوداني.

ب- بشرية:

لم يذكر البرتلي صعوبات أو هجومات من قبائل لسرقة الركب أو اعترضت طريقهم حتى وأن الركب انحرف عن الطريق المعهودة في الشطر الرابط بين عين صالح وفزان لجهة اليمين تحاشيا بعض اعراب المنطقة وخوفا من تعرضهم لهم[2].

المبحث الثاني: مصادر الماء في الرحلات الحجازية

يعتبر الماء مصدر الحياة وهو عنصر مهم لكل المخلوقات، وارتبطت حياة الإنسان منذ وجوده على سطح الأرض بعنصر الماء وازدادت أهميته مع تطور الحياة فقد قامت معظم الحضارات وازدهرت على ضفاف الأنهار والوديان والعيون، وعمل الإنسان جاهدا من أجل توفير هاته المادة منذ القدم.

وقد كانت الرحلات منذ العصور الوسطى تبع مناطق تواجد الماء والأودية، حيث أترث في تحديد مسالك الرحلات، والرحلات الحجازية المغاربية دونت ، والغالب ركز الرحالة على أماكن تواجد الماء بشتى أنواعها وذكرت طرق استخراجه، ولما كان أركاب الحج المغاربة تشق طريقها إلى الحج برًا مرورًا بالصحراء الجزائرية فقد وفرة مادة دسمة حول أماكن تواجد الآبار والعيون والأودية ومدى وفرة الماء بها، كما قدم الرحالة المغاربة نصائح حول أماكن تواجدها ونوعيتها، ونظرًا لأهمية

(1) عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد بعثمان: مرجع سابق، ص ص14-15.

(2) نفسه: ص8.

الماء في الرحلة كان المثل الشعبي السائد "ارفد الماء ولو كان تحط على الماء وما تصرف ماء حتى تصيب ما"، والمقصود منه الاحتياط والاقتصاد في استعمال الماء وعدم الاسراف فيه.

أولا: الآبار

أسهبت كتب الرحلات خلال الفترة الحديثة بذكر الآبار في مسار رحلاتها إلى الحج عامة وفي الصحراء الجزائرية خاصة، وذكر الرحالين عبر رحلاتهم ابرز الآبار، وأهم ما يميزه ومواصفاته ونوعية ماءه.

1- تعريف الآبار:

الآبار: جمع بئر مأخوذة من "بأر"، أي حفر، وجمع القة "أبؤر" و"آبر" وجمع الكثرة منها بئار والبئر انثى وهي القليب، ويقال آبار فلانًا أي جعل له بئرًا، وابتأر أي حفر[1].

يعرف البئر هو ما تجاوز عملية الحفر متر واحد بحثا عن الماء، وعند مقارنته في مكان آخر بين البئر والعين يذكر أن العين عندما يضعف منسوبها بعض الشيء ويتحجر الماء بقعر حفرتها حتى يكون في حاجة إلى رفعه لاستغلاله تتحول إلى بئر، وإذا ارتفع منسوبها من جديد وعادت إلى السيلان فوق الأرض صارت عينا مرة أخرى[2].

والبئر حسب ما سبق هي حفرة يزيد عمقها عن متر واحد ويكون ماؤها بحاجة إلى رفعه منها لاستهلاكه، ويعود أصل مياهه إلى المياه الباطنية أو مياه الأودية المتسربة إلى باطن الأرض.

2- الآبار في الطريق العرضاني الأوسط:

لقد شكلت الآبار أهمية بالغة في مسالك الرحلات الحجازية وطرق القوافل التجارية، وكونها أحد مصادر الماء بالطرق، حيث دون الرحالة المغاربة نوعية الآبار ومكانها وطرق حفرها، حيث يقول أبو سالم العياشي "ومن غرائب هذه البلدة استخراج عيون الماء الغزير بحفر الآبار، فيحفرون بئرًا نحوا من خمسين قامة، ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض فينقرونه، فإذا انفجوه فاض منه الماء

---

[1] هزاع بن زهير بن معيض الشهري: أحكام آبار المياه في الفقه الإسلامي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص فقه، إشراف: محمد بن منصور مدخلي، جامعة الملك خالد، السعودية، 2011، ص20.

[2] محمد بن عميرة: الآبار وطرق استغلالها ببلاد المغرب في العصر الوسيط، مجلة جامعة الجزائر، ع03، 2013، ص165.

فيضانا قويا"[1]. ويقول أحمد الناصري "وأصبحنا على البئر الذي يخنق أم القرار الغربية وسقينا دوابنا وسرنا"[2]، ويذكر السجلماسي بعد خروجه من بوسمغول بئر ماؤه عذب، حيث يقول "وعند العصر مررنا بماء عذب في وسط بئر وسط واد يسار الطريق"، كما يعطي عبد السلام الناصري وصفا دقيقا للآبار أين صادفت طريقه مثل "...ثم بئر ابن حسون وماؤه صالح وربما غار في الصيف"[3].

ويضيف عبد السلام الناصري، يصف الآبار وعمقها ونوعية مائها، حيث يقول "ثم على آبار الفتح وهي قريبة القعر، كثيرة الماء مع عذوبته"، ومر الركب على بئر بلياطة ولا بأس بمائها"[4].

قدم عبد السلام الناصري وصفا مسهبا لأماكن تواجد الآبار ومسمياتها على غرار بعض الرحالة الذي اكتفوا بذكر الماء فقط ولم يذكروا هل هو بئر أم عين مثل اليوسي والحضيكي، حيث يقول الحضيكي "وارتحلنا منها ومررنا بالغد على قرية ذات نخيل ومياه فواكه، على يمين الطرق... ثم بعد يومين أو ثلاثة نزلنا ماء"[5].

ومن خلال النص المقتبس من الرحلة يبرز عدم تركيز الحضيكي على نوعية الماء ومصدره، وهو أيضًا ما قاله اليوسي في رحلته لم يذكر الآبار لكنه قدم وصفا دقيقا لنوعية الماء ومصدرها وربما يسمى البئر عينا من خلال غالبية نص رحلته، فاليوسي يكتفي بذكر المراكز والبلاد التي مر بها ونوعية مائها دون ذكر مصدره، حيث يقول "ثم صبحنا قرية عين ماضي ماؤها حلو وأيضًا قرية تجموت ماؤها قوي مالح وقرية لغواط وماؤها عجيب"[6].

---

[1] أبو العباس أحمد بن محمد ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية 1709-1710 م، تح: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص127.

[2] أبي العباس الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص101.

[3] عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص191.

[4] نفسه، ص ص191-192.

[5] أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي: مصدر سابق، ص85.

[6] محمد العياشي بن الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص76.

بينما يذكر أحمد الناصر الدرعي الآبار بدقة لا تقل دقة عن عبد السلام الناصري، وعند دخوله بسكرة يذكر مصدر ونوعية الماء [1]،ويذكر عبد السلام الناصري أيضًا نزولهم بئر أبي الغيران ومن أطيب مياه الدنيا"[2].

3- الآبار في الطريق الصحراوي الجنوبي وطرق ركب الحج الشنقيطي

شهد الطريق الصحراوي الجنوبي حركية واسعة لنشاط التجارة خاصة في منطقة توات التي تعتبر مركز تجاري، ومكان لاتقاء ركب الحج القادم بلاد التكرور وبلاد المغرب، وكان المسلك يتميز بصعوبة تضاريسه ونذرة المياه الجارية الدائمة السيلان كونه يمر بالصحراء، فتكثر بالمسلك المياه الباطنية المتمثلة في الآبار وكل من مر به إلا قدم وصفا له سواءً كانت ركب الحج أو القوافل التجارية، وتزداد أهمية الماء في هذا المسلك عن غيره نظرًا لصعوبة تضاريسه ووحوشة المفازات التي تقطعها القوافل، فقد قام بعض الحجيج بحفر آبار سميت على أسمائهم[3] ، وكانت الآبار الطريقة التي حاول من خلالها الإنسان التغلب على ندرة المياه بالصحراء والتأقلم مع خصائصها الصعبة، حيث قدمت كتب الرحلات الحجازية وصفًا قيمًا لمعاطن تواجد الماء في هذا المسلك.

أ- ما قبل منطقة توات:تعبر منطقة توات مركز التقاء الأركاب القادمة من بلاد التكرور وبلاد السودان الغربي القادمة أيضًا من المغرب الأقصى، حيث كانت مركز إلتقاء أركاب الحج مع بعضها ليواصلوا الرحلة باتجاه فزان.

أ-1. الآبار من بلاد المغرب الأقصى إلى توات: تقصّى وتتبّع الرحالة معاطن تواجد الماء طيلة اجتيازهم المسلك، وتحدث العياشي بعد خروجه من سجلماسة عن مكان بات الركب عنده وبه آبار، حيث يقول "ثم نزلنا ذلك اليوم عشاءًا منهلا يسمى الرفاهية، وهي احساء تحفر في رمل وماؤها

---

[1]أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص145.

[2] عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص193.

[3]مثل ابيار مولاي الرشيد. ينظر: محمد العياشي بن الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص73.

طيب كالذي قبله" [1]، ويعطي ابن مليح تصور عن معاطن الماء منذ خروجه من مراكش باتجاه توات، حيث يصف بلاد تابلبالت عند دخولها وكثرة مياهها، ويذكر بعدها بمرحلة لمورد به آبار قصار ومورد العقلة، ويضيف وصفه إلى أن يقول "في آخر الثلاث نزل الركب على بئر تعرف بالمعيتق "ثم مورد يعرف بالسيفر فيه نحو ثلاثة آبار ماؤها تفيل يمج"[2]، وقد سلك الرحالين العياشي وابن مليح السراج المسلك الصحراوي انطلاقا من سجلماسة ومراكش على التوالي متقفين أماكن تواجد الماء وقدم الرحالين وصفا للآبار ونوعها ومصادر المياه طيلة رحلتهم حتى وصولهم إلى منطقة توات.

أ-2. الآبار من بلاد شنقيط إلى توات: تعتبر رحلة الحاج البشير البرتلي أول رحلة انطلقت من ولاته باتجاه الحجاز مرورًا بالصحراء الجزائرية، حيث ذكر مراحل رحلته بدقة وخاصة في الشطر ما بين تومبكتو[3] وتوات في الصحراء الموحشة صحراء تنزروفت، ومروره بطريق سالكة، وهذه الطريق المعروفة لدى الأركاب والقوافل، وهي معلومة الآبار والمحطات.

مر الركب الشنقيطي ببئر الشوارط، وبئر تنصضير وهي آبار قبل التوغل في صحراء تنزروفت، وبعد توغل الركب في صحراء تنزروفت الموحشة والقاحلة اتجه الركب أول منبع مائي مشرف على بلاد توات وهو بئر ولن أو أيولان[4].

ب- الآبار في الطريق العلوية والسفلية: سلكت أركاب الحج طريقين للتوغل داخل الصحراء الجزائرية والوصول إلى المراكز المجاورة متتبعين المراكز التجارية والحواضر ومعاطن الماء، حيث سلك أبو سالم العياشي الطريق العلوية انطلاقا من توات وصولا إلى نفزاوة مرورا بالمنيعة وورقلة ووادي ريغ وواد سوف[5].

---

[1] أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص75

[2] ابن مليح: مصدر سابق، ص28.

[3] تومبكتو: يقصد بها حافظة الأمانات وهو مأخوذ من اسم امرأة من الطوارق اسمها (تن بكتاون) أي حافظة الأمانات، كانت تقطن في الموقع الذي تأسست عليه المدينة فيما بعد، ويرى "السعدي" أنها تأسست في أواخر القرن الخامس الهجري على يد الطوارق، ينظر: عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، باريس-فرنسا، 1981، ص20.

[4] عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد بعثمان: مرجع سابق، ص8.

[5] ينظر الخريطة في الملحق رقم 04، ص135.

وسلك ابن مليح السراج والحاج بشير البرتلي الطريق السفلي من توات إلى فزان مرورا بإقليم تيدكلت وعين صالح وصحراء آزكر[1].

ب–1. الآبار في الطريق العلوية: يعتبر هذا الطريق من أبرز الطرق الذي يربط المركزين التجاريين المهمين بين توات وورقلة، حيث اجتاز أبو سالم العياشي هذا الطريق وقدم وصفا دقيقا لكل ما رآه أو سمع عنه أثناء مروره به، ولم يغفل العياشي عن ذكر معاطن الماء والمراحل بينها، وبعد خروج العياشي من توات تحدث عن الفقاقير وأعطى تعريفا لها حيث يقول "ويسميها أهل البلد بالفقاقير، وهو أنسب لأنها آبار متعددة بفقر بئر من جنب كل واحد إلى الأخر، فيزيد ماءه وينمو مع زيادة ماء غيره عليه، ولا يزال حتى يخرج على وجه الأرض فتسقى به الأجنة والمزارع[2].

ويضيف العياشي واصفا معاطن الماء والقرى، حيث يذكر عند وصوله مدينة المنيعة أنها كثيرة الآبار ومياهها طيبة، والملاحظ من خلال ما ذكره العياشي دقته في ذكر مصادر تواجد الماء ونوعها، ويذكر بئر زيرارة ويعطي وصفا دقيقا لمكانها وطولها السحيق ومذاقها الحلو مثل ما يذكره المثل العربي "ما أحلى ماءكِ وما أبعده يا زيرارة"، وبعد رحيل العياشي من المنيعة نزل على بئر ولة وبه ماء وفير، وذكر طريقة استخراج الماء في مدينة ورقلة، حيث يقول "من غرائب هذه البلدة استخراج عيون الماء الغزير بحفر الآبار فيحفرون بئر نحو خمسين قامة، ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض فينقرونه فإذا نقبوه فاض منه الماء فيضان قوي ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئر ويصير عينا[3]، ويقول الحاج الدين الأغواطي عن استخراج الماء بها "والماء فيها يجلب بحفر بئر على عمق 170 ذراعا[4]، حيث يصل إلى البحر الحلو ويمتلئ البئر في الحال ويصبح جدولا جاريا"[5]، كما يصف العياشي

---

[1] ينظر الخريطة في الملحق رقم 05، ص136.

[2]أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص82.

[3]نفسه ، ص –ص 112–118.

[4]الذراع: مقياس لقياس الطول كانت تستعمل قديما، ويقاس بذراع الرجل حيث يقدر ذراع بحوالي 50 سنتيمتر.

[5]ابن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية "رحلات جزائرية" ، تر وتح: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة، الحراش–الجزائر، 2011، ص92.

الآبار في منطقة واد سوف ويذكر أن الماء قريب من السطح كما هو الحال في منطقة الرباح والعلندا[1].

ب-2. الآبار في الطريق السفلي: ينطلق الركب من توات ليمر بعدة مراكز متقصيا معاطن تواجد الماء، ونظرًا لقلتها وقد كان الطريق موحش، صعب على أركاب الحج[2].

سلك هذا الطريق ابن مليح السراج والحاج بشير البرتلي ويعتبران من أهم وأبرز الرحلات التي دونت جغرافيا وتضاريس هذا الطريق، خاصة صحراء آزكر التي تعتبر من أصعب وأخطر وأطول المراحل[3]، وبعد وصول ابن مليح إلى بلاد توات وأخذ قسط من الراحة والالتقاء بالأركاب لمواصلة الرحلة والتهيؤ لدخول صحراء آزكر حيث دخل الركب بعدها واد أفلساس ويوجد به بئر واحد، وحفر الركب بئر آخر والانتقال بعدها ثلاثة مراحل في صحراء قاحلة إلى واد أرسم الليل وفيه آبار لم يذكر اسمها، وبعد قطع ثلاثة مراحل وصل الركب إلى مورد العيوج، وفيه بئر واحد عميق جدًا ثم بئر بيض عقلة، وبعده اجتاز وقطع مسافة ثلاثة مراحل وصل الركب إلى بئر سيدي موسى بن معرف صاحب ركب فاس، وقبله بئر لم يذكر اسمه[4]،كما ذكر بئر قربه عدد من النخيل ومورد آخر يسمى الغربان ومورد سردلس وبه عدة آبار كثيرة المياه، وبعد مشقة السير اجتاز صحراء آزكر، وصل الركب في فزان وذكر ابن مليح الآبار بدقة، وما يلاحظ كثرها في هذا المسلك، والأمر الذي لم يفصح عنه ابن المليح هو نوعها.

ثانيًا: الأودية

تعتبر الأودية أحد أهم مصادر المياه في الصحراء، حيث قامت على ضفافها المراكز التجارية والواحات التي ساعدت على ازدهار الحياة في الصحراء الجزائرية وتشكل الحواضر، وفي الغالب الأودية تتشكل بعد تساقط الأمطار[5]، وتشكل الأودية في مسالك الطرقات محل اهتمام الرحالة، حيث

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص123.

(2) أحمد بوسعيد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني، مرجع سابق، ص130.

(3) كعبوش بومدين بن مويزة إبراهيم: مرجع سابق، ص229.

(4) ابن مليح: مصدر سابق، ص ص30-32.

(5) قادة الدين: أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية، مجلة قضايا التاريخية، ع7، 2017، ص67.

يذكر الرحالة أهم الأودية ومدى أهميتها نظرًا لافتقار الصحراء للأنهار وقلة الأمطار مما يجعل الوادي من أبرز وأحد مقاصد واهتمامات الرحالة، وارتبطت اتجاهات ومسالك الطرق بأماكن وفرت المياه والكلأ وتواجد الأودية[1].

أ-الأدوية في الطريق العرضاني الأوسط:

اهتم الرحالة المغاربة بذكر معاطن تواجد الماء ومصدرها بالمسلك، ولا يكاد الرحالة يقطع مرحلة إلا ويذكر مصدر للماء، والأودية كغيرها من مصادر الماء فقد أسهب الرحالة المغاربة في ذكر أماكن تواجدها وما يميزها في هذا المسلك، ويذكر عبد السلام الناصري عند خروجه من سجلماسه معاطن مياه حتى دخوله الصحراء الجزائرية، حيث يقول "ثم بتنا بواد كير القريب ماءه من الأُجاج فوجدناه قريب العهد بالسيلان"[2]. ويُقدم الهلالي السجلماسي وصفا للوادي نفسه وأنه لا ينفع لأجاجة ماءه وأن الركب لم ينتفع منه[3].

ويذكر عبد السلام الناصري واد العرجا، وهو واد ليس به ماء، وواد درمل، وقد سال بالأمطار وبه مرعى للإبل[4]، وقد قدم الدرعي وصفا لودي جير ولم يصف نوعه، ويقدم وصفا لواد الساورة[5]. تكثر الأودية في هذا المسلك ويذكر الحضيكي هو أيضًا أماكن تواجد الماء، حيث يقول "نزلنا بواد الشبور بعد مراحل... واد جير جار بالماء صيفا وشتاء"[6].

ويذكر أحمد الدرعي واد درمل ويقدم وصفا له وأنه كان جديد السيل، حيث يقول "ثم بلغنا يوم الثلاثاء ونزلنا بواد درمل بعد الظهر...ووجدنا به ماء قليل إلا أنه يكفي الحجاج ووجدناه قريب

---

(1) رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: خليفة حماش، جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة، 2013-2014، ص45.

(2) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص183.

(3) الهلالي السجلماسي: مصدر سباق، ص137

(4) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص191.

(5) أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص124.

(6) الحضيكي: مصدر سابق، ص84. عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص130.

عهدا بسيل، بل الماء به كثير إلا أنه كان فوق الواد لم يرى الناس حتى رحلوا"[1]، وهو واد كثير الحطب فيه مياه في مواضع بعضها ملح أجاج وبعضها عذب فرات[2].

ومر الركب بواد الصم وبه ماء عذب وقصب كثير واشتهر عند الحجاج بواد القصب[3]، وذكر عبد السلام الناصري أيضًا واد يسمى واد الخنافس وماؤه عذب طيب[4]. كما لم يغفل السجلماسي عن ذكر الأودية وبعد خروجه من الغاسول ذكر واد مخيليف[5]. وأورد اليوسي واد مزي ونوعه حيث أن ماءه مالح قوي[6]، ويذكره الناصري باسم واد امز[7]. كما يصف معاطن الماء حيث يذكر واد الربى وواد ملال، ويتحدث أيضًا عن واد أبي الجواد المسمى بالفج وواد الحوت وواد النتلة وواد الحميضة، كما يذكر واد لكراكد ويصف مياهه بأنها عذبة لا تنقطع صيفا وشتاء[8]. ويورد لنا أحمد الدرعي ويقدم وصفا عن واد الجدي[9].

تكثر الأودية في هذا المسلك وبشهادة كل الرحالة الذين مروا به، وقد قدم عبد السلام الناصري وصفا دقيقا عن الأودية، حيث تكثر في الشطر الغربي وتقل في الشطر الشرقي من المسلك.

ب- الأودية في الطريق الصحرواي الجنوبي وطريق الركب الشنقيطي:

قدم الرحالة المغاربة طبوغرافيا المسالك الصحراوية، حيث يذكر العياشي، الذي سلك هذا الطريق منطلقا من سجلماسة باتجاه توات ثم المنيعة فورقلة وواد ريغ، ثم سوف ونفزاوة، حيث قدم وصفا دقيقا لكل ما صادفه، ومثله أيضًا ابن مليح السراج، الحاج بشير البرتلي اللذان سلكا طريق آخر وكانت توات مركزا لإلتقاء الأركاب التي تنطلق منها باتجاه فزان، وهذه الصحراء مشهورة بقلة

---

(1) أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص127.

(2) الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص161.

(3) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص192. أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص127. والهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص162.

(4) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص 197.

(5) الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص173.

(6) محمد العياشي بن الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص76.

(7) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص206.

(8)عبد السلام الناصري: مصدر سابق ، ص ص 197-208.

(9) أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص711.

معاطن الماء والأودية كغيرها من مصادر الماء فقد تتبع الرحالة مكان تواجدها في المسالك وإعطاء وصفا لها.

ب–1. الأودية ما قبل توات: ذكر الرحالة المغاربة الأودية في مسالك الرحلات ومدى أهميتها، حيث يذكر العياشي الذي اختار المسلك الصحراوي الجنوبي طبوغرافيا هذا الطريق منذ خروجه من سجلماسة، يصف الأودية حيث يقول "وبتنا قريبا من الركب في واد يقال له واد السبط"[1].

وكذلك ابن المليح الذي سار في نفس الطريق باتجاه توات، ويعطي وصفا دقيقا لوادي تافيلالت[2]، ويذكر العياشي وادي جير، الذي قدم وصفا دقيقا له[3]، وهو الواد الذي مر أيضًا عبد السلام الناصري وأعطى وصفا مشابها لوصف أبو سالم العياشي، ومما ما ذكره الرحالة يمكن القول أن الواد هو نقطة وصل بين المسلكين، ويورد أبو سالم العياشي أن الركب وصل إلى واد الساورة[4].

هذا فيما يخص ركب الحج المغاربة، أما فيما يخص طريق الركب الشنقيطي فتكاد تكاد المصادر تكون منعدمة إلا ما ذكر في رحلة الحاج بشير البرتلي والذي من خلال ما ورد في مقال عن الرحلة لم تذكر الأودية فيما قبل منطقة توات[5]، وعاملة في هذا الطريقة تقل الأودية لعدة عوامل مثل التضاريس والمناخ.

ب–2. الأودية في الطريق العلوية والسفلية: سلكت أركاب الحج طريقين انطلاقا من توات باتجاه الحجاز، وذكرت الرحالة الأودية في كل مسلك.

- **الأودية في الطريق العلوية:** سلك هذا الطريق أبو سالم العياشي، والمعروف عنه أنه يقدم أوصاف دقيقة لكل صغيرة وكبيرة في طريقه، حيث يذكر بعد خروجه من أوقروت باتجاه ورقلة اتخذ الركب طريق واد مكيدن، حيث معاطن الماء به كثيرة ويقول أعراب البلد:

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص75.

(2) ابن مليح السراج: مصدر سابق، ص28.

(3) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص76.

(4) نفسه: ص76.

(5) عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد با عثمان: مرجع سابق، ص8.

واد امكيدن ما نعطش فيه كل يوم نجي على ما[1].

القول السابق الذي استشهد به العياشي يدل على أن الوادي دائم السيلان وبه مياه دائمة، ورغم ما ذكره العياشي إلا أن المناهل قد دفنت من طرف عرب توات مخافة إغارة عدوهم عليهم، طيلة الطريق باتجاه ورقلة لم يذكر الأودية ولم يصادف طريقه إلا واد لم يذكر اسمه وليس به ماء إلا أن به عشب انتفعت منه الإبل[2]، فغالبية الأرض التي اجتازها الركب رملية وحمادة حرشاء، كما ذكر العياشي بعد خروجه من ورقلة منطقة واد ريغ، والتي تتميز بأوديتها الكاذبة التي تسيل في الأيام الماطرة الغير منتظمة السقوط[3]، ويمكن القول أن في هذا المسلك تقل الأودية لكثرة الرمال ويسمى بالعرق الشرقي الكبير الذي يضم منطقة ورقلة وواد سوف ومنطقة الزاب، والعرق الغربي الكبير الذي يضع المنيعة التي هي ضمن المسلك[4].

- **في الطريق السفلية:** انتهج هذا الطريق ابن مليح السراج، الحاج بشير البرتلي على اختلاف الفترات، ومن خلال نص رحلة ابن مليح يظهر جليا صعوبة المسلك لقلة موارد الماء به ووجود صحراء آزكر بعد قطع الركب ستة مراحل منها يصل الركب إلى واد أفلساس[5]. وبعد قطع الركب مسافة اثنا عشرة مرحلة من الواد يصل إلى واد آخر يسمى واد ارسم الليل، ثم يصل واد جان ويقدم ابن مليح وصفا لمياهه[6]. ويصل الركب إلى واد تخمالت وماؤه قريب جدًا ذي أشجار كثيرة مختلطة الأجناس، وبعد التزود بالماء واصل الركب طريقه باتجاه فزان[7].

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص107.

(2) نفسه، مج1، ص113.

(3) عبد الحميد إبراهيم قادري: واد ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية "دراسة تاريخية"، ج1، دار الأوطان، سيدي موسى- الجزائر، 2013، ص ص 18-20.

(4) جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100-1000 ق.م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ الحضارات القديمة، إشراف: عبد العزيز بلحرش، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2007-2008، ص ص 9-10.

(5) كعبوش بومدين، بن مويزة إبراهيم: مرجع سابق، ص229.

(6) ابن مليح السراج: المصدر السابق، ص31.

(7) نفسه، ص32.

تقل الأودية في هذا المسلك مقارنة بالطريق العرضاني الأوسط وهذا يعود لاختلاف المناخ والتضاريس وغالبا ما سلك الرحالة الطريق العرضاني الأوسط لكثرة مصادر الماء به.

ثالثًا: مصادر أخرى

شكلت العيون والشطوط وغيرهما، أحد مصادر المياه في الصحراء الجزائرية وكانت من أولى اهتمامات الرحالة، ولم يكد يمر رحالة على معطن إلا وذكر مميزاته، وقد عرف سكان الصحراء العيون وكان يعيش بجوارها للحصول على مائها مثلما كان يعيش بجانب البحيرات العذبة والأنهار[1].

انتشرت العيون في شتى مسالك الرحلات ولم يكن لها موقع محدد، وفي الغالب نجد قربها مراكز وأسواق تجارية وقرى، وقدم عبد السلام الناصري وصفا دقيقا للعيون، ويعطي تفصيلا دقيقا أثناء مروره بالقنادسة أنها قليلة العيون[2]، وتحدث اليوسي عن العيون حيث يقول "وغدا بلغنا عين خارجة من وسط جبل عنتر مستقبله ووجدنا ماءً طيبا أفضل مما قبله، ويضيف يذكر العيون كعين الكبش، ويقال له عين الحجر[3]، وفي نفس المسلك يذكر الدرعي عند بلوغه أبا زرق العين التي بها عين، ويعطي وصفا لها حيث تتميز بالغزارة والعذوبة[4]، ولم يغفل عبد السلام الناصري عن ذكر العيون، حيث يذكر عين أم إلياس بعد مروره بدار دخيسة[5]، وسمى اليوسي عين أخرى تسمى عين لعمش، ويسميها أهل البلد عين الحواجب[6].

تكثر العيون في الطريق العرضاني الأوسط، بينما تقل في المسلك الصحراوي الجنوبي، حيث ذكر العياشي بعد خروجه من سجلماسة عين العباس، كما ذكر المصادر الأخرى ولم يغفل عن الأمطار والغدران والقلت[7]، وتحدث العياشي على السباخ وأعطى وصفا لملوحتها وكثرتها، حيث يقول "ثم

---

(1) سياب خيرة: مرجع سابق، ص52.

(2) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص 184.

(3) محمد العياشي بن الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص ص73-74.

(4) أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص127.

(5) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص 187.

(6) محمد العياشي بن الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص77.

(7) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص75.

ارتحلنا من ذلك وبتنا على حد السبخة التي هي على حد قرى نفزاوة وأظن أنها أخر سبخة سيدي أبو هلال التي لم ير مثلها في سباخ الأرض كلها طولا وعرضا وكثرة ملح، فقاس الناس فيها شدة[1].

المبحث الثالث: دور الماء في الرحلات

تزخر كتب الرحلات الحجازية بمعومات هامة عن الأماكن والقبائل والتضاريس، وهذه الأخبار التي يذكرها الرحالة في رحلته تختلف من رحالة إلى آخر حسب شخصية الرحالة وعلمه وتاريخ كتابة الرحلة والمسلك الذي سلكه الرحالة، ولا تكاد تخل كتب الرحلات عن ذكر عنصر الماء لعلاقته المباشرة بالرحلة والمسالك، وكان له تأثير في عدة جوانب سواء في تحديد الطريق أو في نفسية الرحالة.

أولا: دور الماء في تحديد المسالك

شكل الماء أهم عنصر في تحديد الطرق والمسالك البرية خاصة الطرق التي تمر بالصحراء وتكثر بها المفازات وتقل بها معاطن الماء، وإن القوافل لا يمكن أن تسير في الصحراء بالمسالك أو الطرق التي يقل فيها الماء فيتعرض المسافر فيها للعطش، مما يجعله يختار الطريق الذي يتوفر فيه الماء على مسافات متقاربة، فعادة ما تأخذ القوافل والأركاب ماء يومين، وتعتبر ندرة الماء من أهم وأبرز المصاعب والمشاق التي يتعرض لها المسافر في رحلته[2]، وكان لمعاطن المياه دور في تحديد مسار القوافل، حيث تتعرض القوافل لخطر العطش بحكم المسافات الشاسعة التي تفصل بين مواطن توفر الماء على طول المسلك، وعلى الرغم من أن هناك طرق أقصر مسافة كانت تستعمل إلا أنها سرعان ما تهمل لنضوب آبارها[3]، وحظي عنصر الماء باهتمام الرحالة على تعاقب الفترات والعصور ويبقى عنصر أساسي حتى أضحى في نظر البعض مقابل للحياة[4]، وأولت كتب الرحلات الحجازية أهمية بالغة لهذه المادة

---

[1] أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص125.

[2] صالح بوسليم، اوزايد بالحاج: تجارة القوافل ين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء خلال العهد العثماني ودورها الحضاري، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع2، جامعة غرداية، 2017، ص106.

[3] إدوارد بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، ط2، بنغازي-ليبيا، 1988، ص384

[4] رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية أثرها في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، مرجع سابق، ص45.

الحيوية وقدمت وصفا دقيقا ومسهبا لمعاطن تواجد الماء على طول المسالك، خاصة في الفترة الحديثة بعد تراجع المسلك البحري ونشاط المسلك البري ما بين القرنين 17-19م، ولعل الرحالة الفقيه أبو سالم العياشي قد سمى رحلته بماء الموائد بقصد التعبير عن أهمية الماء في السفر، ومن خلال رحلته يظهر جليا أنه كان على دراية بالمسلك حتى وإن سير القوافل والأركاب لم يكن ممكنا إذا لم تسلك طريقا معروفا تتخلله الآبار ومواقع المياه، ذلك لأن كميات الماء التي يمكن حملها على ظهور الجمال محدودة والمسافر في الصحراء بحاجة إلى أن يؤمن حاجته من الماء بالمرور على الآبار[1].

وقد أثر عنصر الماء في تحديد الطرق، ففي الغالب لم تكن مستقيمة، بل كانت تتحكم فيها معاطن الماء وكانت تتعرج يمينا وشمالا وأغلب مواطن الماء كانت القوافل على علم مسبق بها، ومما يؤكد هذا قول العياشي في وصف ماء النبش، حيث يذكر "وقد وردناه سنة أربعة وستين أول يوم من الصيف وكذاك وردناه سنة تسعة وخمسين ولقينا فيه مثل ذلك أو أشد، وفي هذه السنة جئناه أوائل الربيع والبرد غالب، فلم يضطر الناس إليه كل الاضطرار[2]، من قول العياشي يتبادر إلى ذهن القارئ أن أغلب المعاطن ومراكز الأركاب كانت معلومة وتحكمت فيها عدة عوامل أبرزها الماء على غرار الأمن والكلأ، ومن خلال تتبع وتقصي ما ورد في كتب الرحلات الحجازية المغاربية نجد أن أغلب الأركاب اختارت الطريق العرضاني الأوسط وهذا لوفرة معاطن الماء به وسهولة تضاريسه وأغلب أوديته جارية و بها ماء ناهيك عن الآبار والعيون، وقد قدم عبد السلام الناصري وصفا مسهبا لمعاطن الماء في هذا المسلك، أما المسلك الصحراوي الجنوبي الذي سلكه أبو سالم العياشي وابن مليح السراج والذي يتميز بصعوبة تضاريسه وندرة المياه به، فغالبا ما يواجه الركب أزمات عطش كصحراء تنزروفت التي يجتازها الركب الشنقيطي قبل دخوله توات أو صحراء آزكر، أو حتى الأرض التي هي بين توات و ورقلة التي أرهقت الركب ودمها العياشي في رحلته لتنوع أرضها وصعوبة تجاوزها، حيث يقول "ثم بتنا تلك الليلة وقد قل الكلأ وأندر قلته بالطلوع سطح الحماد الكبير الذي قل مثله في بلاد المغرب...وهي أرض جرداء حرشاء لا علم فيها إلا المرابر التي شقت على سلوكها المزابر "[3].

---

[1] صالح بوسليم، عبد القادر علوان: تجارة القوافل الصحراوية بين الجزائر وطرابلس الغرب على العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مج8، ع2، جامعة سيدي بلعباس، 2017، ص149.

[2] أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص129.

[3] نفسه، مج1، ص113.

ونفس القول يورده ابن مليح بعد اجتيازه صحراء آزكر "وقد انتفضت الجراب وعجزت الركاب وماتت الرواحل لبعد المراحل وقد أشرف فيها الناس على المهالك لولا لطف الواحد الملك"[1].

وفي طريق الركب الشنقيطي يصف صحراء تنزروفت التي سماها الفرنسيون صحراء العطش لانعدام الحياة فيها ومنابع المياه، وهي أخطر المراحل من أزواد إلى توات[2]، وكما وصفها حسن الوزان بأنها "هذه المفازة بلاد خالية لا يوجد بها ماء مسيرة تسعة أيام فيتحتم الاكتفاء بالماء المحمول على الجمال"[3]. ورغم الصعوبات التي واجهها أركاب الحج في المسلك الصحراوية الجنوبي إلا أننا نجد الرحالة يتفاءل بعد تجاوز مفازة أو مشقة، خاصة عند دخوله حاضرة ما أو وصول إلى معطن ماء، وما يعرف على أودية في المسلك بالجفاف في الغالب وكثرة الآبار، وقد تتبعت القوافل الأودية لنمو الأعشاب والكلأ للإبل[4]، حيث يقول أبو سالم العياشي "ونزلنا القليعة تصغير قلعة، وهي قرية حصينة على حجر صلب في سفح الجبل منقطع عنه و بها آبار طيبة كثيرة الماء"[5]. ويضيف العياشي يصف المفازة بعد خروجه من المنيعة باتجاه ورقلة حيث توقف الركب بواد فيه عشب انتفع الإبل به[6].

تميزت تضاريس الصحراء بالصعوبة، فقد حاول الرحالة إيجاد حل لمشكل ندرة المياه فاجتهدوا في استغلال ماء المطر التي يتوفر فيها بفترات متقطعة، وقد حاولت أركاب الحج حفر آبار في المسالك التي تقل فيها معاطن الماء، ففي رحلة ابن مليح مثلا في وصف واد افلساس بعد أن وجد الركب بئر واحد حفر الركب بئر أخرى[7].

---

(1) ابن مليح السراج: مصدر سابق، ص32.

(2) عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد باعثمان: مرجع سابق، ص7.

(3) الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ج2، ت: محمد حاجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م ، ص150.

(4) رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، مرجع سابق، ص46.

(5) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص111.

(6) نفسه، مج1، ص113.

(7) ابن مليح السراج: مصدر سابق، ص31.

تحكمت في الطرق والمسالك الكثير من المحطات والعوامل التي أثرت في تحديد المسالك، وساهمت معاطن الماء بشكل كبير في رسم الطرق وحضي عنصر الماء باهتمام لدى الحجيج، ولم يعرف طريق في تاريخ البشرية جمعاء ما عرفه طريق الحج من اهتمام[1].

ثانيًا: تأثير الماء في نفسية الحاج

لقد أثرت معاطن الماء في تحديد المسالك والطرق لما للماء من أهمية، خاصة في الطرق الصحراوية وقد كان للماء أهمية بالغة لدى أركاب الحج المغاربة لاجتيازه المناطق الصحراوية والمعروفة بندرة المياه وصعوبة التضاريس، كما أثر الماء في نفسية المسافر عامة والحاج خاصة، حيث كان لهذا العنصر مكانة خاصة لدى الحجاج، ولا تكاد تخلوا كتب الرحالة من وصف نفسية الحجاج في حالة ندرة ووفرة الماء، ووصف مصدره ونوعه.

وبتراكم التجارب وطول الاحتكاك بالطرق والمسالك المؤدية إلى الحجاز فقد زادت معرفة الرحالين المغاربة بالمنابع ومميزاتها وتركت أثرها في كتاباتهم المختلفة بين تعابير مشوبة بالحزن والحذر في حالة الشدة والضيق وبين الفرح والسرور في حالة الوفرة[2].

كان تأثر الماء يظهر جليا من خلال تعبير الرحالة، وفي المصطلحات الواردة في الرحلة بين الفرح في حالة الاهتداء إلى ماء وفير وعذب وبين التشاؤم والحزن في حالة طول المراحل وندرة الماء، ويعطي الرحالة صورة مجسدة لتأثر الحجاج وتعلقهم بعنصر الماء، ويعتبر أبو سالم العياشي أبرز من أعطى وصفا وصورة واضحة لتأثر الركب بالماء ويصف مظهر التأثر والخوف في قوله "ثم بتنا تلك الليلة في أرض كالتي قبلها ونراها في الجوع والعطش أعظم منها لا مثيل مثلها، ثم ارتحلنا غدا وهبطنا من الكرب بعد شدة الكرب"[3].

---

[1] سليمان القرشي: الماء في الرحلات الحجية المغربية بين الحقيقة والرمز، كتاب جماعي بعنوان السودان وإفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب، أبحاث ندوة العرب والمسلمين بالخرطوم–السودان، دار السويدي للنشر، ط1، أبو ظبي–الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص169.

[2] نفسه، ص172.

[3] أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص114.

وقد عانى الركب الشنقيطي من العطش بعد دخوله صحراء تنزرفت، حيث تحدث الحاج بشير البرتلي على معاناة الركب في هذه الصحراء[1]. ونفس الشعور يصفه ابن مليح بعد اجتيازه صحراء آزكر وإشراف الركب على الهلاك[2].

كما وصف اليوسي المرحلة[3] بين واد عبد المجيد وواد سيدي خالد بسبب الأرض الخشنة الصلبة والعطش والخوف[4].

قد يلجأ المسافر إلى بقر بطون الإبل لاستخراج ما في بطنه من الماء مما يعانونه من عطش[5]، وهو ما حث في رحلة العياشي، حيث يقول "وفي هذا المحل من المحال تعظم فيه المشقة أيام الحر، وقد تتلف، فيها أنفس كثيرة بالعطش، وقد وقع لنا مثل ذلك سنة تسعة وخمسون ارتحل الناس من عجرود ظهرا ولم يمروا على النابغة فبتنا ليلتين بلا ماء إلا ماء عجرود الذي لا يتجرأه الضمان ولا يكاد يصيغه فلم نصل إلى أرض التيه حتى اشتد الحر في اليوم الثالث وقل الماء ومات بعض الإبل وجعل الناس يعصرون ما في بطون الإبل من الفرت ويشربونه[6].

أثرت ندرة الماء على نفسية الركب بالتشاؤم والخوف، وهذا ما يظهر جليا في الطريق الصحراوي الجنوبي مقارنة بالطريق العرضاني الأوسط، ولأن أغلب الرحالة على دراسة بجغرافيا المسالك فقد اختار أغلبهم الطريق العرضاني الأوسط، كما أثرت التضاريس في نفسية الحجاج لما لها من علاقة مباشرة بالماء، فأغلب تضاريس الطريق الصحراوي الجنوبي رمال وصحراء قاحلة موحشة وعبارة عن حمادة أرضها حرشاء أثرت على الركب عامة، كما أثرت الأمطار في نفسية الحجاج ومثل ذلك ما يروه

---

(1) عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد باعثمان: مرجع سابق، ص7.

(2) ابن مليح السراج: مصدر سابق، ص32.

(3) المرحلة: هي المسافة التي تقطعها القافلة خلال اليوم الواحد وتقدر تقريبا بأربعين كيلومتر.ينظر:أحمد ذكار: حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي 1000-1310هـ/1591-1883م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، إشراف: محمد حوتيه، جامعة أحمد دراية-أدرار، الجزائر، 2009-2010، ص69.

(4) محمد العياشي بن الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص32.

(5) مرمول كربخال : مصدر سابق، ج1، ص49.

(6) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص ص275-276.

العياشي في موقع العلندا، حيث يقول "ونزلنا بموضع يقال له العلندا وأصابنا فيه مطر وابل وأقمنا بسبب على غير ماء لأن البلد كله رمل فلا يمسك ماء، فكان الماء سبب إقامة الناس وهم لا يجدونه للوضوء والشرب إلا ما في القرب معد للمراحل التي بعدها"[1]، كما يذكر أحمد ناصر الدرعي الخوف من الغرق حيث يقول "ونزلنا شرقي واد المنصف وبات الركب على ربوة مستطيلة ونشز مرتفع خوف الغرق"[2].

وعلى النقيض مما سبق تظهر ملامح الإنشراح والفرح وشكر الله في نفسية الحاج عند وجود ماء وظهرت ملامح الشكر لله والحمد والانشراح في رحلة العياشي لما كان الركب متجه إلى منطقة سوف والمعروف أن المنطقة رملية، وبعد تساقط الغيث سهلت على الإبل المسير، حيث يقول العياشي "وكان من فضل الله علينا الذي عجزت الألسن عن شكره وحارت العقول عن كنه أمره أن أُمطرنا في تقرت بفضل اله ورحمته لا ينوء الحاجوز مطر حتى سارت كالتراب، بل فاق التراب باللين والرطوبة... فسرنا على أنعم حال نحمد الله ونشكره لما نشاهده من كثرة الرمل وعظمته ونتخيل وقوعنا في حبائلها لولا المطر المذكور"[3].

فالعياشي يصف مدى فرحتهم بتساقط المطر الذي عني به الركب ومدى رحمة الله بهم الذي أغناهم مشقة اجتياز المفازة، والمعروف أن الرمل مرهق للأركاب في اجتيازه، والملاحظ طيلة هاته المراحل لم يذكر العياشي احتياج الركب للماء أو أنهم وردوا مورد ما. ونفس ملامح الفرح والسرور يسردها أحمد ناصر الدرعي في قرية امليلة، وأمطر الركب مطر غزير[4].

كما يصف ابن مليح مظهر الاطمئنان عند وصول الركب لمورد العقلة، وهو موضع به مورد كثير المياه والخصب ينشرح له القلب[5].

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص123.

(2) أحمد ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص710.

(3) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص ص 122-123.

(4) أحمد ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص ص 138-139.

(5) ابن مليح السراج: مصدر سابق، ص28.

ثالثًا: علاقة الدليل والقربة بالماء في الرحلة

يسير ركب الحج في نظام محكم ويخضع له قبل انطلاق الركب، كما تعين لكل فرد مهامه، وهاته المهام تكون وفق معايير ومواصفات تشترط في الفرد ليتم تكليفه بها، فمن بعض المهام يشترط الخبرة بالمسالك والطرق والتضاريس ومعاطن الماء، فمهمة الدليل أو ما يسمى بخير الماء، فمسار الركب مرتبط بمدى خبرة وحنكة الخبير، وفي الغالب يُختار ممن لهم دراية واسعة بالمسلك، وهذا يجعل الركب يسير براحة ولا يدخل الركب في مشقة السفر وقطع المراحل والابتعاد عن أزمات العطش والأمن، ويكون هذا بمعرفة الخبير لمواطن الماء والمراحل بين معطن وآخر مما يجعل الركب لا يستهلك كل ما يحتفظ به ي القرب، حيث تعتبر هاته الأخيرة أبرز وسيلة لنقل الماء في الركب، ونظرًا لأهمية العنصرين "الدليل والقربة" وعلاقتهما الوطيدة بالماء تبرز مكانة الماء في الرحلة في الدليل بصفته سائق الركب والقربة بصفتها خزان الماء في الركب.

1- الدليل:

لا يقل أهمية من أمير الركب، ويطلق عليه أيضًا اسم الخبير أو المنير، أو المرشد، باعتباره سائق الركب[1]، ومهمته أن يسبق القافلة في السير والاستقصاء عن وضعية المياه من حيث الوفرة أو الشح وعلى ذلك يتخذ الركب إجراءات احترازية بغية التأقلم مع الظرف القائم[2]. وفي الغالب يكون الخبير من أهل المنطقة المراد اجتياز مسلكها بحكم خبرته وتأقلمه مع طبيعة الطرق ومعرفته للمسالك السهلة، وفي هذا يذكر العياشي عند خروجه من بلاد توات عن اكتراء الدليل لمعرفته بالطريق[3].

ولأن مهمة الدليل هي أخطر مهمة في ركب الحج كان لزاما اختياره من أهل المناطق الصعبة الاجتياز التي يمر بها الركب، ولم يكن الركب يكتفي باستئجار دليل واحد طوال السفر، بل يوظف العشرات في أقاليم مختلفة لمعرفتهم التامة بالطرق وأماكن الماء والكلأ[4]، ومهمة الدليل لم تكن مقتصرة

---

(1) رشيد حفيان: الطرق القوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، مرجع سابق، ص63.

(2) مصطفى نويصر، دهان سليمان: تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري، مجلة أفكار وآفاق، ع9، 2017، ص60.

(3) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص107.

(4) أحمد بوسعيد: ركب الحج الجزائري في العهد العثماني 1519-1830 "دراسة اجتماعية"، مرجع سابق، ص108.

على ركب الحج، بل كانت حتى القوافل التجارية تستأجره ولم تكن مهمة حديثة بل هي منذ القدم، ويقول عبد الرحمن المجاجي[1] عن دور الدليل[2]:

بعثنا خبـيرا للمياه لعله يصادف آبيار تكون مليئة

فجاءنا بعدما تغيب مده فأخـبرنا أن المـياه كثـيرة

ويؤكد السجلماسي عن ضرورة اختيار الدليل "وهذا ونحوه مما يؤكد على الحجاج اختيار دليل خريث ماهر وإن لا يفعلوا فقد جعلوا أعناقه في ريقة الضلال المبين والعناء الباهر، كما يوصي باختيار الدليل الماهر في الطريق المسلوك بالأقدام"[3]، ويشترط في الدليل عدة مواصفات مثل الخبرة ومعرفته لمسالك الطرق ومواطن الماء ويتعرف على الآبار، ويجب أن يتصف بالشجاعة والذكاء والاستقامة[4].

ويُورد أحمد بن ناصر الدرعي عن مهمة الدليل في الركب والاهتداء إلى معاطن الماء حيث يقول، وجدنا الركب قد حصر لما أخبرهم الدليل ألا ماء أمامهم وتوقفوا بعض صدق وأراد الرجوع إلى واد الربوات لسقي وبعضهم زعم أن الماء يوجد[5].

2- القربة:

شكلت القربة أحد أهم التجهيزات التي يجب على الحاج أخذها واختيارها بدقة قبل البدء في الرحلة نظرًا لأهمية الماء في الرحلة، يجب على الرحالة اختيار القرب الجيدة، ويقصد بالقربة طرف من جلد يخرز بجاب من واحد وتستعمل لحفظ الماء أو اللبن أو نحوهما[6]، وتصنع من جلد الماعز وهو من الأساقي، وفي هذا القول يقول ابن سيدة" القربة هي الرطب من اللبن وقد تكون للماء وقيل

---

(1) المجاجي: هو عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي سمي بالمجاجي نسبة لبلدة مجاجة والتي تقع قرب مدينة الشلف، لا توجد معلومات كثيرة عن حياته إلا انه قام برحلة إلى الحج سنة 1063هـ/ 1652م.ينظر: آل سيد الشيخ سعاد: رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي "نموذج للرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11هـ/17م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع20، 2014، ص ص 201، 211.

(2) سعاد آل سيد الشيخ: رحلة المجاجي "دراسة وتحقيق"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2007-2008، ص158.

(3) الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص166.

(4) رشيد حفيان: الطرق القوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، مرجع سابق، ص64.

(5) أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص ص 128-129.

(6) شوقي ضيف وآخرون: مرجع سابق، ص723.

هي المخزورة من جانب واحد"[1]. ويقول جوزيف في رحلته "ويحملون الماء في قرب جلدية ويأذنونها على جوانب جمالهم، وقد يحدث أن لا نصادف ماء في الطريق طوال يومين أو ثلاثة وأحيان أكثر من ذلك"[2]، ويتحدث العياشي عن ضرورة اختيار القرب الجيدة، حيث يقول "ومن هذه المدينة يشتري الحجاج ما يحتاجون من الإبل والقرب"[3]، ويشاع في أمثال الحجيج من خلال رحلة العياشي "جمل طرابلسي وقرب مصرية، لأن قرب هذه البلدة رديئة وماءها خبيث المصاغ ومع ذلك لا تمسك من الشراب إلا كما يمسك الماء الغرابيل من اتكل عليها أوسعت عليه الري أول المسافة وأوردته آخرها وارد التلف والمخافة"[4]، ويتحدث اليوسي عن دور القرب عن الحفاظ في الماء "..وبتنا على القرب ومن لا قربة له لم يشرب إلا إذا اكترى وبكى وتطفل وعوى"[5]، والقربة أهم وسيلة لحفظ الماء وتجب أزمات العطش، حيث يتم صنعها من جلد الماعز بعد أن تشق من الوسط وتسلخ كاملة قدر الإمكان، والقرب المصنوعة في السودان أحسن القرب وأقواها يمكن أن تحفظ الماء لمدة طويلة، ويمكن الاحتفاظ بها لمدة أطول فهي في العادة تدهن بالزبد من الداخل أو الزيت (القطران) [6] وهذه المادة تعطي طعما آخر للماء[7].

وخلاصة لما ذكر سابقا استخلص بعض النتائج أبرزها:

- تنوعت المسالك بالصحراء الجزائرية
- شهدت المسالك حركة واسعة في القوافل الحجية خاصة في الطريق العرضاني الأوسط

---

(1) صالح بوسليم: الصناعات التقليدية بمنطقة تيديكلت صناعة الفخار والجلود نموذجا" دراسة ميدانية فنية اثنوغرافية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص الفنون الشعبية، اشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، الجزائر،2001-2002، ص101.

(2) جوزيف بيتس "الحاج يوسف": رحلة جوزيف بيتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1995، ص70.

(3) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص135.

(4) نفسه، ص136.

(5) محمد العياشي بن الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص73.

(6) القطران: مادة سوداء لزجة تستخرج من الخشب والفحم ونحوها بالتقطير الجاف ويستخدم في صناعة العوازل والدهانات ويتصف بخاصية القضاء على الجراثيم. ينظر: محمود رواسي قلعجي، حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط1، بيروت-لبنان، 1985، ص274.

(7) فريدريك هورنمان: الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان، تع: مصطفى محمد جودة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1968، ص67.

- ذكر الرحالة العديد من مصادر المياه ونوعها
- الدور الهام للماء في الرحلة
- لكل مسلك محفزات جعلت كل من سلكه يوصي للذي بعده .
- دور الدليل والقربة وعلاقتهما بالماء وحرص الرحالة على اختيارهما أحسن اختيار.
- تأثرت المسالك بالمعيقات الطبيعية كقلة معاطن الماء والبشرية كاللصوصية.

الفصل الثاني:

الماء والحواضر الصحراوية الجزائرية

المبحث الأول: الماء بأبرز الحواضر والمراكز بالطريق العرضاني الأوسط

المبحث الثاني: الماء بأبرز الحواضر والمراكز بالطريق الجنوبي الصحراوي

- **تمهيد:**

تحدد الطرق والمسالك عدة معايير أبرزها مدى توفر الماء والكلأ والأمن في المسلك، وشكل الماء أهمية بالغة لدى القوافل بالصحراء الجزائرية لقلة مصادره وقلة الأودية الدائمة السيلان نظرا لطبيعة المناخ وندرة تساقط الأمطار، ورغم الظروف الصعبة إلا أنها تشكلت حواضر ومراكز جعلت القوافل تصبوا إليها للاستراحة من عناء السير أو للتزود بالمؤونة والمبادلات التجارية ، وكانت قوافل الحج كانت مسالكها تمر بالمراكز التي كانت يحددها الرحالة منذ انطلاقه وقدمت كتب الرحلات الحجازية معلومات عنها وذكروا الأوضاع العامة بها واهم السلع والمواد المعروضة ولم يغفل الرحالة عن ذكر الماء وأماكن تواجده .

المبحث الأول: الماء بأبرز الحواضر والمراكز بالطريق العرضاني الأوسط

سلكت جل أركاب الحج المغربي الطريق العرضاني الأوسط لتميزه عن المسالك الأخرى كقرب معاطن الماء وتنعها وسهولة تضاريسه، وكانت القوافل تتوقف في كل منطقة تدخلها للتزود بالماء أو المؤونة او زيارة ضريح والالتقاء بالمشايخ وعامة الناس حيث كانت مظاهر الفرح تظهر على غالبية السكان لما يأتي ركب الحج فيستقبل بالابتهالات وقرع الطبول ، وقدم الرحالة وصفا عن المسلك الشمالي أو ما يسميه البعض طريق الهضاب واهم ما يميزه وما صادفهم أثناء اجتيازه خاصة القرى والحواضر.

أولا: بوسمغون

شكلت بوسمغون إحدى الحواضر والمراكز الاستراتيجية في الفترة الحديثة رغم صغر حجمه الطبيعي والتركيبة البشرية القليلة مقارنة بالحواضر الاخرى إلا انه كان مركزا هاما للقوافل التجارية والحجية، وكان معبرا للقوافل الوافدة من الشمال باتجاه بلاد السودان.

1- أصل التسمية:

سميت منطقة بوسمغون بعدة تسميات عبر التاريخ، فكانت تسمى بوادي الأصنام ثم وادي الصفاح نسبة إلى الأحجار المصفحة الموجودة بالوادي، وكانت منطقة صراعات قائمة بين أهل المنطقة بسبب حدود مياه السقي، وفي إحدى الأيام كان الولي الصالح سيدي بوسمغون متجها إلى الحج وحل بالمنطقة حيث أقام بها واخذ يحل النزاعات بين الأهالي ويصلح بين المتخاصمين[1]، وقبره موجود في مسجد خارج البلد قريب منه وبها اناس ينتسبون اليه[2].

وما يؤكد صحة رواية الولي الصالح أن أغلب الروايات الشفوية تذكر أنه من أصل مغربي من الساقية الحمراء، حيث كان متجها إلى المدينة المنورة لأداء فريضة الحج لكنه فضل البقاء ومكث بالمنطقة يحل النزاعات وبقيت باسمه إلى الآن[3].

2- التركيبة البشرية:

تميزت المنطقة بتنوع التركيبة السكانية فسكنها الأمازيغ من قبائل زناته منذ القدم ثم استقر بها العرب مع حركات الفتح الإسلامي، وقد سكنها الأدارسة وقبائل صنهاجة والقبائل العربية الهلالية وأدى هذا التنوع في التركيبة البشرية إلى ظهور مجموعتين من حيث الاستقرار، فالأولى مستقرة بالقصور تمارس النشاط الفلاحي والثانية تمارس حرفة الرعي وتربية المواشي[4].

أثر التنوع في التركيبة السكانية في النشاط الإقتصادي وهو ما ساعد إزدهار حركة المبادلات التجارية، كما ان سكان بوسمغون اناس كرماء ومسالمين وليس من شيمهم الغدر[5].

---

(1) دحمون منى: قصر بوسمغون بولاية البيض" دراسة اثرية تحليلية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الآثار الاسلامية، اشراف: علي حملاوي، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص23

(2) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص193

(3) دحمون منى: مرجع سابق، ص23

(4) محمد الفقيقي: حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع09، 2014، ص307

(5) احمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص128

3- الماء في بوسمغون من خلال الرحلات الحجازية

كانت بوسمغون مركزا تجاريا هاما للقوافل لوقوعه في طريق القوافل التجارية التي شهدت نشاطا واسعا في الفترة الحديثة، كما كانت مركزا هاما لركب الحج القادم من المغرب، ومر عليها اغلب الرحالة ووصفوها بالحسن والجمال لجغرافيتها وكرم سكانها، ولأن المنطقة كانت تتميز بالنشاط الفلاحي وجودة محاصيلها الذي ينعكس بالضرورة على مدى وفرة الماء الذي يعتبر محفزا لممارسة النشاط الفلاحي، وتميزت مياه بوسمغون بالعذوبة والغزارة، وذكر عبد السلام الناصري عنصر الماء في المنطقة قائلا " وبها عيون عذبة باردة يفضل عن أجذها الماء، حتى في الصيف مع برودتها"[1]، واكتفى الحضيكي بإعطاء وصف عام لها أنها ذات أشجار ومياه[2]، كما قدم الدرعي وصف نوع مياهها وجودة عنبها في قوله "و بها ماء عذب غزير طيب"[3].

جعلت وفرة المياه وتنوع المحاصيل الفلاحية من بوسمغون مركزا تجاريا هاما، حيث تنوعت المنتوجات الموجودة في المنطقة ولان علاقة الماء بالنشاط الاقتصادي طردية، فقد وصل بالرحالة المغاربة يوصون كل من سلك الطريق العلوي التزود بالمؤونة من بوسمغون[4].

ومن ابرز السلع التي كان يقتنيها الرحالة من بوسمغون: أعلاف الدواب، الدقيق، السمن، الحيوانات والدواب، الأكسية والبرانس

وكما ذكر آنفا فقد شهدت المنطقة نشاطا واسعا في شتى المجلات ولأن وفرة مياهها وعذوبتها جعلت منها مركزا تجاريا هاما، ومن خلال ما ذكره الرحالة المغاربة عنها إن موقعها الإستراتيجي زاد على النشاط الفلاحي وأيضا التجاري وشجع على مهنة إرشاد وتوجيه أركاب الحج وقوافل التجارة في الطريق الصحيح ، وما ميزها أيضا جودة عنبها واتصاف أهلها بالكرم وحسن الضيافة[5].

---

(1) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص193.

(2) محمد بن أحمد الحضيكي: مصدر سابق، ص83.

(3) أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص128.

(4) محمد الكبير الفقيقي: مرجع سابق، ص128

(5) احمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص128

ثانيا: عين ماضي والأغواط

يتميز الطريق العرضاني الأوسط بكثرة محطاته فكان الرحالة المغاربة وكل من يسلك الطريق يذكر محطات الركب، وتعتبر عين ماضي والأغواط من بين أهم المحطات في المسلك ، وقدم الرحالة أخبارا عنها وعن جغرافيتها.

1- عين ماضي

أ-أصل التسمية:

يقال أن تسميتها تعود إلى ماضي بن يقرب من إقيال العرب لأول إستلاء العرب على المغرب الأوسط أيام العبيديين[1]، وذكرها المشرقي قائلا ".... وليس ماضي في هذا الذي تنسب له العين التي يقال لها عين ماضي وإنما هي منسوبة لماضي بن يقرب من بيني كبير أحد بطون كرفة بن الأثبج الهلالي"[2].

ب- موقعها:

عين ماضي مدينة قديمة بنيت على سفح ثلة تتدفق منها مجاري مائية لا تنضب محاطة بسور عالي لها بابان واحد من الشرق والآخر من الشمال الغربي وخارجه توجد الحدائق المحاطة بالأسوار[3].

ويصف موقعها الحاج ابن الدين الأغواطي في رحلته قائلا " وهي تقع غربي تاجموت ومحاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس ولها بابان عظيمان"[4].

---

(1) محمد بن محمد الحجوجي الحسني: فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، تح: أنور ترفاس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2018، ص63.

(2) عبد القادر نواري: مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين 11-12هـ، مجلة الباحث، مج11، ع04، 2020، ص151.

(3) فاطمة دجاج: العلاقات الإقتصادية بين القبائل البدوية والقصور بمنطقة الأغواط بداية القرن19م، المجلة التاريخية الجزائرية، مج04، ع02، 2020، ص109.

(4) الحاج ابن الدين الأغواطي: مصدر سابق، ص88.

وعين ماضي قرية صغيرة تقع في السفوح الأخيرة من جبال العمور على بعد حوالي 70 كم عن مدينة الأغواط وهي شهيرة في كل الصحراء بواسطة طلابها ومريديها الكثر[1].

ج- التركيبة البشرية:

تتميز التركيبة البشرية بالتنوع، حيث سكنها ثلاثة فرق أولاد سيدي احمد وأولاد عيسى والبرانية، وتعتبر العائلة التجانية من العائلات المشهورة في المنطقة وهي من العائلات الشريفة والتي ساهمت في تأسيس عين ماضي، حيث تم تأسيسها من طرف سيدي محمد الشريف المغربي الذي أسس مدينة عين ماضي قبل قدوم الأتراك وقد سكنها قبله عرب الزرارة، واشترى محمد الشريف رقعة أرض منهم وقام ببناء أول منزل وجلبت مكانته الدينية إليه الأتباع[2].

2- مدينة الأغواط:

أ- أصل التسمية:

اختلف المؤرخون في أصل تسمية الأغواط فهناك من يرجع التسمية إلى طبيعة الجبال المسننة على شكل منشار المحيطة بالمنطقة والتي تسمى باللهجة الأمازيغية الأغواط، وفريق يقول إن المصطلح يعود لكلمة غوط وتعني المنزل المحاط بالبساتين وجمعها أغواط[3].

بينما يذكر ابن خلدون الأغواط قائلا "..... وأما لغواط وهم فخذ من مغراوة أيضا، فهم من نواحي الصحراء مابين جبل الزاب وجبل راشد ولهم قصر هناك مشهور لهم فيه فريق من أعقابهم على سغب العيش...." [4].

---

(1) فاطمة دجاج: مجتمع الأغواط خلال القرن 19م-13هـ من خلال الكتابات الفرنسية "دراسة تاريخية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، اشراف: محمد عبد الرؤوف ثامر، جامعة حمة لخضر، الوادي- الجزائر، 2018-2019، ص88.

(2) فاطمة دجاج: الإجراءات الجبائية والمالية العثمانية في الصحراء الجزائرية "منطقة الأغواط أنموذجا"، مجلة دراسات تاريخية، مج08، ع01، 2020، ص ص 63-64.

(3) مولاي بالحميسي: مرجع سابق، ص107.

(4) عبد الرحمن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، 2000م، ص48.

ب- موقعها:

تقع مدينة الأغواط جنوب الجزائر وشمال الصحراء الجزائرية، حيث كانت أحد ابرز محطات اركاب الحج وتقع على ضفاف وادي مزي ويقسمها إلى شطرين، وهي بلدة كبيرة ولها أربع أبواب وأربع مساجد، وقد بنيت من الطين غير أن بعض المنازل مبنية بالحجر والملاط وليس للمنازل فيها منارات[1]، وتقع الأغواط على نهر مزي من جبل العور وينتهي بعد ان يحمل اسم وادي جدي في شط ملغيغ جنوبي قسنطينة[2].

وفلكيا تقع بين خطي طول 3° و53° شرقا، ودائرتي عرض 33° و48° شمالا[3].

ج- التركيبة البشرية:

إن مدينة الأغواط قديمة جدا حيث وجدت آثارها التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ وقد استوطن بها عدة قبائل ويتكون مجتمع الأغواط في الفترة الحديثة من العرب والأمازيغ وتتفرع منه عدة عروش ، ويذكر ابن الدين الأغواطي " .... فريقان من سكان الأغواط الأول يسمى الأحلاف، والثاني أولاد سرقين وهم في الغالب في حالة حرب ."كما يذكر تواجد العنصر المسيحي في فترة سابقة[4].

أما في نمط العيش فينقسم المجتمع إلى سكان الحضر الذين استقروا في القرى والقصور المجاورة ويمارس أهلها في الغالب الزراعة والتجارة والبدو الرحل الذين يعتمدون على حياة التنقل وتربية الحيوانات.

3- الماء في عين ماضي والأغواط من خلال الرحلات الحجازية

أ- عين ماضي:

تتميز عين ماضي بموقعها في شمال الصحراء الجزائرية وفي مسالك الرحلات، حيث حظيت بإهتمام المغاربة وتحدث عنها في شتى المجالات، ونظرا لإهتمام الاركاب بالماء ومصادره فقد ذكروا

(1) الحاج ابن الدين الأغواطي: مصدر سابق، ص ص 87-88

(2) إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص51

(3) فاطمة دجاج: مجتمع الأغواط خلال القرن19م/13هـ من خلال الكتابات الفرنسية " دراسة تاريخية"، مرجع سابق، ص22

(4) الحاج ابن الدين الأغواطي: مصدر سابق، ص87

أماكن تواجد الماء ونوعه وتأثيره في المنطقة، حيث يصف عبد السلام الناصري أهل المنطقة ويتحدث عن العين التي كانت تسقى منها الأجنة، ويصفها بأنها خارجة من سفح الجبل وهي عذبة وباردة كما يذكر الإعتقاد السائد عند أهل المنطقة أنها تورث الشقوق في الأيدي والأرجل في فصل الشتاء، ويتحدث الناصري عن الصراع القائم وجور أولاد يعقوب وقطع ماء العين[1]، كما ذكر اليوسي نوع ماء العين وكميته بأنه حلو عجيب[2]، واكتفى الحضيكي بإعطاء وصف عام لها وحذر الحجاج من نسائها، وقدم احمد بن ناصر الدرعي وصفا مشابها لما ذكره الناصري لعين المدينة[3].

ذكر جل الرحالة الذين دخلوا مدينة عين ماضي ظاهرة عدم اغتسال النسوة في المنطقة بحجة أن الماء حبس على الذكور دون النساء[4].

ب- الأغواط:

ذكر اغلب الرحلات وادي مزي بالأغواط وقدموا وصفا لمائه، حيث سماه عبد السلام الناصري واد أمز ويذكر أن ماؤه يقل في فصل الصيف، وذكر طوله حيث يصل الواد إلى منطقة الزاب ويسمى بواد أجد[5]، واكتفى اليوسي بذكر كمية الماء بالمنطقة وأن الماء بها عجيب[6]، ولم يكن الحضيكي دقيقا في وصف المنطقة وقدم وصفا عاما لها ولمياهها واكتفى بقول أنها ذات نخيل ومياه وفواكه[7].

كما صادف ركب الحج نزول الغيث وهو ما جعل الركب يبيت ليلة في القرية، وهذا ما ذكره السجلماسي في وصفه المدينة، ولم يذكر الماء بها واكتفى بذكر أنها قرية كبيرة ذات نخل وشجر[8]، ونفس الوصف قدمه الدرعي واكتفى بذكر المحاصيل والأشجار بها[9].

---

(1) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص204.

(2) الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص76.

(3) أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص130.

(4) عمر بن قايد: مرجع سابق، ص210.

(5) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص206.

(6) الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص76.

(7) محمد بن احمد الحضيكي: مصدر سابق، ص83.

(8) الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص183

(9) احمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص132

كما قال عنها أبو العباس احمد الفاسي "أنها بلدة طيبة وعليها أجنة ونخيل ولها عيون ماء تجري بداخلها ولقينا بها في شهر يناير العجمي السفرجل الجيد الطيب الرائحة والدلاع والبطيخ والرمان...." [1].

قدم الرحالة وصفا عن منطقتي عين ماضي والأغواط ووصف مياههما، ولعل ما يميز عين ماضي وجود عين واحدة في الجبل يسقي منها اغلب السكان وهي محل صراع، واتفق اغلب الرحالة عند دخولهم قرى الأغواط ذكر وادي مزي، والملاحظ في منطقة الأغواط لم يذكر اغلب الرحالة نوع الماء ومصادره على غرار واد مزي كما ذكر الرحالة المغاربة الأودية والمناطق المجاورة لعين ماضي والأغواط ووصفوا مياهها واهم محاصيلها.

ثالثا: إقليم الزاب

إقليم الزاب من أهم الجغرافية بالجزائر فقد شكل حيزا جغرافيا واسعا من البلاد، وعرف في القديم باسم نوميديا وتحول الاسم بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى اسم الزاب، وعرف نشاطا واسعا في شتى المجالات.

1- أصل التسمية:

يعرف ابن منظور كلمة زاب بقوله زأب القربة يزأبها زأبا وازدأ بها اي حملها ثم أقبل بها سريعا والإزدئاب يقصد به الاحتمال وكل ما حملته بمرة شبه الاحتضان فقد زأبته، ويقال زأب الرجل وازدأب معناه حمل كل ما يطيق وأسرع في المشي[2]. وزبى الزبية التي لا يعلوها الماء وجمعها زبى، والزبية حفرة يتزبى فيها الرجل للصيد وتحفر فيصطاد فيهاٍ[3]، فالمعنى اللغوي لكلمة الزاب يدور حول الماء والحفرة والسرعة ، والزاب قد يكون المكان المرتفع الذي يسيل منه الماء بسرعة، أو أن الزاب يعني تتلك المناطق المحصورة بين الأودية والأنهار و التي تشكل روافده وعادة ما تكون خصبة[4].

---

(1) مولاي بالحميسي: مرجع سابق، ص107.

(2) ابن منظور: مرجع سابق، مج01، ص443.

(3) أسامة الطيب جعبل، نبيلة عبد الشكور: الزراعة في اقليم الزاب في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، ع02، 2020، ص115

(4) عبد الحليم صيد: ابحاث في تاريخ زيبان بسكرة، مطبعة سوف، ط1، الوادي-الجزائر، 2000، ص03.

أما اصطلاحا اختلف الجغرافيون في أصل التسمية وهنا يمكن اخذ المصطلحات الأقرب لأن تكون محل المنطقة وأصل تسميتها، فالسكان المحليون يطلقون كلمة الزاب وهي كلمة أمازيغية وتعني الواحة[1]. والزاب كورة صغيرة يقال لها ريغ وهي كلمة بربرية معناه السبخة فمن كان منها يقال له ريغي، والسبخة في اللغة هي الأرض ذات النز والملح ولهذا سميت بلاد ريغ جنوب زيبان بسكرة بهذا الاسم نسبة إلى شط ملغيغ[2]، فمصطلح الزاب أطلق على المناطق المليئة ببساتين النخيل وتخترقها الأودية والسواقي[3].

أما موقعه فقد أثرت فيه الأوضاع السياسية السائدة في العصر الوسيط واختلف الجغرافيون في وضع حدود موحدة له[4]، وذكره ابن خلدون قائلا " ..وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة يعرف كل واحد منها، وأولها زاب الدوسن، ثم زاب طولقة، ثم زاب مليلة وبسكرة، وزاب تهودا، وزاب بادس، وبسكرة قاعدة وطن الزاب"[5]، كما ذكره حسن الوزان وذكر حدوده، ويقع في وسط مفازات نوميديا يحده شمالا جبال مملكة بجاية وغربا يبدأ من تخوم مسيلة وشرقا من بلاد الجريد، وجنوبا إلى القفار التي تقطعها الطريق المؤدي من تقرت إلى ورقلة[6]، والراجح من القولين أن إقليم الزاب يضم المناطق التي ذكرها ابن خلدون وحدوده هي التي ذكرها حسن الوزان[7].

2- التركيبة البشرية:

يذكر ابن خلدون أن اغلب سكان إقليم الزاب من قبائل أفاريق الأثبج وبني هلال وزناته[8].

---

(1) عبد القادر بومعزة: بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، دار علي بن زيد، ط1، بسكرة-الجزائر،2016،ص29.

(2) أسامة الطيب جعيل: حواضر إقليم الزاب الكبرى غفي العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا البلدانية" دراسة تاريخية"، مجلة مدارات تاريخية، مج01، ع01، 2019، ص341.

(3) إسماعيل العربي: مرجع سابق، ص142.

(4) علي الهطاي: الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن 5هـ/11م "دراسة في تطور المجالات والمواقع"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع12، 2017، ص ص 10-14.

(5) عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص585.

(6) حسن الوزان: مصدر سابق، ج2، ص138.

(7) ينظر الخريطة في الملحق رقم 06، ص137

(8) عبد الرحمن ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص586.

- **البربر:** وهم سكان المغرب الذين سكنوا الزاب والصحراء وحواضرها فكان الزاب من زناتة ومغراوة، هراوة و واوربة توزعوا في مدن الزاب[1].
- **العرب:** استقر العرب منذ الفتح الإسلامي حاله حال الحواضر الصحراوية سالفة ذكر، لكن بمجموعات قليلة ولكن مع الوصول والحلول الهلالي أزاحوا القبائل البربرية إلى الجبال وعلى الخصوص إلى الأوراس[2].

3- الماء بإقليم الزاب من خلال الرحلات الحجازية

اختلفت مصادر الماء في المناطق التي يسلكها الرحالة، ونظرا لأهمية إقليم الزاب ومكانته الجغرافية والتاريخية لكونه آخر محطات بالطريق العرضاني في الصحراء الجزائرية ومركزا لإلتقاء الركب الجزائري بالركب المغربي فقد وصف الحجاج الإقليم من كل جوانبه، وتعتبر مدينة بسكرة قاعدة الإقليم فذكرها العياشي أنها كثيرة النخل والزيتون و بها ماء جار في نواحيها وسيطرة الترك على مورد الماء بها[3]، كما يذكرها حسين الورثلاني ويتحدث عن الماء ومصدره ويصف المدينة قائلا " وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها بئر في الجامع لا ينزف وداخل المدينة جنات يدخل إليها الماء من نهر كبير يجري في جوفها من جبل أوراس"[4].

كما يسرد الحضيكي أخبار عن وادي سيدي خالد والمعروف عن الحضيكي انه يذكر مواطن الماء بشكل عام دون التعمق والتفصيل في وصفها، فذكر أن الوادي به نخيل ومياه ويذكر مجرى الساقية المصدر لمدينة بسكرة، ويواصل ويصف مدينة سيدي عقبة ويصفها بأنها قرية كبيرة ذات مياه وأشجار[5]. ويذكر عبد السلام الناصري وادي الجدي والمناطق التي ينطلق منها الوادي وحدوده

---

(1) فاطمة الزهراء غضبان: مدن إقليم الزاب من خلال الكتب الجغرافية (النشأة والتطور والاندثار ق8هـ/14م)، مذكرة لنيل شهادة ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي، إشراف: جمال مجذوب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م، ص42.

(2) مختار حساني: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2011، ص10.

(3) ابو سالم العياشي: مصدر سابق، مج2، ص540.

(4) الحسين بن محمد الورثلاني: الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج1،مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بورسعيد- مصر، 2008، ص122.

(5) محمد بن احمد الحضيكي: مصدر سابق، ص ص 85-86.

ويصفه في قوله " ثم ارتحلنا امنين الأغواط ....على واد أمز يقل ماؤه في الصيف وهذا الوادي هو الذي وصل إلى الزاب ويرد هناك بواد أجد"[1]، ويصفه أيضا اليوسي ويذكر طعمه مالح جدا[2]، كما يصف السجلماسي عين أوماش القريبة من الزاب [3].

وينبهر الدرعي بمدينة بسكرة مثل العياشي ويظهر ملامح التأسف لسيطرة الترك على العين ويتحدث عن واد الجدي ولحظة نزولهم به[4].

تحدث اغلب الرحالة على وادي الجدي الذي يمتد مجراه لعدة مدن وبمناطق الزاب مثل سيدي خالد واملیلي وليوة وبنطيوس، وقد أشار توماس شو في رحلته إلى الجزائر لوادي الجدي الذي يتلقى عدة مجاري مائية ويتدفق مجراه إلى الجنوب الشرقي أين يضيع في المستنقع الملحي لشط ملغيغ[5].

المبحث الثاني: الماء في أهم الحاضر والمراكز بالطريق الجنوبي الصحراوي

تنوعت الطرق والمسالك بالصحراء الجزائرية إبان الفترة الحديثة، وشهدت نشاطا خاصة طرق القوافل الحجية، حيث سلك الحجاج المغاربة عدة طرق باتجاه الحجاز وكان لكل طريق مميزاته وسلبياته كما كانت تلتقي الأركاب المغاربة والقادمة من بلاد شنقيط في مناطق اشتهرت بوفرة مياهها وحركتها التجارية، وقد سلك أبو سالم العياشي وابن مليح الطريق الصحراوي الجنوبي وكان الركب يلتقي بالأركاب الأخرى في منطقة توات ثم يواصل الركب ويسلك طريقين فهناك من يسلك الطريق العلوي باتجاه ورقلة كأبي سالم العياشي وهناك من يختار الطريق السفلي باتجاه فزان كابن مليح والحاج البشير البرتلي، وتحدث الرحالة على المسالك وما يميزها.

---

(1) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص209.

(2) الحسن اليوسي: مصدر سابق، ص 82.

(3) الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص209.

(4) احمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص711.

(5) الصادق زياني: الطوبونيميا ببلاد الزاب "دراسة في المواقع المرتبطة بالماء والتضاريس: الهيدرونيم والاورونيم"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج04، ع1-2، 2020، ص ص 84-85.

أولا: إقليم توات

يعتبر إقليم توات من أهم وأبرز الحواضر في جنوب الصحراء الجزائرية، وكان مركزا للقوافل التجارية والحجية القادمة من كل الإتجاهات واشتهر بنشاط سوقه في الجنوب الشرقي لعدة أسباب ولعل من بينها الأمن وتوفر الماء.

1- أصل التسمية والموقع:

أ-أصل التسمية: اختلفت آراء المؤرخين والجغرافيين في أصل تسمية توات وتاريخها، وكثرت الروايات وتداخلت فيما بينها ومن الأصح، فهناك من يقول أن الكلمة أعجمية وأطلقها قبائل لمثونة لما لجأت إلى الإقليم منتصف القرن 6هـ/12م[1]. والبعض يذكر أن أصل الكلمة جاء من منطقة التكرور، فالسلطان كنكان موسى[2] حاكم مالي لما حج مر بإقليم توات فتخلف الكثير من أصحابه عن الركب لوجع رجل أصابه في المشي تسمى توات في لغة السنغاي وهنا يقصد مرض يصيب الرجل فانقطعوا وتوطنوا فيها فسمي الموضع باسم تلك العلة[3].

وفريق آخر يقول أن الإسم مأخوذ من الأتوات فكان أهل توات يدفعون الأتوات وهي فاكهة كانوا يدفعونها للسلطان الموحدي بدل الضريبة[4].وهناك من يذكر أن الإسم يعود لكلمة المواتاة أي أن الأرض مواتية للعيش، بينما يصرح آخرون كعبد العزيز الفشتالي و روكلس مصطلح توات بربري ومعناه الواحة[5]، حيث يصف الفشتالي إقليم توات قائلا "هذا الإقليم المفرغ إلى قطر توات وهو

---

(1) فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18-19م، ديوان المطبوعات الجماعية، بن عكنون، الجزائر، 1977، ص2.

(2) كنكان موسى: هو منسى موسى أبي بكر، تولى حكم مملكة مالي سنة 1312م، امتدت في عهده مملكة مالي لتسيطر على طريق الذهب و الملح، قام برحلة إلى البقاع المقدسة، استمر حكمه مدة 25سنة توفي سنة 1337م. ينظر: جوزيف يوان: الإسلام في ممالك و امبراطوريات إفريقيا السوداء، تر. مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دت، ص-ص72-76.

(3) عبد الرحمن السعدي: مصدر سابق، ص7.

(4) مبارك جعفري: الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي خلال القرن 12هـ/18م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، 2011، ص399.

(5) خير الدين شترة، المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي مجلة كان التاريخية، ع33، 2016، ص40 .

أوسع وطنا وأفسح مجالا وأقرب إلى السودان اتصالا وجوارا وإلى قطر تيكورارين وهو أعظم اشتهارا واعرف نقيبا وأشد شوكة وأخشن جانبا...وتراصفت قصوره على مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر"[1]، وهناك من يقول أن اسم توات أطلقه الطوارق والعرب على الواحات المنتشرة على ضفاف واد الساورة وواد مسعود[2].

كثرت الروايات والمصادر في أصل تسمية إقليم توات ولم حقق أي منها الجزم رغم أن أغلب المصادر تتفق على الأصول البربرية للإسم كون البربر من الملثمين وزناتة أول من استوطن وسكن إقليم توات وأن أغلب تسميات القصور بربرية فكيف تكون أسماء الفروع بربرية والأصل غير ذلك[3].

ب- موقعه:

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية وهو يتوسط الصحراء الكبرى يحده شمالا العرق الغربي الكبير وواد الساورة، ومن الجنوب واد قاريت وهضبة مونيدرا مع صحراء تنزروفت، أما من الشرق يحده العرق الغربي الكبير، وفي الغرب واد مسعود وعرق الشاش[4]. أما فلكيا فيقع بين خطي طول1° شرقا و4° غربا، وبين دائرتي عرض26° إلى 30° شمالا، وينقسم جغرافيا إلى ثلاثة أقاليم رئيسية: إقليم قورارة في الشمال، وتيديكلت في الجنوب، وتوات الوسطى أو تسوات في الوسط وحاليا تسمى أدرار[5].

---

(1) أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، در و تح عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة، المغرب، 1972، ص73.

(2) سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: بودواية مخبوث، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 2011-2012، ص14.

(3) مبارك جعفري: مرجع سابق، ص399.

(4) بوكرابيلة الزهراء: إقليم توات بين التعريف والتأليف، مجلة الفرطاس، ع03، 2017،ص196 .

(5) أحمد بوسعيد: الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص التاريخ المغاربي الاجتماعي والثقافي، إشراف: محمد حوتية، جامعة أحمد دراية، ادرار-الجزائر، 2011-2012، ص03.

2- التركيبة البشرية:

تميزت الصحراء بصعوبة الحياة فيها، ورغم الظروف الصعبة إلا أن الإنسان استطاع أن يتأقلم مع الظروف يستقر بها، وإقليم توات وكغيره من ناطق الصحراء استطاع الإنسان أن يسكنه ويستقر به، واستقرت بالإقليم عدة قبائل التي تكون المجتمع التواتي ويتكون من:

- **البربر**: وهم السكان الأصليون في شمال إفريقيا وأول من استقر بالإقليم الملثمون وهم أحد فروع صنهاجة، ويقول عنهم ابن خلدون أنهم استوطنوا الصحراء قبل الفتح الإسلامي وبلادهم مابين المحيط غربا وغدامس شرقا، ومابين بلاد البربر شمالا وبلاد السودان جنوبا[1].
- **العرب**: شهد الإقليم توافد القبائل العربية منذ القرن 13م كالأشراف وقبائل معقل، البرابيش.....وغيرهم[2].
- **الأفارقة" الزنوج"**: يتواجدون بشكل كبير في الإقليم منذ القدم[3].
- **اليهود**: تعتبر هجرات اليهود من أقدم الهجرات إلى إقليم توات، حيث شهد الإقليم ثلاثة هجرات رئيسية لليهود، فالأولى كانت في القرن 2م انطلقت من ليبيا، والثانية في القرن 6م انطلقت من الموصل ثم صحراء مصر وليبيا فتوات، والثالثة انطلقت من الأندلس في القرن 7م نحو شمال إفريقيا لتصل إلى توات في القرن 10م[4].

3- الماء في إقليم توات من خلال الرحلات الحجازية:

ارتبط العمران البشري بالماء، فلم تقم مدينة إلا بوجود مصادر الماء سواء نهر أو منبع أو واد، وأبدع الإنسان في البحث عن الماء وخاصة في الصحراء لتميزها بقلة الماء والحرارة المرتفعة في الصيف،

---

(1) عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ص ص241-242.

(2) تياقة الصديق: الفقارة ودورها في الإستطان البشري وهيكلة البناء الإجتماعي في القصر من خلال نظام الخراصة، مجلة الخلدونية، مج6، ع01، 2016، ص284.

(3) بلحاج ميلود: الحرف والفنون الشعبية بمنطقة توات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص ثقافة شعبية، إشراف بالحاج معروف، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر،2018-2019، ص37.

(4) قومي محمد: دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين 9-10هـ/15-16م، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص الدين والمجتمع، إشراف: غازي الشمري، جامعة وهران، وهران -الجزائر، 2013-2014، ص ص 74-75.

وكان تجتازها القوافل التجارية والحجية، وكانت تمر بها أركاب الحج التي لم تعقهم درجة الحرارة المرتفعة ولا ندرة المياه، فتتبع الحجاج المسالك والطرق التي توجد بها معاطن الماء، ولعل توات كانت احد المراكز التي تمر عليها القوافل ، وكتب عنها الرحالة المغاربة الذين نجدهم في الغالب يتحدثون على توات كمركز ليس كإقليم لأنه نجد الرحالة يذكر تيكورارين وتيديكلت، وأغلب مساحة توات تغطيها الرمال حيث يربط العياشي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعدد الرمال وهو تعبير مجازي لكثرة الرمال بالمنطقة[1]، وفي إقليم توات ثلاثة أودية تصب مياهها في الفقاقير والآبار، وتتمثل في وادي مقيدن ووادي مسعود ووادي قاريت[2].

إن كثرة الرمال بالمنطقة أثرت سلبا في وفرة الماء بالمنطقة باستثناء بعض الواحات، وتغلب الإنسان التواتي على ندرة المياه باستغلال المياه الباطنية الجوفية، حيث يذكر ابن خلدون عن استغلال الماء في المنطقة قائلا" وفي هده البلاد الصحراوية غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة....ثم يجري على وجه الأرض واديا"[3]، ويقصد ابن خلدون الفقارة التي تعتبر أهم إنجاز لاستخراج الماء واستغلاله بالمنطقة، كما توجد الأودية كوادي الساورة الذي يتواصل جنوبا حتى يصل توات تحت مسمى واد مسعود لينعطف يمينا ليتحد فرع منه مع واد الرمل، والوادي الناتج من ذلك تتوزع ضفتيه على العديد من الواحات[4]، والمصدر الرئيسي للمياه لواد مسعود هو واد قير الذي ينحدر من جبال الأطلس بالمغرب ويصل قصور تاسفاوت جنوب تمنطيط ويكون سبخة كبيرة، وبعد اختراقه لهذه السبخة يتجه نحو مقاطعة رقان غائرا في سهل "رق" تنزروفت[5].

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص107.

(2) عبد الله كروم: الرحلات بإقليم توات " دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات"، دار دحلب للنشر، الجزائر، 2007، ص24.

(3) عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ج7، ص ص 77-78.

(4) قادة الدين: مرجع سابق، ص71.

(5) فرج محمود فرج: مرجع سابق، ص2.

و حدث أن سجل واد مسعود حالات كثيرة من السيول والفيضانات غمرت أجزاء عديدة من القصور والواحات وصلت سنة 1709 إلى غاية رقان[1].

ذكر العياشي واد قير ووصفه لكنه لم يذكر انه يصل إلى توات ولم يصف مساره بدقة، بينما ذكر ابن خلدون انه يصل إلى رقان[2]، كما ذكر العياشي واد امقيدن وذكر مياهه ومعاطنه الكثيرة وتأسف على ظاهرة دفن المناهل من طرف عرب محمد[3]، والوادي عبارة عن امتداد لواد السفور الذي ينبع من المنيعة ويتجه غربا حتى تتلاشى معالمه بعض الشيء ثم يظهر باسم واد شيدون ويستمر في سيره غربا حتى ينتهي في منطقة قورارة في سبخة تعرف بسبخة قورارة، ويحيط أيضا بمنطقة توات وادي قاريت وينطلق من الشمال الشرقي لتيديكلت مستفيدا من الانحدارات المتتالية لهضبة تادميت عابرا بعض أجزاء المنطقة لتصب مياهه في الأخير بالجهة الغربية للإقليم ويتصل في النهاية بواد مسعود ويصبح رافدا له[4]، ويتضح أن الوادي اقل قيمة من واد مسعود وواد مقيدن، ورغم أن تلك الأودية ترد إلى توات من جهات متباينة إلا أن مفعولها ضئيل بسبب بعد منابعها واستواء التضاريس من جهة، وغلبة الحر والرمال من جهة أخرى[5].

ثانيا: أهم الحواضر والمراكز بالمسلك العلوي

شهد المسلك العلوي نشاطا واسعا للقوافل التجارية، وظل معروفا لدى القوافل الحجية لكونه الطريق الذي يربط حاضرتين ورقلة وتوات، كما يربط ورقلة بالسودان الغربي ومن ابرز المراكز وأكبرها نجد ورقلة ووادي ريغ.

1- أصل التسمية والموقع الجغرافي:

- **أصل التسمية**

أ-ورقلة: تعتبر مدينة ورقلة من أقدم المدن في الجنوب الجزائري، واختلفت كتابات الرحالة والمصادر في أصل تسميتها، فحملت عدة مسميات عبر التاريخ مثل: ورجلان، ورقلان، وركلة، وركلي، وركلا،

(1) أحمد بوسعيد: الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، مرجع سابق، ص15

(2) عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ج6، ص134.

(3) ابو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص107.

(4) فرج محمود فرج: مرجع سابق، ص2.

(5) أحمد بوسعيد: الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، مرجع سابق،ص16.

ورقلة[1]، وذكرها ياقوت الحموي في قوله "ورجلان: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الجيم وهي كورة بين افريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر ومجانة"[2]، وذكرها الادريسي في قوله "بنو ورقلان"[3]، وذكرها البكري الذي أطلق عليها اسم وارجلان قائلا "فإنك تسير في الصحراء خمسين يوم إلى وارجلان"[4]، وذكرها ابن خلدون في قوله "وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين ووركلان"[5]،كما ذكرها في موطن آخر تحت اسم وركلا[6]،كما ذكرها حسن الوزان في قوله " وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا"[7]، وذكرها ابي سالم العياشي تحت اسم "واركلا"[8].

كما ذكرها احمد توفيق المدني أن أصلها ورجلان[9]، ويقول العوامر أنها كانت تسمى هرقلة أو اركلى[10]، وذهب عبد الرحمن الجيلالي نحو التأريخ للمنطقة أنها كانت تسمى بني وارجلان[11]، هذه نماذج لما ذكره الرحالة والمؤرخين عن تسمية ورقلة.

كما أن هناك عدة روايات محلية أبرزها:

– **الأولى:** تقول إن التسمية أصلها "وارجلان" وهي مركبة من جزأين: الجزء الأول" وار" وهو لفظ بربري يعني حسب رأيهم الأسد، أما الجزء الثاني" جلان " وتعني بالعربية هرب أو ذهب

---

(1) أحمد ذكار: مدينة ورقلة التسمية والتأسيس "دراسة تاريخية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع17، 2014، ص160.

(2) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، مج5، بيروت، لبنان،1977، ص371.

(3) ابو عبد الله بن محمد الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مج1، القاهرة، مصر، 2002، ص222.

(4) أحمد ذكار: مدينة ورقلة التسمية والتأسيس، مرجع سابق، ص160.

(5) عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ج1، ص70.

(6) نفسه: ج7، ص78.

(7) حسن الوزان: مصدر سابق، ج2، ص136.

(8) ابي سالم العياشي: مصدر سابق، ج1، ص107.

(9) احمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص244.

(10) إبراهيم الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلالي بن ابراهيم العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص33.

(11) عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، ج1، بيروت،لبنان، 1980، 176.

وبالتالي فالكلمة تعني الأسد الذي هرب واختفى" على أساس أن أسدا كان يعيش في المنطقة ثم هرب بقدوم السكان الأوائل لورقلة[1].

– **الثانية:** تذكر انه جاء في القواميس العربية أن لفظ " قلة" يعني النخلة الباسقة، وقد اشتهرت هذه المنطقة بكثرة نخيلها ورقلاتها[2].

ب– وادي ريغ: منطقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ لها حضور في كتب الرحالة والجغرافيين والمؤرخين الذين عملوا جاهدين للوقوف على أصول المنطقة وسكانها؛ حيث سماها ياقوت الحموي بالزاب الصغير أو ريغ، وأطلق عليها ابن خلدون بلاد أو أرض ريغ، وإذا كان مصطلح الوادي فيه دلالة على الانخفاض، فإن كلمة ريغة أو ريغ ذات صلة بأصل سكانها، حيث ذهب ابن خلدون إلى أن ريغة هي إحدى بطون مغراوة [3]، ويذكر العدواني أن أصل التسمية يعود إلى رجل يلقب بريغ واسمه ياهوت بن شملخ بن كعب بن غاوية من ولد أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام[4]، وريغ كلمة بربرية معناه السبخة فمن كان منها يقال له ريغي، والسبخة في اللغة هي الأرض ذات النز والملح ولهذا سميت بلاد ريغ جنوب زيبان بسكرة بهذا الاسم نسبة إلى شط ملغيغ[5].

- **الموقع الجغرافي والفلكي:**

تقع حاضرة ورقلة في الجنوب الشرقي، وهي جزء من المنخفض الصحراوي الكبير [6]، وتقع في قلب

---

(1) أحمد ذكار: حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي 1000-1310هـ/1591-1883م، مرجع سابق، ص ص 08-09.

(2) رضوان شافو: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري "ورقلة انموذجا 1844-1962"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص32.

(3) بن معيزة محمد شرعي: السياسة العثمانية اتجاه الصحراء الجزائرية بين التمدد والانحصار "منطقة وادي ريغ انموذجا"، الملتقى الدولي الثاني بعنوان السياسة العثمانية بين المجال البحري والصحراوي بالمنطقة المغاربية في العصر الحديث والمعاصر، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، 2019، ص02.

(4) محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005 م، ص138.

(5) أسامة الطيب جعيل: مرجع سابق، ص341.

(6) الأزهاري عباز: نظام المشيخة في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال "1603-1884"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، خصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف: عاشوري قمعون، جامعة حمة لخضر، الوادي-الجزائر، 2013-2014، ص15.

الصحراء المنخفضة المعروفة بمياهها القريبة من السطح[1]، حيث تحتل موقع جغرافي استراتيجي هام كونها مفترق الطرق في شمال الصحراء، ومحطة للقوافل الجارية وممرا لركب الحجيج القادم من المغرب الأقصى[2]، حيث يحدها شرقا وادي ريغ وغربا منطقة وادي ميزاب، وفي الجنوب الغربي منطقة المنيعة، وفي الجنوب الشرقي العرق الشرقي الكبير، وفي الشمال منطقة الحجيرة[3].

وفلكيا جنوب المنخفض الصحراوي على خطي طول 5.15° و6.30° درجة شرقا خط غرينتش ودائرتي عرض 31° و32° شمالا خط الاستواء[4].

ويقع وادي ريغ ضمن الصحراء المنخفضة، وهو إقليم مستطيل يبلغ طوله حوالي160 كم وعرضه مابين 30 و40كم[5]، ويبدأ من عين الصفراء شمالا قرب بلدة أم الطيور وينتهي جنوبا بقرية القوق قرب بلدة عمر جنوب تقرت، يحده شمالا شط ملغيغ وجنوبا ورقلة، والعرق الشرقي الكبير من الشرق وغربا منحدر حصوي وهضبة وادي ميزاب[6].

وفلكيا يقع بين خطي طول 7°شرقا و5° غربا، وبين دائرتي عرض 34° شمالا و 32° جنوبا، ويضم إقليم وادي ريغ حاليا " المغير، جامعة، تقرت"[7].

---

[1] رضوان شافو: مرجع سابق، ص 34.

[2] مولاي بالحميسي: مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، ع41، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977، ص60.

[3] أحمد ذكار: حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي، مرجع سابق، ص11.

[4] فتيحة قاضي: ورجلان وأثرها في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي ما بين القرن 2-3هـ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة تيارت، مج6،ع1، جانفي 2020، ص35.

[5] يمينة حضري بن صغير: سياسة التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطقة وادي ريغ، مجلة الواحات، مج7، ع2، 2014م، ص:458.

[6] الوردي طرطاق: أنظمة الري التقليدية في الزراعة الصحراوية "إقليم وادي ريغ انموذجا"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع32، 2015، ص ص 202-203 .

[7] الوردي طرطاق: مرجع سابق، ص203 .

2- التركيبة البشرية

أ- **ورقلة:** يتكون المجتمع الورقلي في الفترة الحديثة من:

- **البربر:** يعتبر بنو ورجلان أول من استقر بورقلة وهم ينسبون إلى قبيلة بني وركلة احد بطون زناته البربرية حيث يقول ابن خلدون في عنوان " الخبر في بني وركلة من بطون زناته "[1].
- **العرب:** لم يكن هناك تواجد للعرب في ورقلة قبل الهجرات الهلالية، وبعد الهجرات الهلالية استقر قبائل بني هلال في المغرب الإسلامي ولم تندمج مع السكان الأصليين إلا بعد فترة طويلة من الاستقرار بجوارهم[2].
- **اليهود:** سكن اليهود منذ القدم لكن بقاؤهم لم يدم، فبمجرد اعتلاء أولاد علاهم الحكم طردوهم نهائيا، وذكر صاحب كتاب غصن البان " إن اليهود ظلوا قاطنين بورجلان وديارهم قديما في السوق العمومي ولم ينجلوا عنه إلا بعد إستلاء دولة الأشراف أولاد علاهم على الحكم سنة 1040هـ فطردوهم منه ولم يبق لمهم بقية في البلاد"[3].
- **الزنوج:** اثر الموقع الاستراتيجي لورقة ونشاط التجارة مع السودان الغربي إلى تواجد العنصر الزنجي بكثرة في ورقلة حتى يشكل احد طبقاتها الاجتماعية[4].

ب- وادي ريغ: يتكون من:

- **الرواغة:** هم الذين سمي بهم الإقليم ونسب إليهم، وذكر لفظ الرواغة الأغواطي[5]، وينحدر هؤلاء من قبيلة زناته البربرية ويمثلون غالبية سكان وادي ريغ[6].
- **العرب:** هم الذين هاجروا للمنطقة بعد هجرة بني هلال وبني سليم للمغرب الإسلامي.
- **الحشاشنة والمجاهرية:** تشكل الفرقتين عنصرا رئيسيا من سكان تقرت لكثافتهم.

---

(1) عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ج12، ص106 .

(2) الأزهار عباز: مرجع سابق، ص22 .

(3) رضوان شافو: مرجع سابق، ص47 .

(4) عامر دحو: مرجع سابق، ص47.

(5) الحاج ابن الدين الأغواطي: مصدر سابق، ص101.

(6) الطيب بوسعد: الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني "وادي ريغ انموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، 2011، ص439.

- **الزنوج:** هم من بقايا العبيد الذين سيق بهم من بلاد السودان[1].
- **المولدون:** وهم عبارة عن مزيج من الدماء العربية أو البربرية بالدماء الزنجية بفعل التزاوج بين السكان الأصليين والعرب الوافدين بالزنجيات.

3- الماء في ورقلة ووادي ريغ

أ-الماء في ورقلة: تتميز ورقلة بمناخ صحراوي جاف قليل الأمطار، ولان موقعها في منطقة منخفضة وتميزها بوفرة المياه الباطنية والشطوط، وضع الإنسان عدة طرق وسبل لاستخراج المياه الباطنية واستغلالها، ويتم حفر بئر يتراوح عمقها مابين 50 و80ذراعا وأثناء الحفر يزود الحفار بجذوع النخل لربط ما تم حفره كون تربتها رملية في الغالب[2]،

وذكر العياشي أثناء دخوله ورقلة عن طريق حفر البئر بها وكيفية استخراج الماء قائلا" من غرائب هذه البلدة استخراج عيون الماء الغزير بحفر الآبار فيحفرون نحو خمسين قامة ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض فينقرونه فإذا نقبوه فاض منه فيضانا قويا ويطلع كذالك بسرعة إلى فم البئر ويصير عينا فإن لم يتداركه الحافر بالجذب أغرقه الماء "[3]. كما ذكر ابن خلدون طريقة حفر الآبار في توات وورقلة[4]. من خلال ما ذكره العياشي وابن خلدون نلاحظ أن طريقة حفر البئر واحدة وان مياه الآبار وفيرة جدا لحد صعود المياه لوحدها فوق السطح وتسمى هاته الآبار عيونا وهي المصدر الوحيد للسقي والشرب.

ويتم سقي الأجنة والبساتين عن طريق سواقي تصل إلى البساتين ويكون السقي بطريقة متفق عليها عرفيا[5]. وهناك مصدر آخر يتمثل في الأودية فرغم أنها قليلة السيلان ومرتبطة بكمية سقوط الأمطار إلا أنها تمثل احد مصادر الماء ويمر بها وادي نسا الذي ينتهي عند احد مناطق في الشمال

---

(1) عبد الحميد ابراهيم قادري: مرجع سابق، ص-ص 189-196.

(2) أحمد ذكار: الروابط الاجتماعية والاقتصادية بين وارجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث 960-1270هـ / 1552-1854م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف: مختار حساني، جامعة ابو القاسم سعد الله، الجزائر، 2015-2016، ص145.

(3) ابو سالم العياشي: مصدر سابق، ص118.

(4) عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ج7، ص ص 77-78.

(5) أحمد ذكار: الروابط الاجتماعية والاقتصادية بين وارجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث 960-1270هـ / 1552-1854م، مرجع سابق، ص149.

الغربي من ورقلة، ويعتبر من الأودية النشطة وتصل مياهه إلى ورقلة مرتين في السنة في الغالب[1]، ووادي ميزاب الذي عبارة عن شبكة من الأودية تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي لتنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب مدينة ورقلة[2].

ب- الماء في وادي ريغ: يقع وادي ريغ في منخفض تتموضع فيه مجموعة من السباخ التي تمتلئ بالماء في الشتاء، ولأن الإقليم يتميز بقلة ساقط الأمطار فقد لجأ السكان إلى استغلال المياه الجوفية وهي لا تختلف عن ورقلة، فالمنطقة غنية جدا بمصادر المياه الجوفي العذبة الموجودة في عدة طبقات جوفية، فالآبار تمثل المصدر الأساسي لسقي واحات النخيل[3].

ثالثا: أهم الحواضر والمراكز بالمسلك السفلي

يعد الطريق السفلي من بين المسالك التي كانت تمر بها القوافل الحجية من توات إلى فزان، ورغم صعوبة تضاريسه إلا انه لم يكن خاليا من المراكز والقرى والتي بدورها ساهمت جعل المسلك اقل خطورة، ولعل المسلك سمر بإقليم تيديكلت أحد مناطق إقليم توات، ومر بهذا المسلك الحاج البشير البرتلي وابن مليح السراج وقدموا أخبارا للمسلك من خلال رحلاتهم، ومن بين ابزر مراكز المسلك عين صالح بتديكلت.

1- أصل التسمية والموقع: يقع المسلك ضمن إقليم تيديكلت، وهي كلمة أمازيغية مؤلفة من قسمين: "**تيدي:** وتعني اليد، **دوكلت:** تعني الأرض المنخفضة "[4]، فمصطلح تيديكلت يعني كف اليد عند البربر تشبيها للوضع الجغرافي لهذه المنطقة المنخفضة المترامية الأطراف ، ومن بين ابرز المناطق في تيديكلت والتي ذكرها الرحالة عين صالح، و تعتبر أهم مدينة في إقليم تيدكلت وهي مدينة تاريخية تضاربت التسميات حولها، فمنهم من يقول أنها تنسب لواد كبير كان يسكنه الطوارق ويرعون فيه، وهناك من يقول أنها كلمة أمازيغية تبدأ ب"إن" بدل عين مثل انغر وتعني الشعبة وهو الأرجح لدى

---

(1) أحمد ذكار: حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية مع السودان الغربي، مرجع سابق، ص15.

(2) رضوان شافو: مرجع سابق، ص41.

(3) الوردي طرطاق: مرجع سابق، ص208.

(4) أمحمد جعفري: الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتدكلت خلال ق13هـ/19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ معاصر، إشراف عبد الرحمن بعثمان، جامعة احمد دراية أدرار، الجزائر، 2019-2020، ص13.

الأغلبية لأن أغلب معظم أسماء قصور عين صالح أمازيغية [1]، وهناك من يذكر أن أصل تسميتها يعود إلى شخص اسمه صالح، وخلال ترحاله مر بالمنطقة ووجد بها عين (منبع مائي) فأقام بالقرب منها وأقام زراعات حولها، وبالتالي نسبت هذه العين لاسمه ومنها جاء اسم عين صالح، وهناك من يذكر أن رجلا كان ذهبا للحج ومرض فتركه الركب، ولما شفي من المرض قام بحفر بئر سميت عليه، حيث قام بغرس النخيل وسميت عليه، وحسب الروايات الشفهية المحلية فإنه يقال حسب اللفظ البربري إن التسمية هي "إن صالح" حيث أن لفظ "إن" باللهجة البربرية يعني الملكية، وهو ما يصب في المعنى الأول بمعنى أن تلك العين أو المورد المائي هو ملك لصاحبه صالح[2]، وهناك من يقول أنها سميت على صالح باي قسنطينة في 1788م في حملته على توات وذكرها الشيخ محمد بلعالم باي، وهذا بعيد عن أصل المصطلح لأن عين صالح ذكرت في العديد من المؤلفات قبل هذا التاريخ[3]. أما موقعها الجغرافي والفلكي فتقع تيديكلت في وسط صحراء الجنوب الجزائري وهي عبارة عن منطقة منخفضة، يحدها من الشمال هضبة تادميت، ومن الجنوب منطقة الهقار، ومن الشرق منطقة ايغرغارين، ومن الغرب منطقة توات وصحراء تنزروفت[4]. وفلكيا تقع بين دائرتي عرض 26° و30° شمالا، و بين خطي طول01° غربا و30° شرقا[5].

أما منطقة عين صالح فتحدها شمالا هضبة تادميت وشرقا حدود ولاية إليزي وغربا قصور تيط واقبلي ومن الجنوب مناطق أهنت والإميدير، وفلكيا تقع على خط طول 6° ودائرتي عرض 24° و30°[6].

---

(1) إبراهيم حامد لمين: التبادل التجاري بين إفليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافية 999-1317هـ/1591-1900م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف محمد حوتية، جامعة غرداية، 2016، ص08.

(2) الحاج تومي سعيدان: سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، 2005، ص23.

(3) عامر دحو: مرجع سابق، ص53.

(4) صالح بوسليم: مرجع سابق، ص2.

(5) ابراهيم مياسي: الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1947، مرجع سابق، ص453.

(6) محمد ساقني: عوامل اندثار الفقارة بقصور منطقة عين صالح بالتيديكلت الشرقية، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج3، ع1، ص ص 98-99.

2- التركيبة البشرية:

اختلف المؤرخون في التركيبة البشرية بتديكلت وعين صالح ويتكون من :

- **البربر**: هم الأصليون ينقسمون إلى فرعين الطوارق وزناته.
- **الشرفاء**: أغلبهم بتديكلت ينتمون إلى الأسرة العلوية القادمة من المغرب الأقصى[1].
- **المرابطون**: من بينهم قبيلة أولاد الشيخ بن عبد الكريم المغيلي.
- **العرب**: وتتفرع منهم عدة بطون" أولاد زنان، أولاد دحمان، أولاد باحمو، الشعانبة، ....الخ"
- **الحراطين**: اختلف في أصلهم فهناك يرى أنها مكونة من كلمتين حر وثاني، وهناك من يرى ان أصلها "أحرضان" وحرفت وأصبحت أحرطان وتعني الهجين.
- **العبيد**: أغلب أصولهم من إفريقيا[2].

3- الماء بإقليم تيديكلت وعين صالح

كانت القوافل التجارية والحجية تمر بإقليم تيديكلت مرورا بعدة مناطق أبرزها عين صالح، حيث كانت تحط رحالها بها أركاب الحج خاصة الركب السجلماسي والمراكشي والركب الشنقيطي، ولعل من أبرز الرحلات المدونة عن الطريق رحلة ابن المليح السراج ورحلة الحاج البشير البرتلي اللتان تحدثا عن المسلك الذي تكاد تنعدم المصادر التاريخية حوله.

فابن مليح ذكر مدينة عين صالح في طريقه عودته تفاديا لصحراء آزكر، حيث سلك طريق تيديكلت باتجاه توات، وذكر أن منطقة عين صالح بها عيون ونخيل كثير[3]، وهذا القول يوحي أن المدينة بها مياه وفيرة لكثرة نخيلها وساكنيها، وما يؤكد ذلك بقاء الحاج البشير البرتلي مع الركب فيها مدة خمس ليالي[4]. هذا ما ذكره الرحالة عن واقع المياه بالمنطقة، أما بالعودة إلى جغرافيا المنطقة والأوضاع العامة بها نجدها لا تختلف كثيرا عن توات في طريقة استنباط الماء واستغلاله، فاعتمد سكان عين صالح على المياه الجوفية واختطوا الفقارة ، حيث نجد بعض الفقارات سميت باسم

---

(1) فرج محمود فرج: مرجع سابق، ص22.

(2) أمحمد جعفري: مرجع سابق، ص 79.

(3) ابن مليح السراج: مصدر سابق، ص133.

(4) عمرو بن عبد العزيز منير، عبد الرحمن بن محمد بعثمان: مرجع سابق، ص 09.

ساكنيها مثل فقارة العرب وفقارة الزوى، وتمكن السكان بها من شق العديد من الفقارات واستغلال المياه الجوفية[1].اعتمد سكان إقليم تيديكلت عامة وعين صالح خاصة على المياه الجوفية فهي في الغالب حلوة المذاق وعمق آبارها متوسط، والماء بها وفير[2].

وخلاصة لما سبق استنتج بعض النتائج أبرزها:

- اختلف أسماء الحواضر بالصحراء الجزائرية وتعددت الروايات في أصل تسميتها
- أثرت الطبيعة الجغرافية في كل منطقة على التركيبة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي بها
- لعبت الحواضر دورا بارزا في حركة القوافل وكانت مركزا لإلتقاء الأركاب والقوافل
- كانت أغلب الحواضر مراكز تجارية هامة وحلقة ربط بين الشمال وإفريقيا جنوب الصحراء
- تختلف طرق استنباط الماء واستغلاله من منطقة لأخرى
- أثرت وفرة الماء في انتعاش الاقتصاد لكل منطقة
- قدم الرحالة المغاربة وصفا دقيقا لمعاطن تواجد الماء.

(1) محمد ساقني: مرجع سابق، ص101.

(2) أمحمد جعفري: مرجع سابق، ص ص 43-44.

الفصل الثالث:

مظاهر تأثير الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية

المبحث الأول: تأثير الماء في الزراعة بالصحراء الجزائرية

المبحث الثاني: تأثير الماء في الحياة الاقتصادية والاجتماعية

المبحث الثالث: نوازل فقهية متعلقة بالماء في الصحراء الجزائرية

- **تمهيد:**

ارتبطت حياة الإنسان منذ وجوده بعنصر الماء، وازدادت أهميته مع تطور المتطلبات الضرورية للبقاء، كما ازدادت أكثر في المناطق الصحراوية ليس مجرد ضمان البقاء، بل كعامل لتغيير طبيعة الأرض واستغلالها وتغيير حركة السكان وطبائعهم وضمان الاستقرار، إن حركة الإنسان جعلت الصحراء معروفة وقد شهدت في الفترة الحديثة حركة واسعة بتوسع طرق التجارة وانتشار واسع لأركاب الحج، فقد دون الحجاج جغرافية كل منطقة وأثر الماء في حركة الإنسان في شتى المجالات بالصحراء، وساهمت أركاب الحج في الاستيطان البشري بالصحراء، كما تعرض العلماء في الركب لقضايا فقهية ومسائل في الدين من طرف سكان المناطق التي زاروها.

المبحث الأول: تأثير الماء في الزراعة

تعد الزراعة من أقدم المهن التي عرفتها البشرية في مجالاتها المختلفة، كونها ترتبط ارتباطا وثيقا باستقرار الإنسان، ويعتبر توفير عنصر الماء مهم وأساسي في الزراعة، بيد أن الصحراء معروفة بطبيعتها القاسية وندرة مياهها مما يجعل الإنسان يقوم بمجهود أكثر لاستخراج الماء ووضع طرق للسقي، ويصف هيرودوت الصحراء التي كان يغلب عليها الجفاف أنها ".. من هناك ومن بعد السواحل التي كانت مسكونة توجد الحيوانات المتوحشة والمناطق الصحراوية القاحلة والخالية من كل شيء"[1].وقول هيرودوت ينطبق في جانب التضاريس لكن مع مرور الزمن تغير طبوغرافيا الصحراء وبدأ الإنسان في الاستقرار بها، وقد أكدت مؤلفات الرحلات على تغير الطبيعة البشرية للصحراء واستقرت بها العديد من القبائل، وبما أن الإنسان ابن بيئته فقد بدأ بالتأثير في الطبيعة القاحلة الجرداء وحولها إلى واحات وتأقلم مع المناخ وظهرت الحواضر على ضفاف الأودية، وبدأت التجارة بالانتعاش في الصحراء الجزائرية ومرور أركاب الحج عليها دون معاناة وأرق، وهذا ما يظهر في كتب الرحلات الحجازية المغاربية التي أعطت مواصفات دقيقة عن الصحراء الجزائرية والمسالك وجعلت القارئ يغير تفكيره من صحراء جرداء قاحلة إلى واحات وحواضر ومراكز تجارية منتعشة تحوبها القوافل من كل البقاع.

---

(1) سعيد تريعة: الإنسان والماء في أطراف الصحراء ما بين القرنين (2- 6م) بين النصوص الأدبية والشواهد الأثرية، مجلة التعليمية، مج5، ع15، 2018، ص80.

أولا: الفلاحة في الصحراء الجزائرية

شكلت الأرض والماء عبر العصور أحد المسائل الأساسية المشتركة بين الأفراد والقبائل نظرًا لأهمية العنصرين في الحياة، فالأرض هي الرقعة أو المجال التي يستغلها الفرد ويعمل فيها، والماء له أهمية في استقرار الفرد ومواصلة العمل واستغلال الأرض، فقد كان الماء أساس تشكل المدن والمجتمعان وهذا ما يسمى بفن الفلاحة وهو معرفة كل الأشياء المحتاجات للزراعة[1].

والصحراء الجزائرية وكغيرها من البقاع ظهرت جليا العلاقة بين الأرض والماء من خلال تطور النمط العمراني بها من أنها كانت أرض قاحلة جرداء إلى واحات وحواضر تعنى بها الرحالة وأبدعوا في وصفها، وهذا كله يعود لمجهود الإنسان الذي تأقلم مع البيئة الصحراوية وقهرها باستغلال أراضيها وتحويلها من أراضي موحشة إلى واحات وأراضي تنتج شتى المحاصيل[2].

كان هذا بفضل استغلال الماء والتغلب عن ندرته بشتى الطرق والوسائل للحفاظ على ديمومة النشاط الفلاحي كما يكمن ارتباط الأرض بالماء في حاجة الأرض للسقي ونمو الزرع واستسقاء المواشي وغيرها من الاستعمالات في الحياة.

اهتمت كتب الرحلات الحجازية وكغيرها من المصادر التي أرخت للصحراء الجزائري خلال الفترة الحديثة للفلاحة، قد دونت كل شاردة وواردة على طول المسالك مثل أهم المحاصيل، طريقة غرس النخيل، نوعية الأرض وخصوبتها، طريقة جلب السماد وفائدة فضلات الحيوان في نمو النخيل.

1- أهم المحاصيل:

اهتم المغاربة أثناء مرورهم بالمراكز والواحات بالصحراء الجزائرية بأهم التفاصيل وأدقها، ونظرًا لأهمية الفلاحة والمحاصيل الزراعية في المنطقة ودورها في النشاط الاقتصادي وتزود أركاب الحج بالزاد

---

(1) شريف عبد الرحمان جاه: لغز الماء في الأندلس، تر: زينب بنياية، كلمة للطبع، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014، ص193.

(2) زبيدة محسن، محمد الخطيب النمر: الموارد المائية عامل أساسي للتنمية المحلية في الحوض الهيدروغرافي للصحراء الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، ع47، 2017، ص377.

فقد ذكر كل رحالة ما رآه وما عايشه أثناء اجتيازه للصحراء الجزائرية، فقد ذكر العياشي عند دخوله قرى بني عباس أنها قرى بها نخيل كثير وأكثر قرى الواد ثمرا[1].

ونفس الوصف ذكره ابن مليح ووصف بأنها كثيرة الزرع، وتوجد التمر بأنواعه، نوعا وكما[2]، ولم يختلف الرحالة في وصف واد قير الكثير الأشجار والمراعي، حيث لم يذكر نوع الأشجار[3].

إن ما يميز الصحراء الجزائرية كثرت محاصيلها، حيث ذكر كل رحالة ما رآه، وأقل شاهد ما قاله الدرعي، حيث قدم إليه أهل فكيك واستقبلوهم وقدموا لهم العنب والبسر والخوخ[4]. وعند دخول عبد السلام الناصري لأم القرى قدم وصفا لها بأنها بلاد نخيل وفواكه ومياه و بها بصل كبير وخوخ لذيذ الطعم، وأيضًا بلدة واد القصب "تيوت"، حيث بها أشجار عنب وتين وخوخ ونخيل[5].

2- النخلة وطريقة غرسها من خلال كتب الرحلات:

إن أهم وأبرز الأشجار التي اتفق الرحالة على ذكرها في طول المسالك في الصحراء الجزائرية هي النخلة، وهي أكثر الأشجار تكيفا مع البيئة الصحراوية، وقد كانت لها مكانة مقدسة لدى البشر منذ القدم وضربت بها أمثال عدة، فهناك المثل الشائع يقول "دار النخلة والرخلة[6] ما تخلى"، وهو تعبير على أهمية النخلة في الاستمرار وبركة الرزق والعيش، وهي تعطي الإنسان كل ما يحتاج له من مأكل ومسكن من خلال " تمرها، جذوها، جريدها، حطبها....الخ) [7].

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، ص78.

(2) ابن مليح السراج: مصدر سابق، ص ص28-29..

(3) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص183. العياشي: مصدر سابق، ص76.

(4) أحمد بن ناصر الدرعي: مصدر سابق، ص135.

(5) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص192.

(6) الرخلة: الأنثى من أولاد الضأن. ينظر: شوقي ضيف وآخرون: مرجع سابق، ص336.

(7) الطيب العماري: النخلة في البيئة الصحراوية "قيمة إقتصادية ورمزية سوسيوثقافية"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، 2011، ص245.

اختلفت طرق غرس النخلة والاهتمام بها من منطقة لأخرى، ففي توات والتي وصفت بأنها أرض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح لا تحيط بها جبال ولا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة، لا يكاد ينبث فيها إلا بعض النخيل وبعض الأشجار القليلة[1]، حيث يتم غرس النخلة في منطقة توات بأخذ الفسيل[2]، ووضعه في الماء عدة أيام ثم يقوم الفلاح بزراعته كما هو بعدها تبدأ الفسائل بالنمو بطريقة طبيعية وتمتد جذورها في أحواض لتسقى وتصبح أكثر قوة[3]. أما في منطقة سوف فقد ذكر العياشي طريقة أخرى، وهذا يعود لتغير الطبيعة الجغرافية للمنطقة كونها منطقة منخفضة والمياه قرية جدًا من سطح الأرض، حيث يقول "أخبرني أهل البلد أنهم إذا أرادوا غرس النخيل بحثوا في الأرض قليلا حتى يصلوا إلى الماء فيغرسونها بحيث تكون أصولها في الماء، ثم يردون عليها الرمل فلا تحتاج إلى سقي أبدا[4].

يتغير اسم النخلة حسب العمر[5]، كما يتغير اسم التمر حسب النوع[6]، ويمكن القول أن النخلة مؤنسة الإنسان الصحراوي في بيئته القاحلة لذلك حظيت بالعناية الكاملة منه، فاعتمد عليها بشكل كبير في حياته واستغلها بكل تفاصيلها وأجزائها فاتخذ التمر غذاءه الأساسي والحطب لتدفئة والطعي والجذوع لتسقيف البيوت والألياف لصناعة الحبال والسعف لصناعة القفاف وغيرها من الفوائد الجمة[7].

---

(1) زاجية هرباش: الوضع الاقتصادي في إقليم توات من مخطوط الغنية في القرنين 12-13هـ/18-19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث، إشراف: بن نعيمة عبد المجيد، جامعة وهران، 2011-2012، ص180.

(2) الفسيلة: عبارة عن نخيلات صغيرة يتم قطعها من جوانب نخلة كبيرة تكاثرت حولها (النخلة الأم) وهي تعرف في واحات المغرب الأوسط باسم "المشان". ينظر: إلياس حاج عيسى: مصادر المياه والنشاط الفلاحي في واحات المغرب الأوسط "ورجلان أنموذجًا"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج09، ع02، د ت، ص107.

(3) محمد حوثية: توات والأزواد خلال القرنين 12-13هـ/18-19م، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص102.

(4) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص123.

(5) إبراهيم حامد لمين: مرجع سابق، ص ص 49-50.

(6) أمحمد جعفري: مرجع سابق، ص167.

(7) سالم بوتدارة: الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: حنايفي هلايلي، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016، ص96.

3- طبيعة الأرض:

تتغير طبيعة الأرض من منطقة لأخرى، وعلى الرغم من أن الصحراء كانت توصف بأنها موحشة وجرداء وقاحلة، لا ينبث فيها لا زرع ولا شجر إلا أن الإنسان الصحراوي استطاع أن يتغلب على الطبيعة القاسية ويقهرها، فقد تشكلت الواحات والحواضر على مر العصور والأزمنة، وبالعودة إلى ما ذكرته كتب الرحلات وأهم ما ورد من المحاصيل الزراعية التي تزخر وتتميز بها الصحراء يظهر جليا أن أغلب أراضي الواحات خصبة، حيث يقول حسن الوزان عن توات "في هذه البلاد أراضي كثيرة صالحة للزراعة، ويوجد بها أكثر من مئة قرية بين حدائق النخيل"[1].

وهذا ما يؤكده العياشي وابن مليح في وصفه توات، ويدل على خصوبة الأراضي والمحاصيل التي ذكرها حسن الوزان، ويضيف العياشي تعجبه من خروج النبات واخضراره لعد فترة وجيزة من نزول الغيث في منطقة العلندا، قائلا "شاهد من صنع الله ذلك خروج النبات من الأرض في تلك الليلة بذلك المطر وظهرت على وجه الأرض خضرته، ولم نعهد مثل في غير هذه"[2].

تؤثر خصوبة الأرض على عدة جوانب مثل الثروة الحيوانية وكثرة المحاصيل ونشاط الأسواق، وهذا ما أوردته مؤلفات الرحالة في عدة مواطن أثناء اجتياز الصحراء الجزائرية في المسلكين، حيث تزداد خصوبة الأرض في الطريق العرضاني الأوسط لكثرة الأودية والأراضي الخصبة وتغير التضاريس،كما ترتبط خصوبة الأرض وجودة المحاصيل بمدى توفر السماد، حيث كان يستعمل سكان الصحراء فضلات الإنسان والحيوان كسماد لزيادة من وفرة المحاصيل ونوعيتها، وهذا ذكره حسن الوزان في وصف تكورارين "لهذه البلاد أراضي كثيرة صالحة للزراعة، لكن يلزم سقيها بماء البئر وتسميدها بالسماد لأنها جافة وهزيلة جدًا لذلك يلزم آل تكورارين الغرباء في منازلهم بدون أجر ليحصلوا على سماد الخيل ورجيح الناس، حتى إن أكبر ما يسيء به الغريب لمضيفه أن يتغوط خارج بيته فإذا رآه رب البيت يفعل ذلك إغتاظ وصاح به قائلا ألا يوجد كنيف في داري حتى تخرج لقضاء حاجتك"[3].

---

[1] حسن الوزان: مصدر سابق، ج2، ص133.

[2] أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص124.

[3] حسن الوزان: مصدر سابق، ج2، ص134.

إن هذا القول يدل على الحاجة الملحة للسماد في مناطق توات ونفس الشيء يذكره العياشي في وجود اسطبل خارج مدينة توات، ويضيف لما ذكره في طريقة غرس فسيلة النخل في منطقة العلندة قائلاً "... ويعالجونها بعد ذلك بأبعار الإبل وغيرها ويضعون في أصولها ولولا ذلك لماتت وكذلك يفعلون بأنواع الخضر والبقول وسائر ما يغرسون"[1].

وإن اقتضت الضرورة في حالة إنعدام السماد فقد أجاز الفقهاء بيع الأزبال لتسميد، كما حددت أوقات مخصصة لتسميد والكمية المحددة لتخصيب الأرض[2].

ثانيًا: طرق السقي

اعتمد الإنسان في الصحراء الجزائرية على عدة طرق ووسائل لتوفير الماء من أجل سقي المحاصيل أو للشرب، حيث تغيرت طرق ووسائل استنباط الماء واستخراجه كما تغيرت أيضًا طرق السقي من منطقة لأخرى.

1- الفقارة:

اشتهرت منطقة توات بالفقارة ومثلت تراثا حضاريا ومورد مائيا وحيد للمنطقة، حيث ارتبط مصطلح الفقارة بالمنطقة فمثلت شريان الحياة وسط الصحراء وأدت إلى استقرار مجموعات بشرية متنوعة.

أ- تعريف الفقارة:

- **لغة:** اختلف تعريف مصطلح الفقارة من حيث المدلول اللغوي، فهناك من أسقط شكلها على أنها تشبه فقرات الظهر في شكل الآبار، وهي مشتقة من الفقرات[3].

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص123.

(2) عبد المالك بكاي: العمل الزراعي في أرياف الغرب الإسلامي خلال نهاية العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، ع4، 2017، ص39.

(3) محمد بلعالم باي: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار المعرفة الدولية، ط خ، الجزائر، 2005، ص70.

وهناك من يرى أنها صيغة مبالغة للفقر بالنظر إلى حالة الإنسان قبل حصوله على الماء[1].

والبعض الآخر يرى أنها مشتقة من التفجير لأن الماء يتفجر من الآبار المحفورة، استشهادا بقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾[2].

- **اصطلاحًا:** يعرفها الدكتور فرح محمود فرج "الفقارة تتشكل من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة تتجمع بها المياه الجوفية وتسير مياه هذه الآبار في مجرى ذو فوهات لمسافة بعيدة، حيث تنحدر ببطء عن طريق الانحدار التدريجي لهذ المجرى وينتهي المجرى بحوض كبير تتجمع فيه المياه يسمى الماجن، ومنه تخرج القنوات تحمل المياه إلى بساتين أصحاب الفقارة كلا حسب نصيبه[3].

وعرفها قدي عبد المجيد أنها عبارة عن وسيلة لاستخراج المياه الجوفية عن طريق شبكة من الآبار متصلة ببعضها بعضا بواسطة أنفاق أرضية يسمى كل واحد منها بأنفاذ في الدارجة المحلية، وتنساب الآبار من المناطق المرتفعة في اتجاه المنحدر الأرضي حتى تصل إلى الأرض[4].

وعرفها الدكتور محمد حوتية على أنها مصطلح يدل على نفق ضيق وشكل ثقب في الأرض يربط سلسلة من الآبار يجمع هذا الثقب المياه من ينابيع تقع في مستويات مختلفة حسب تضاريس الأرض وتحفر في منحدر بسيط بحيث يكون بعضها فوق بعض وتفصل بين البئر والأخرى مسافة معينة كما يتميز البئر الأعلى عن الأدنى بانحدار يسمح بجريان الماء من الأعلى إلى أسفل[5].

اشتركت التعاريف السابقة في مبدأ نشأة الفقارة والمجسد على أرض الواقع، كما اختلف المؤرخين في أصل الفقارة ومصدرها، فهناك من يرى أن أصلها يعود مع هجرة العبيديين بعد سقوط

---

(1) بوفلجة حرمة: من الموارد المائية الجوفية في أدرار الجزائرية "الفقارة" نظام كيلها وسوقها المائية، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، مج4، ع2، 2015، ص623.

(2) سورة الإسراء، الآية 90-91..

(3) فرج محمود فرج: مرجع سابق، ص55.

(4) بوفلجة حرمة: من الموارد المائية الجوفية في أدرار الجزائرية "الفقارة" نظام كيلها وسوقها المائية، مرجع سابق، ص624.

(5) محمد حوتية: مرجع سابق، ج1، ص85.

دولتهم في مصر، وهناك من يرى أن أصلها يعود إلى البرامكة بعد نكبتهم في بغداد، وطرف آخر يرى نزوح الجالية اليهودية إلى توات، حيث قاموا بحفر الفقاقير مشابهة لما يعرف بالشراج بالمدينة المنورة، وهناك من يرى أن قبيلة زناتة هم من اختطوا وحفروا الفقارة[1].

وذكر مصطلح الفقارة في العديد من كتابات الرحلات في الفترة الحديثة، فمثلا العياشي يذكر الفقارة حين طرح عليه السؤال بيع ماء الفقارة[2]، وقد وصفها أبي العباس الهلالي السجلماسي في طريقة جلب الماء حين مر بقرية واكدة[3].

ب-**عملها:** يتم اختيار الموضع المناسب لإنشاء الفقارة وه نقطة البداية التي تحفر فيها البئر الأم، حيث يوكل الأمل إلى رجال ذوي خبرة ومهارة في هذا الشأن وهم الذين يمتلكون الخبرة في تحديد مكان تواجد المياه الجوفية بكثرة، وتحفر البئر الأم ويجب أن تكون في أعلى نقطة من المنحدر ثم البئر الثانية والثالثة ودواليك[4]. ويمكن أن تضم الفقارة حوالي 500 بئر وتمتد على مسافة طويلة تزيد على عشرة كيلومتر ويزيد عمق الآبار كلمنا اتجهنا نحو المرتفعات، إذ نجد عمق الآبار الموجودة على مشارف القصر لا تتجاوز أربعة متر، بينما الآبار التي في عين الفقارة في المرتفعات تصل إلى خمسة وثلاثين متر[5].

بمكن أن نقسم عمل الفقارة إلى قسمين[6]:

القسم الأول: منتج للماء، وهو الذي يقطع مستوى المياه الجوفية في المرتفع.

القسم الثاني: ناقل للماء، وهو الذي في المنطقة المنخفضة.

---

(1) محمد حوتية: مرجع سابق، ج1، ص ص87-88.

(2) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، ص82.

(3) عبد الله حمادي الإدريسي: الإختصار من تاريخ قصر بشار وما جاوره من القصور والديار، دار الكتاب الملكي، ط1، واد السمار-الجزائر، 2013، ص374.

(4) محمد ساقيني: الفقارة تراث أثري مندثر بقصور عين صالح بتديكلت، مجلة آفاق علمية، مج9، ع2، 2017، ص179.

(5) إبراهيم حامد لمين: مرجع سابق، ص44.

(6) ينظر مخطط يمثل شكل الفقارة في الملحق رقم07، ص138.

ج- **وسائل كيل ماء الفقارة:** يخضع كل ماء الفقارة إلى وسائل مادية وبشرية:

1) **وسائل مادية:** (القسرية، الزمام، الشقفة، الطين) [1].

- القسرية: وهي قطعة من الرمل المتصلب يسهل نحتها لتظهر على حوافها ممرات تسمى العيون، تشكل مفرزة ومحطة يتوزع منها الماء ليصل إلى أصحابه.
- الزمام: ويقصد به السجل الخاص بجرد مياه الفقارة وهو نوعان: زمام التعمير "الجريدة"، زمام الملكية "زمام الكيل"[2].
- الشقفة: وتسمى الحلافة، وهي آلة التوزيع التي عبارة هي لوح نحاسي به ثقوب، كل ثقب يصرف قدر معين من الماء[3].
- الطين: لابد أن يكون محضر من قبل الطين، فهو عامل مهم في عملية الكيل.

2) **وسائل بشرية:**

من العناصر البشرية للفقارة والتي لها دور بارز بها: (الشاهد، الحاسب، الكيال، الخدام).

- الشاهد: وهو الذي يمسك سجل الفقارة يوم التوزيع.
- الحساب: مهمته معرفة حق كل شخص من الماء، وتتعقد مهمة الحساب كلما وقع كسر في الماء.
- الكيال: وهو الشخص المكلف بآلة الكيل[4].
- الخدام: وهو الشخص الذي يقوم بتحضير الطين وعجنه قبل عملية الكيل[5].

---

[1] بوفلجة حرمة: من الموارد المائية الجوفية في أدرار الجزائرية "الفقارة" نظام كيلها وسوقها المائية، مرجع سابق، ص626.

[2] مبروك مقدم: الفقارة في قصور توات وأحوازها "المنشأة والتعريف"، ديوان المطبوعات الجامعية، ج3، الجزائر، 2016 ، ص59.

[3] زاجية هرباش: مرجع سابق، ص141.

[4] فرج محمود فرج: مرجع سابق، ص56.

[5] بوفلجة حرمة: الأحكام الفقهية لاستغلال المياه الجوفية وتوزيعها، مرجع سابق، ص217.

د-وحدات كيل ماء الفقارة:

1) الحبة: وهي نوعان:

- حبة معبود: وهي الحبة المكتوبة في الزمام والكيل وهي حبة وهمية تزيد وتنقص حسب زيادة الماء ونقصانه في الفقارة، وهي حبة من الشعير أو القمح حسبت من طرف المهندسين لهذا التوزيع وقاعدتها الذهب الخالص 24 قيراط وفيه كذلك تشابه في قاعدة الميراث في الفقه الإسلامي [1].
- حبة أرزيق: هي الحبة الحقيقية الثابتة في شقفة الكيل وقطرها ثلاثة عشر مليمتر بمنسوب ماي واحد في الدقيقة، تقاس الحبة الزريق بالشقفة ويتم من خلالها معرفة إجمالي ماء الفقارة[2].

2) القراط: هو وحدة قياس يساوي 24/1 حبة (الجزء 24 من الوحدة).

3) وحدة لها عدة مسميات: حسب المنطقة "الماجن، العود، الثمن"، لهذه الأخير تعد في الغالب حصص الأفراد وتجزء إلى أربعة وعشرين كل جزء يسمى قيراط القيراط[3].

2- الخطارة: (السقي بالدلو):

هي إحدى الطرق التي كانت تستعمل في الصحراء الجزائرية، وهي غير الخطارة التي توجد في صحراء المغرب الأقصى، لأنه يقصد بها الفقارة[4]، ولم يرد معنى للخطارة في المعاجم إلا في البعض منها، ويقصد بها حظيرة الإبل[5]، إلا أن هذا التعريف مستبعد عن مقصود الخطارة التي تعرف أنها

---

(1) مولاي عبد الله سماعيلي: الفقارة وآليات توزيع الماء بتوات" النشأة والتطور"، ج1، دار الكلمة، ط1، أدرار-الجزائر، 2017، ص52.

(2) عفيفة حوتية: حاضرة تيجورارين "دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13-19م"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، جامعة أحمد دراية-أدرار، 2014-2015، ص75.

(3) موساوي عربية: الفقارة بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع "دراسة تاريخية أثرية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص الآثار الإسلامية، إشراف: لعرج عبد العزيز، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007، ص242.

(4) عمر علا حمو، عبد المجيد هلال: أهمية الحفاظ على الخطارات وإمكانية إدماجها في سيرورة البناء الترابي بواحة تودغا المغرب، مجلة مدارات تاريخية، مج1، عدد خاص أهمية الحفاظ على الخطارات، 2019، ص ص136-151. عبد حمادي الإدريسي: مرجع سابق، ص377.

(5) شوقي ضيف وآخرون: مرجع سابق، ص244.

لك الأداة التي تصنع من خشبة النخيل، حيث يكون رأسها الأمامي حاد ومذبذبا، بينما رأسها في الأسفل عريضا حوالي عشرين سنتيمتر، أما طولها فيصل إلى مستوى يسمح بجذب الماء، تتكئ على عمودين خارجين من حائط البئر طرفها الأسفل يثقل بحجر أما طرفها العلوي مذبذب يربط في أوله دلو مصنوع من الجلد أو من سعف النخيل ويتم جلب الماء بطريقة يدوية يساهم فيها رجل واحد يقوم بعملية جذب الدلو من البئر[1]، ويتم عند ميلها إنزال الدلو بالبئر ويتم إخراج الماء من البئر وهذه التقنية تعتمد على وجود الماجن، وتوجد الخطارة في عدة مناطق من الصحراء الجزائرية[2].

ثالثًا: طرق استغلال الأراضي الفلاحية

سمحت الفلاحة وملكيات الأراضي الصالحة للفلاحة بظهور عدة علاقات، سواء كانت في إطار شراكة أو عقد بين أصحاب الأراضي وأرباب العمل أو المزارعين من بينها:

1- **المزارعة:**

المزارعة تلتزم البذر ونحوه، وهي شركة في الحرث، أصلها معلوم وشرعا ردها إلى الشركة، وقد تقدم حد الشركة[3]، ويشترط في صحتها أمران السلامة من كراء الأرض بما تنبته وعدم الدخول على التفاوت في الخارج أو المخرج، وتكون المزارعة بين شريكين في الأرض والعمل والآلة والبذرة (الزريعة) أو تكون بمقابلة الزريعة بالعمل والأرض بينهما أو بمقابلة البذر والأرض و أحدهما بالعمل، أو بمقابلة الأرض والبذر بينهما ولا يجوز مقابلة الأرض بالذر لأنه من كرائها بما تنبته، ويجوز التبرع من أحد المزارعين للآخر بزيادة في العمل أو الربح إن وقع بعد العقد لا فيه لأنه حينئذ مدخول عليه فلا يصح[4]، ويضاف إلى شركة المزارعة، شركة الخماسة، ويدعى صاحبها بالخماس، والمقصود أن المزارع لا يملك إلا جهده بينما الشروط الأخرى يقدمها المالك، أما الأعمال الأخرى كالغرس والسقي

---

(1) عفيفة حوتية: مرجع سابق، ص77. عبد الله الحمادي الإدريسي: مرجع سابق، ص383.

(2) ينظر الشكل في الملحق رقم 08، ص139.

(3) أبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع: شرح حدود ابن عرفة "الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافي"، تح: محمد أبو الأجفان، الطاهر معموري، القسم الأول، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1993، ص ص 512-513.

(4) عبد الله كانون الحسني: محادي الزقاقية، د م، ص75.

والحراسة والدرس والحصد وغيرها كلها يتكفل بها الخماس شريطة أن يحصل على خمس المنتوج، وهي حصة زهيدة جدًا[1].

تخضع المزارعة لجملة من الشروط: أهلية المتعاقدية ورضاهما، صلاحية الأرض للزراعة، تسليم الأرض للعامل، تبيان من عليه البذر منعا للنزاع، بيان نصيب كل من المتعاقدين بجزء مشاع كالنصف أو الربع، معرفة جنس البذرة وقدره[2].

2- **المغارسة:** مأخوذة من الغرس، وهي تثبيت الشجر في الأرض، ويقصد أن يعطي الرجل إلى الرجل أرضه ليغرسها شجرة، بشرط أن تحد بحد كالأثمار وأن تكون على جزء معلوم من الثمر، ويجوز أن تقع على حصة معينة لما ينبت من الشجر وإن كانت الأرض شعراء كثيرة، فلا تجوز المغارسة على قلعها[3]، ويقصد بها أيضًا عقد بين شخصين "طرفين" على تعمير أرض بشجر بقدر معلوم كالإجارة أو كالجعالة، أو بجزء من الأصل[4]، وحكمها الجواز إذا توفرت الشروط وأقسامها[5].

وتصح المغارسة بالشروط الآتي[6]:

- أن يكون الشرط غرس أشجار ثابتة الأصول.
- أن تتفق أصناف الأجناس أو تتقارب في مدة إطعامها.
- ألا يضرب لها أجل إلى ما فوق الإطعام.
- أن يكون للعامل حظه من الأرض والشجر.

---

(1) لخضر العربي: واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (962-633هـ-1235-1554م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص: تاريخ وسيط إسلامي، إشراف: محمد بن معمر، جامعة أحمد دراية-أدرار، 2017-2018، ص122. عبد المالك بكاي: مرجع سابق، ص ص 43-44.

(2) عبد القادر شاشي: العقود الإسلامية الممكنة لتمويل الزراعة، محاضرة ألقيت بمؤتمر هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات والتمويل الإسلامي، البحرين، 8 ماي 2012، ص13.

(3) عبد الله كانون الحسني: مصدر سابق، ص76.

(4) أبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع: مصدر سابق، ص515.

(5) الحبيب بن طاهر: الفقه المالكي وأدلته، ج6، مؤسسة المعارف، ط1، بيروت-لبنان، 2009، ص43.

(6) لخضر لعريبي: مرجع سابق، ص123.

- ألا تكون الأرض وقف، فلا تجوز المغارسة في أرض محبسة لأن المغارسة كالبيع[1].

وإذا وقعت المغارسة فاسدة فلصاحب الأرض الخيار بين أن يعطي المستأجر قيمة الغرس أو يأمره بنزعه[2].

3- **المساقاة:** المساقاة من فعل سقى، وهو إشراب الماء[3]. وهي الاسم من السقي، يقال سوقيا رحمة، والمساقاة موضع السقي ، وقناة يسقى منها الزرع والحيوان[4]، ويقال ساقى فلان شجره أو أرضه أي دفعه شجره وأرضه إليه واستعمله فيها ليعمرها ويسقيها ويقوم على إصلاحها على أن يكون له حق معلوم من الربح والمحصول[5]، وفي الاصطلاح هي أن يدفع الرجل كرمه، أو حائط نخله، أو شجر تينه أو زيتونة أو سائر تمر شجره لمن يكفيه القيام بما يحتاج إليه من السقي والعمل على أن ما أطعم الله من ثمرها بينهما نصفين أو على جزء معلوم من الثمر[6].

وهي القيام بخدمة شجر أو نبات بجزء من غلته وتجوز فيما لا يخلف كالموز والبغل، وفيما لم يبدو صلاحه إلا أن يكون ذلك تبعا لغيره ويشترط الجزء المساقى به وكونه شائع في ثمر الحائط "البستان" ولا يصح اختصاص أحدهما بنوع من الثمر المساقى عليه ولا شرط شيء يبقى بعد انقضائها كحفر بئر أو غرس شجر[7].

---

(1) محمد رافع يونس: المغارسة في أرض الوقف "دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي"، مجلة الرافدين للحقوق، مج15، ع52، 2011، ص ص88-91.

(2) عبد القادر شايشي: مرجع سابق، ص16.

(3) أبي الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة العربية، تح: محمد عبد السلام هارون، ج3، دار الفكر، د د ب ن، 1978، ص84.

(4) شوقي ضيف وآخرون: مرجع سابق، ص437.

(5) أحمد مختار عمر وآخرون: مرجع سابق، ص1081.

(6) أبي يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي: كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تح: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض، ط1، الرياض-السعودية، 1978، ص766.

(7) عبد الله كانون الحسني: مصدر سابق، ص76.

وحكم المساقاة أنها جائزة في جميع أصول النبتة نخل كانت أو كرم أو عنب أو زيتون أو رمان أو أشبه ذلك[1]. وشروط صحتها في الأصول بأن تعقد المساقاة قبل بدأ صلاح الثمرة وجواز بيعها وأن تعقد إلى أجل معلوم وتكره فيما طال من السنين، كما تجوز في الأصول الغير الثابتة كالزرع والمقاتي بشرطين إضافيين أولهما أن تعقد بعد خروج الزرع من الأرض واستقلاله وثانيهما أن يعجز صاحبه عن سقيه وعمله وعلاجه[2].

المبحث الثاني: تأثير الماء في الحياة العامة بالصحراء الجزائرية

مبدأ الإنسان هو الحياة و العيش في أمن واستقرار فمنذ أن وجد وهو يكد ويعمل من أجل ضمان استقراره والاستقرار مرتبط بعنصر الماء حيث قامت عدة حضارات ونشأت على ضفاف الأنهار كحضارة بلاد الرافدين على فضتي نهري الدجلة والفرات والحضارة الفرعونية على ضفاف نهر النيل، وقد تأثر الإنسان بهذه المادة الحيوية مما جعلها تؤثر في عدة مجالات سواء في الحياة الاجتماعية كبعض الطقوس أو الاقتصادية كالزراعة والتجارة

أولا: العادات والطقوس الدينية المتعلقة بالماء:

إن علاقة الإنسان بالماء علاقة حياة أو موت فكلما كانت المياه متوفرة نجد الإنسان أكثر استقرارا وتكثر التجمعات البشرية وكلما قلت هذه الأخيرة ومناطق الصحراء الكبرى وكغيرها من الصحاري فقد حاول الإنسان مجابهة قساوة ظروفها وتضاريسها وندرة مياهها، ومحاولة منه الإستقرار بها فقد قام بحفر الآبار واستغلال مياه الأمطار، وكانت هناك عادات وتقاليد قبل الإسلام ورثتها الأجيال متعلقة بالماء وهي عبارة عن طقوس تقوم بها بعض القبائل في شمال أفريقيا ظنا منهم أنها تجلب المطر، وبعد مجيء الإسلام صححت بعض المفاهيم رغم تعنت بعض القبائل وإصرارهم على ممارسة طقوسهم، فكان المسلمون يصلون صلاة الاستسقاء تقربا لله وتضرعا راجين من الله عز وجل أن ينزل الغيث ويسقي أرضه وكانت في الغالب تصلى في حالة تأخر نزول الغيث في وقته الموسمي كما كانت تمارس بعض الطقوس الوثنية كطقس تاغنجة.

---

[1] لخضر لعريبي: مرجع سابق، ص124.

[2] عبد القادر شايشي: مرجع سابق، ص18.

1-تاغنجة: "أحد طقوس الاستمطار منذ القدم"

أثرت الطبيعة القاحلة للصحراء في معتقد الإنسان منذ القدم فقد كانت بعض المجتمعات تمارس بعض العادات والطقوس ظانين أنها هي السبب في إنزال الغيث فقد بقيت راسخة في أذهان بعض القبائل حتى القرن20م، وقد كان للماء عدة دلالات ويعتبر رينيه باسيه أن المطر تم تشخيصه كائنا مذكرا في العديد من المناطق القبلية في الجزائر والمغرب، وكان ينظر إلى قوس قزح أنه عروس المطر[1].

ومن بين الطقوس التي كانت سائدة في شمال إفريقيا تاغنجة، تاسليت أو ما يسمى الفتاة العروس، ورغم الاختلاف في وصف شكلها إلا أن أغلب المناطق كانت تطلب استدرار المطر في فترات الجفاف بالاحتفال بطريقة تاغنجة، وهي من أقدم الطقوس الوثنية المرتبطة باستنزال المطر حيث يقومون وضع قصبتين مختلفتي الطول على شكل متعامد وشكل صليب، وتعلق في أعلاها ملعقة كبيرة وتتزين بالألوان على شكل عروس وبالحلي وقطع من الثوب المزركش بالألوان[2]، ويحملها الأطفال في موكب تشارك فيه النساء يرددون بعض الأقوال ويغنون أغنية الاستمطار مثل[3]:

تغنجا ياامو الرجا طلبي سيد راه جا تغنجا راه الصبة راها مشاة

يطوف الموكب عبر الدواوير والقرى والأضرحة وفي الطريق يتم رش الدمية بالماء من أعالي البيوت ويتم تحصيل واستلام العطايا والهدايا من الأهالي، وبالعودة إلى أصل هذا المعتقد يقال أن شخص يسمى أنزار كان يسمى سيد المطر رغب في الزواج من فتاة في الغاية الجمال والتي كان لها عادة الاستحمام في وادي، وعندما نزل رب المطر إلى الأرض واقترب منها خافت منه وهربت فانتقم منها وجف الوادي فجأة[4].

---

(1) حنان حمودا: الماء كمنشط انتربولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب، مجلة إضافات، ع 33- 34، 2016، ص143.

(2) ينظر الشكل في الملحق رقم 09، ص140.

(3) فاطمة الزهراء الذبياني: الماء بين الخرافة والكرامة من خلال بعض النصوص التاريخية للمغرب، موقع أنفاس نت:https://www.anfasse.org تاريخ الإطلاع يوم: 2021/04/04، على الساعة: 22:41 . .

(4) سهيلة بوهدي: عادات المجتمع المغاربي بين الموروث المحلي البربري والمؤثرات العربية الوافدة، مذكرة لنيل شهادة ماستر، تخصص: الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف: حفيظة لعياضي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019، ص29.

كانت العادة معروفة في شمال إفريقيا بمختلف أنحائها وإن اختلفت تفاصيل أدائها فإن هدفها واحد وهو نزول المطر في شكل ممارسات تعبدية تقع بين الخوف والرجاء حين تكون المحاصيل مهددة بالتلف وشح المياه[1]. فقد كانت الناس يطوفون بتاغنجة في توات وعدة مناطق من الصحراء[2].

2- صلاة الاستسقاء:

جاء الإسلام ليصحح عدة معتقدات كانت سائدة بين الشعوب، فبعد أن كانت هناك طقوس في طلب الأمطار جاءت في الدين الإسلامي صلاة الاستسقاء ليصحح كل المعتقدات والطقوس الوثنية القديمة.

أ) تعريف صلاة الاستسقاء:

الاستسقاء في اللغة في طلب السقيا، أي طلب إنزال الغيث على العباد والبلاد[3].

واصطلاحا يقصد بها طلب إنزال المطر بكيفية مخصوصة عند شدة الحاجة، وحكمها سنة مؤكدة ثابتة، وقد أجمع العلماء على أن الخروج للاستقاء والبروز والإجماع إلى الله عز وجل بالدعاء والتضرع إليه في نزول الغيث عند احتباس ماء السماء وتمادي القحط على أنها سنة مسنونة سنها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا خلاف بين علماء المسلمين في ذلك[4].

ب)وقتها وطريقة أدائها:

قال ابن قدامة رحمه الله "وليس لصلاة الاستسقاء وقت معين، إلا أنها لا تفعل في وقت النهي بغير خلاف"، وقال الإمام النووي رحمه الله "في وقت الاستسقاء ثلاثة أوجه: 1) وقتها وقت صلاة

---

(1) رزايقية فاطمة، بن معمر بوخضرة: الماء والأرض والمرأة ودلالات الخصوبة من خلال طقوس الاستمطار، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج16، ع1، 2020، ص218. .

(2) حنان حمودا: مرجع سابق، ص143. .

(3) ابن منظور: مرجع سابق، ج6، ص301.

(4) سليمان بن جاسر بن عبد الكريم الجاسر: صلاة الاستسقاء، مدار الوطني للنشر، ط1، الرياض-السعودية، 2012، ص08.

العيد، 2) أول وقتها وقت صلاة العيد ويمتد إلى أن يصلى العصر، 3) لا وقت حدد لها"[1].

إن المتتبع لحياة المجتمعات الإسلامية يرى جليا أن بعض العادات والطقوس القديمة قد اندثرت وهذا بفضل نعمة الإسلام وسماحته، بيد أن هاته المعتقدات كانت منتشرة بكثرة في العصر الوسيط وتلاشت في الفترة الحديثة ولم يبق منها إلا القليل[2].

ثانيًا: دور الماء في استقرار المجتمعات

يعتبر استقرار المجتمعات أو ما يسمى بظاهرة الاستيطان البشري بكافة المناطق في الأرض عامة وفي المناطق الصحراوية خاصة، حيث تتميز هذه الأخيرة بصعوبة إن لم أقل استحالة العيش فيها لعدة أسباب أبرزها ندرة الماء، والذي يعتبر أهم عنصر لاستقرار الماء، ولقد أثر الماء في استقرار الإنسان بالمناطق الصحراوية في الصحراء الجزائرية التي تتميز بصعوبة تضاريسها وندرة مياهها، وقد عمل الإنسان جاهد من القدم على التغلب وقهر صعوبة التضاريس من أجل الاستقرار فوضع عدة طرق وأساليب لاستخراج المياه واستغلالها، ولو نتتبع تاريخ المجتمعات بالصحراء لوجدنا بعض المجتمعات استقرت مع اكتشاف الكتابة أو بعدها وما يدل على ذلك الرسومات والأشكال التي وجدت داخل الكهوف مثل الطاسيلي والهقار[3].

وشهدت الصحراء الجزائرية عدة هجرات منذ القدم واستقروا على ضفاف الأودية مثل قبائل زناتة والهجرات القبائل العربية[4].

لقد شكل الماء ثروة طبيعية وعنصر جذب الإنسان، وفي حالة ندرتها نجدها تفرض على الإنسان نوع أنشطته ونمط عيشه وتوجه نظامه الاجتماعي، لقد كان تأثير الماء على الإنسان في شتى

---

(1) عبد العالي سعد الراشدي: صلاة الاستسقاء، د م،ص04.

(2) أحمد سراج: حول استمرارية أحد مظاهر الديانات المائية في مغرب العصر الوسيط، ضمن ندوة الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة عين الشق، المغرب، 1999، ص165.

(3) تياقة الصديق: مرجع سابق، ص282.

(4) موساوي عربية: مرجع سابق، ص58.

المجالات[1]، وشكل استقرار القبائل على ضفاف الأدوية بالصحراء الجزائرية عدة مجتمعات قبلية ألقت ظلالها على المناطق المجاورة، سواء بالتواصل الثقافي أو التجاري أو التبعية السياسية، كل هذا يعود لتأثير الماء في تشكل الحواضر والمدن، سواء كان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

أدى هذا الاستقرار إلى سيطرة بعض القبائل على معاطن الماء، مما جعلها تتحكم في استغلالها وهذا ما أدى إلى دخول القبائل في صراع مستمر مع بعضها، مما أثر على استقرارها وأمنها، وقد وصل الصراع في بعض الأحيان إلى حد الاقتتال، حيث يذكر السجلماسي أن تحاكم إليه فريقان كانا يقتتلان على عين ماء، مما يدل على أهمية الماء، حيث يقول "تحاكم إلي فريقان.. وكان خصامهم على عيني ماء، أحدهما تسمى عين مالة والأخرى عين القدح فسلم أحد الفريقين للأخر بالاشتراك معه في عين مالة، وأدعى الاختصاص بعين القدح وإنما الفريق الأخر كان يتصرف فيها على وجه التعدي والقهر فكلفت مدعي الاختصاص بإثباته وإثبات القهر الذي زعم لأن الأصل عدم العداء"[2]، وهذا القول يدل على الدور الهام الذي تقمصه العلماء المغاربة في الصلح والفتوى وحل النزاعات بين القبائل وإصلاح ذات البين، وكثيرا ما حدثت منازعات بين فريقين وتشهد النوازل على هذه النزاعات التي كانت ترد على الفقهاء حول أحقية واحد منهم في السقي قبل الأخر، أو إنشاء سواقي وعيون جديدة، وكثيرًا ما كان الفقهاء يسعون إلى حل هذه الخلافات من خلال فتاويهم نظرًا لأهمية الماء في الصحراء[3].

إن الحياة في الصحراء تعتمد في الأساس على الماء في شتى المجالات، وإن الفرد الصحراوي كان يتنازع مع غيره من أجل الماء، فأهمية هذه المادة الحيوية ونظرًا للظروف المناخية في الصحراء تزداد الحاجة لها ويزداد الصراع على معاطنها وهذا ما أورده العياشي عن ظاهرة دفن المناهل في واد مكيدن، حيث يقول "..إلا أننا وجدنا غالبا مناهل قد دفنها أولاد محمد عرب توات خائفين من عدوهم

---

(1) الحسن المحداد: الماء والإنسان بحوض السوس، تق: حسن بن حليمة، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط-المغرب، 2003، ص15.

(2) الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص164.

(3) عميور سكينة: ريف المغرب الأوسط في القرنين (6-5هـ/11-12م) "دراسة إقتصادية واجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: تاريخ الريف والبادية، إشراف: إبراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة، 2012-2013، ص115.

سعيد أن يغيروا عليهم فطمسوا ما في طريقهم من المناهل لأجل ذلك[1]. ومن مظاهر التأثير الاجتماعي للماء الخلاف بين الزوجين على السقي، وقد سئل عبد السلام الناصري عنها[2].

ثالثًا: تأثير الماء في الأوضاع الاقتصادية بالصحراء الجزائرية

شهدت الصحراء الجزائرية في الفترة الحديثة حركة واسعة للقوافل التجارية بين شمال إفريقيا وإفريقيا جنوب الصحراء، حيث كانت تشهد نشاط واسع، ويعود هذا إلى توفر الأمن ووفرة الماء على طول الطرق والمسالك، حيث أثر الماء في حركة القوافل وتحديد المسالك، وكان له أهمية بالغة في نشاط الاقتصاد وركوده، ففي توات شهدت حركة واسعة في أسواقها وهذا بفضل توفر الماء عن طريق الفقاقير لاستعمالاته العديدة، حيث كان له دور في الصناعات الأولية والحرف التي اشتهرت بها المنطقة كصناعة الفخار والجلود التي تشكل أساس إقتصاد المنطقة، وكانت المادة الأولية تستخرج من مناجم تسمى نفازة، كما كان هناك نوع أخر من الطين يجلب من الأودية[3].

إن استغلال الطين في توات لإخراجه وتشكيله لا يمكن أن يكون إلا بالماء، وهنا يظهر جليا أثر الماء في صناعة الفخار، كما أن نشاط الأسواق ووفرة المواد الأولية كالجلود والسمن والحصير والسجاد التي تصنع من سعف النخيل لا يكون إلا بنشاط الزراعة، وهذه الأخيرة لا يمكن أن تزدهر إلا بتوفر الماء لأن العلاقة بين الأرض والماء لإنتاج وتطور الزراعة علاقة تكامل، فلا يمكن أن تتطور الزراعة بدون وجود ماء[4].

إن وفرة الماء ساعدت على نشأة الأسواق والمراكز التجارية، فقد شهدت أهم المناطق في الصحراء الجزائرية نشاط ورواج للسلع سواء القادمة أو التي تنتجها الأيادي المحلية، فقد اعتمد التجار في تلك الفترة على المبادلات التجارية والتي زادت من نشاط الأسواق وجعلها قبلة للقوافل وأركاب

---

(1) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، ص107.

(2) عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص187.

(3) صالح بوسليم: مرجع سابق، ص57.

(4) رشيد حفيان: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني في القرنين (11-12هـ/17-18م)، مرجع سابق، ص46.

الحجيج وهذا ما سهل من اكتشاف الطرق والمسالك ومعاطن الماء في الصحراء، كان لمعاطن الماء دور في تحديد طرق القوافل، حيث تكثر في بعض المسالك، ولا تكاد تمر مرحلة إلا وتجد معطن للماء[1].

وتحدث العياشي عن طرق استغلال الماء واستعمالاته اليومية، حيث يذكر في مدينة بسكرة الكثير من الأرحاء تطحن بالماء[2]، وأكد السجلماسي على جودة دقيق بسكرة قائلا "وأقمنا في بسكرة يومين لشراء المحتاج إليه من دقيق وايدام والدقيق لا يوجد هنا إلا فيها في اختصاصها بوجود أرحاء الماء فيها دون غيرها"[3].

المبحث الثالث: نوازل فقهية متعلقة بالماء بالصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية

تتميز الرحلة إلى الحج بطابعها الديني، فالغرض من الرحلة أداء فريضة الحج، كما يمكن القول أن لها طابع علمي لكون الركب يحوي علماء، ومن خلال ما كتبوه في رحلاتهم عن ملاقاتهم العلماء والمشايخ والحوار معهم في مسائل دينية، وصفة الرحالة في الغالب فقهاء وعلماء دين أمثال العياشي والحسين الورثلاني[4]، وهذا ما يميز الرحلات الحجازية عن الرحلات الجغرافية، فأغلب ما يورده الرحالة هو الأوضاع العامة في طريقه إلى الحج ويركز في أغلبيته على الجانب الديني وملاقاة العلماء والنقاش معهم في مسائل فقهية، وهذا لا يمنع أن العالم في الركب يلتقي بالعالم فقط، فقد التقى بعامة الناس وسألوهم عن مسائل فقهية وأفتوا فيها وكان لهم دور أيضًا في حلها وفك النزاعات، ولعل أن لأغلبهم

---

(1) أحمد ذكار: حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي 1000-1310هـ/1591-1883م، مرجع سابق، ص77.

(2) أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج2، ص540.

(3) الهلالي السجلماسي: مصدر سابق، ص218.

(4) الحسين الورثلاني: هو الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن احمد الشريف نجل الولي سيدي علي البكاي البجائي الذي اصله من مدينة تافيلالت بالمغرب، ولد عام 1125هـ/1713م بقرية انو قرب قرية بني ورثلان، تلقى بها تعليمه وحفظ القرءان الكريم ودرس علوم القه والحديث وغيرها من العلوم النقلية، له مسيرة حافلة بالعلم والمؤلفات ودرس في عدة مناطق، قام بثلاثة رحلات إلى الحج، توفي عام1193هـ/1780م.ينظر: يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1995، ص44.

متصوفة فقد ذكروا ذلك في رحلاتهم جملة وتفصيلا، ومن بين المسائل الفقهية التي سئل عنها الرحالة المغاربة بعض المسائل التي كان يدور موضوعها حول الماء.

أولا: مفهوم النوازل الفقهية

إن فقه النوازل من أبواب فقه الأحكام الشرعية الضرورية للناس لحل مسائلهم والإجابة على نوازلهم ويبين لهم الحلال والحرام في قضاياهم، ولقد أطلق علماء الغرب الإسلامي تسمية "فقه النوازل"، وامتد هذا النوع إلى بلاد المغرب وبلغ العلماء في تفريع مسائله وتشقيق فروعه مبلغا كبيرًا وحظي باهتمام كبير لدى العلماء المغاربة، ولعل أبرز المصادر الفقهية في المذهب المالكي كتاب المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب لأحمد بن يحي الونشريسي.

1- تعريف فقه النوازل:

إن هذا الموضوع مكون من مصطلحين "فقه، النوازل":

1-أ. تعريف فقه: لغة: الفقه في اللغة من فعل فقه، وفقه بالضم والكسرة لعين الفعل، فيقال أوتي فلان فقه في الدين، أي فقهم والرجل فقه والأنثى فقيهي، فالفقه معناه الفهم بالشيء والفهم له، ثم غلب على علم الدين لشرفه[1].

والفقه معناه مطلق الفهم، وقيل فهم الأشياء الدقيقة، وقيل فهم غرض المتكلم من كلامه[2].

اصطلاحًا: الفقه عبارة عن العلم والفهم في أصل الوضع، يقال فلان يفقه الخير والشر، أي يعلمه ويفهمه، ولكن صار يعرف عند العلماء عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة حتى لا يطلق بحكم العادة اسم الفقيه على متكلم وفلسفي ونحوي ومفسر ومحدث، بل يختص بالعلماء بالأحكام الشرعية الثابتة الأفعال الإنسانية كالوجوب والندب والإباحة والكراهة وغيرها[3].

---

[1] عبد الخالق قصباوي: أصول الاستنباط الفقهي في النوازل التوتاية "فتاوى الشيخ عبد الكريم البلبالي انموذجًا"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص: فقه وأصول، إشراف: محمد ذباغ، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2015-2016، ص52.

[2] عبد الحق حميش: فقه النوازل في الغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الحادي عشر للمذهب المالكي بعنوان الفقه والحياة والمجتمع من خلال موسوعة المعيار المعرب للونشريسي، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015، ص41.

[3] أبي حامد الغزالي: المستصفى من علم أصول الفقه، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1997،ص12.

والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، وهو علم حديث في الإسلام، لم يعرف إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ كان المسلمون يسألونه ويستفتونه فيما ينزل بهم فيجيبهم ويفتيهم بعد أن ينزل عليه الوحي أو يلهمه الله إلى الحكم[1].

1-ب. تعريف النوازل:

- لغة: النازلة من فعل نزل، ومعناه حل، وما يحل معناه من فوق إلى أسفل مما يجعل الوقوع يحمل معنى الشدة والضيق والمصيبة، والنازلة الشديدة تنزل بالقوم كما تحمل معنى الفرح والسعة[2]، والنازلة مفرد لنازلات ونوازل صيغة مؤنثة لفعل نزل، ويقال حلت بهم نازلت أي حلت بهم مصيبة شديدة[3].

- اصطلاحًا:

النوازل مسائل وقضايا دينية ودنيوية تحدث للمسلم ويريد أن يعرف حكم الله فيها، وقد كان يلجأ المسلمون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخلفاء الراشدين وعموم الصحابة يستفتونهم عن أحكام بعض النوازل فكانوا يلتمسون لها نص من الكتاب أو السنة يمكن أن تخرج النازلة تحته فإذا وجدوه وقفوا عنده وإلا اجتهدوا في استنباط أحكام تساير القرآن والسنة ولا تخالف الشريعة الإسلامية[4].

وشاع عند الفقهاء إطلاق النازلة على المسألة الواقعة الجديدة التي تتطلب اجتهاد، حيث قال ابن عبد البر "باب اجتهاد الرأي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النازلة"، وقال عنها النووي "وفيه اجتهاد الأئمة في النوازل وردها إلى الأصول"، وقال ابن القيم "وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهدون في النوازل"[5].

---

(1) محمد حجي: نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر، ط1، المغرب، 1999، ص09.

(2) ابن منظور: مرجع سابق، ج13، ص659.

(3) أحمد مختار عمر وآخرون: مرجع سابق، ص2197.

(4) محمد حجي: مرجع سابق، ص ص 11-12.

(5) نصيرة ذهينة: مدخل إلى فقه النوازل، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي بعنوان "فقه النوازل في الغرب الإسلامي"، وزارة الشؤون الدينية، عين الدفلة-الجزائر، 2010، ص19.

- **تعريف فقه النوازل:** هو العلم بالأحكام الشرعية التي وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدلى عنها بحكم من ذي قبل.

2- أهمية فقه النوازل: تكمن أهمية فقه النوازل في العناصر الآتية[1]:

- إن فقه النوازل من العلوم المهمة في حياة الناس اليوم لأنه يجيب ويحل مشكلات وقضايا نزلت بالناس وهم في حاجة لمعرفة الحكم الشرعي فيها.
- الأثر العلمي الذي تخلفه إجابات الفقهاء كونها مرجع وسجلا لقضايا مشابهة قد تحدث مستقبلا.
- الحرص على تأدية الأمانة التي حملها الله للعلماء.
- تثري النوازل الفقيه بعلم من سبقه من العلماء.
- إظهار وإبراز مدى صلاحية وكمال الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.
- لم تكن النوازل متشددة في التعامل مع الوقائع التي حداثة في عصور متقدمة بل راعت لأعراف الناس وعاداتهم وتقاليدهم.
- حلولها آنية ومحلية أي مرتبطة بزمان ومكان معين وهذا يضفي على الشريعة الحركية والنشاط والاجتهاد المستمر.
- تشكل النوازل صورة واضحة عن الفكر الاقتصادي والسياسي والثقافي.

ثانيًا: نازلة بيع ماء الفقارة

يعد علم النوازل الفقهية من أهم الجوانب الشائكة في الفقه الإسلامي، وذلك لقيامه على الاجتهاد وفهم الواقع والدراية الصائبة على تنزيل الأحكام المستجدة على منازلها، وقد كتب العلماء على قضايا صادفتهم ولم يكن لها حكم شرعي مسبق، وكثيرًا ما حدث هذا في أركاب الحج، ومن القضايا التي صادفت الفقهاء في أركاب الحج القضية التي سئل عنها العياشي في توات عن حكم بيع ماء الفقارة.

[1] عبد الحق حميش: مرجع سابق، ص ص50-57. زاجية هرباش: مرجع سابق، ص ص 40-41.

1- نص النازلة: يقول العياشي "أن رجلا اشترى من آخر ستة أجزاء أو قريب من ذلك من ماء عين جلبت من بعيد للفقاقير... وثمانية أجزاء من عين أخرى، والعينان مختلفتان في القلة والكثرة والبعد والقرب وغير ذلك من الأوصاف التي تختلف بها رغبة الناس ي المشتري اختلافا كثيرًا، ثم إن هذا المشتري باع من أخر أجزاء معلومة العدد من كلتا العينين كخمسة مثلا ولم يبين ما لكل عين من الأجزاء"[1].

2- إجابة العياشي عن النازلة: بعد طرح السؤال على العياشي أجاب بفساد البيع لسبب الجهل بالمثمون ولا يدري ما له من العين المرغوب فيها وما له من الأخرى، وقد وجه الطرف الأخر للسائل "الخصم المستفتي" السؤال إلى القاضي سيدي أحمد الخطيب نفس السؤال إلا أنه زاد أن العينين يجتمعان في بركة ليصبح ماء واحد ثم يجزأ أجزاء وأن الأجزاء المبيعة إنما هي من الماء بعد اجتماعه في ذلك المحل فأجاب بصحة البيع لأن الماء بعد اجتماعه في المحل صار معلوم القدر وأجزاءه معلومة وإن اختلفت موارده التي يجتمع فيها.

ولم يكتب القاضي إجابة العياشي ولم يدونها بحجة أنها أجاب عنها ولا يمكن أن تكون إجابتين متناقضتين في نازلة واحدة حفاظا على صمعته.

إن السؤال الذي طرح على العياشي ما هو إلا واحد من النوازل التي تقع حول المياه وتختلف في مضمونها، وقد ذكر الونشريسي عدة نوازل تتعلق بالماء.

ثالثًا: نازلة الحلف بتحريم الزوجة إن لم تسقي الماء

إن المجتمع هو الجسم الواحد، المركب من خلايا متفاعلة هم أفراده من البشر من ذكر وأنثى، ويطلق عليهم بالجسم الاجتماعي، هذا الجسم الذي تشكل فيه المرأة طرفا فاعلا في معادلة المقاربة البنائية للمجتمع، سواء في البادية أو الحضر، وأن أساس نشأة الأسرة هو الزواج الشرعي، وقد جاءت في ذلك فتاوى وأحكام فقهية وقضائية تنظم التعاون بينهما لبناء حياة أسرية يكتنفها الرخاء واستقرار المجتمع لاسيما ما يتعلق بالمرأة التي تمثل العنصر الفعال في بناء الأسر عند الفقهاء، وقد كانت الزوجة

[1] أبو سالم العياشي: مصدر سابق، مج1، ص82.

محل اهتمام لأن حقها الشرعي لا يغبط رغم ما يحدث من خلافات زوجية، وقد حدثت عدة نوازل في الخلافات الزوجية بين التحريم والطلاق، ومن بين الخلافات التي سئل عنها عبد السلام الناصري وهو في طريقه إلى الحج بعد خروجه من القنادسة.

1- نص النازلة: سئل عبد السلام الناصري عن من حلف بحرم زوجته إن لم تسقي الماء أيكون كافر أم ماذا يلزم الحال؟[1]. ورد في نص النازلة شرط التحريم بعدم السقي.

2- إجابة عبد السلام الناصري عن النازلة: بما أن المكانة الدينية التي يحظى بها عبد السلام الناصري فقد رد على السائل وذكر بعض الشروط: الحالف عاصي في يمينه؛ في حالة أن الزوجة سقت الماء انحلت عنه يمينه، وتلزم الحالف التوبة والاستغفار.

في حالة أن ضرب للسقي أجل ولو بالعرف ومضى زمانه "مرور فترة السقي" ولم تفعل الزوجة "لم تسقي" حرمت عليه بمقتضى يمينه ما لم يبادر بالرد، وتطلق طلاقا طلقة بائنة عملا بقول "لا ردته فبائنة ولو لدين زوجته".

وخلاصة لهذا الفصل والتي اذكرها في شكل نتائج:

- ارتباط الزراعة في الصحراء الجزائرية بالماء وعمل الفرد الصحراوي على استنباط الماء بشتى الطرق.
- تنوعت المحاصيل في الصحراء الجزائرية، وتعتبر النخلة أهم الأشجار وأبرزها واختلفت طرق غرسها من منطقة لأخرى.
- اختلفت طرق السقي بالصحراء الجزائرية حسب طبيعة الجغرافية للمنطقة ووفرة الماء
- كان للماء دور بارز في استقرار المجتمعات بالصحراء الجزائرية، وفي النشاط التجاري وحركة القوافل .
- وجهت للرحالة المغاربة مسائل فقهية متعلقة بالماء وقدموا إجابات لها.

[1] عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص 187.

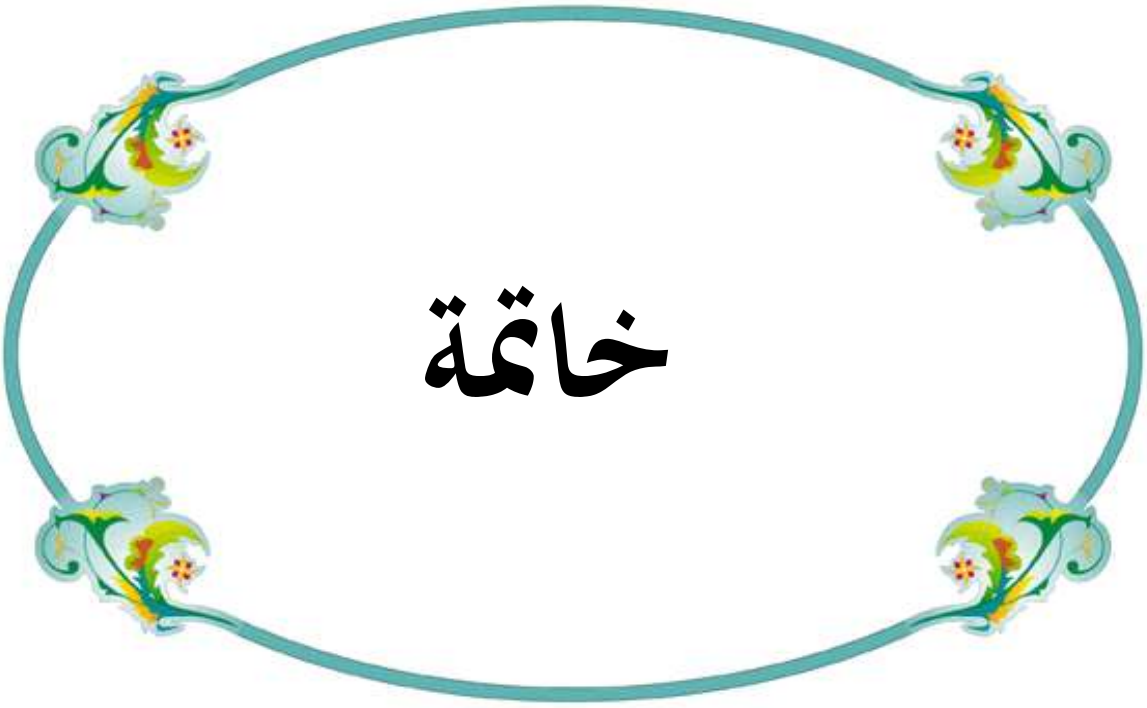

خاتمة

تميزت الصحراء الجزائرية بتنوع تضاريسها، وقد كانت مجهولة المعالم منذ القدم، وفي الفترة الحديثة انقشع اللبس عن هذا الفضاء الواسع الذي تميز بمجموعة من الخصائص جعلته محل اهتمام التجار والرحالة، وظهرت العديد من الطرق والمسالك نحو إفريقيا جنوب الصحراء، وبعد تراجع مسلك البحري زادت الطرق البرية نشاطا خاصة في الفترة الممتدة مابين القرنين 11-12هـ/17-18م الذي شهد حركة واسعة ونشاط كبير للقوافل الحجية والتي تمر عبر الصحراء الجزائرية وتنوعت مسالكها حسب الظروف والزمن، ولعل ابرز أمر يشغل بال الرحالة هو عنصر الماء وأماكن تواجده، وقد تركت كتب الرحلات رصيدا علميا كبيرا حول الصحراء الجزائرية عامة وعنصر الماء بها خاصة.

وبناءا على ما ذكرته سابقا في المتن توصلت إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

- ارتبط العناصر الثلاثة "الصحراء، الماء، الرحلة" ارتباطا وثيقا فلا يمكن التوغل في الصحراء والإرتحال دون ماء ومعرفة معاطن تواجده والبعد بين معطن واخر.
- ذكرت كتب الرحلات الحجازية الأوضاع العامة بالحواضر والمراكز في الصحراء الجزائرية لم تذكرها مصادر أخرى خاصة في الفترة الحديثة في ظل غياب الكتابات المحلية التي أرخت لتاريخ الصحراء الجزائرية.
- تعتبر المعلومات الواردة في مؤلفات الرحالة صادقة إلى حد بعيد كون الرحالة أغلبهم رجال الدين ومتصوفة.
- تنوعت مسالك الرحلات الحجازية بالصحراء الجزائرية فأغلب اركاب الحج سلكت الطريق العرضاني الأوسط لعدة اعتبارات كتقارب المراحل بين الحواضر والمراكز، وكثرة معاطن الماء، وسهولة تضاريسه مقارنة بالطريق الصحراوي الجنوبي، وانه كان واضح المعالم لدى اركاب الحج المغربي المراكشي والفاسي .
- تنوعت مصادر الماء في الصحراء الجزائرية، حيث تكثر الأودية في الطريق العرضاني الأوسط وتقل في المسلك الجنوبي الصحراوي وهذا يعود لطبيعة جغرافيا كل مسلك، ومناخه.

- كان للقوافل الحجية دور بارز في حفر العديد من الآبار خاصة في المسلك الصحراوي الجنوبي وذكر ابن المليح أن الركب قام بحفر بئر في المسلك الذي سلكه.
- كشفت كتابات الرحالة عن مناطق كانت غير معروفة من قبل وإعطاء وصف لها "صحراء تنزروفت، صحراء آزكر".
- اعترضت طريق الحجاج بعض الصعوبات كقلة معاطن الماء والتغيرات المناخية وصعوبة التضاريس.
- تنوعت الحياة الإقتصادية في الحواضر والمراكز بالصحراء الجزائرية، وتنوعت المحاصيل الزراعية من منطقة لأخرى، ويذكر الرحالة نشاط الزراعة بها وتأثيرها في نشاط الأسواق وحركة القوافل.
- يعتبر الماء أهم عنصر لتشكل الحواضر، فنجد أغلب الحواضر قامت بجانب أحد مصادر الماء على الرغم من تنوعها.
- اثر الماء في الحياة العامة بالصحراء الجزائرية في مختلف مناحي الحياة فكان يظهر جليا تأثير عنصر الماء في العادات والتقاليد، وفي الحياة الإجتماعية حتى أنها كانت هناك شعر ينظمه الشعراء على الماء وابراز اهميته في الحياة .
- ابرز الصراعات القبلية كانت ولا تزال على مصادر الماء، فذكرت كتب الرحلات البعض منها ودور الرحالة المغاربة في إصلاح ذات البين وما ذكره الحضيكي خير مثال، ولا يزال الصراع حتى اليوم وهذا ما نراه حاليا في الصراع على نهر النيل.
- تعرض بعض الرحالة إلى مسائل كان يدور موضوعها حول الماء، وفي الغالب كانت عبارة عن نوازل فقهية حيث قدم الرحالين إجابات لها وتفسير لأغلبها كونهم رجال دين.
- تعتبر النخلة من ابرز الأشجار في الصحراء الجزائرية ولا يمكن ان نجد حاضرة بدون ان نجد بستان نخيل.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة الحدود الجغرافية للصحراء الجزائرية [1]

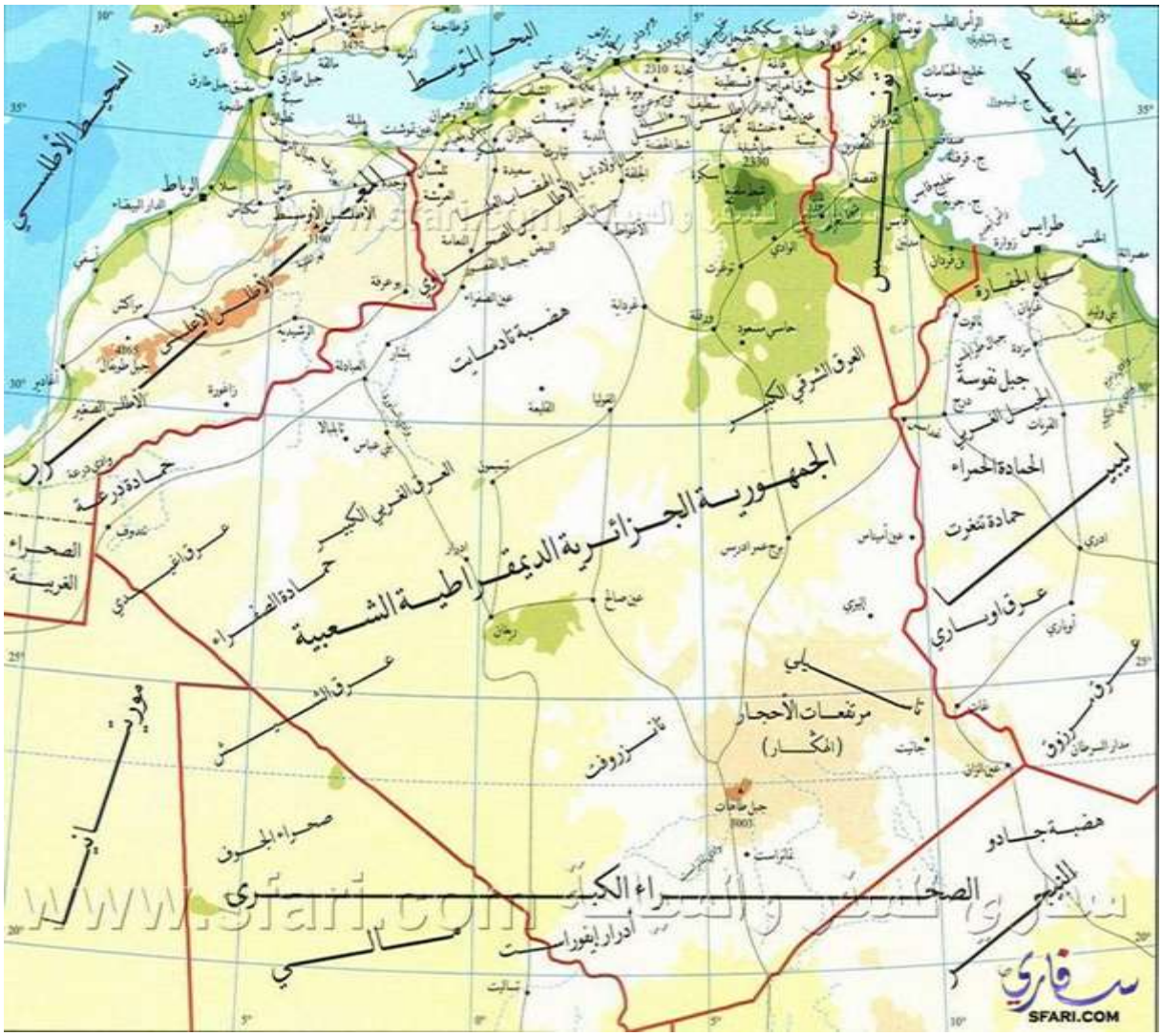

[1] موقع قانون العرب: https://www.law-arab.com/2015/07/algeria-Map-detailed.html ، تاريخ الاطلاع يوم 25 افريل 2021 على الساعة 18و22 دقيقة.

الملحق رقم 02: خريطة مسار ومحطات الطريق العرضاني الاوسط[1]

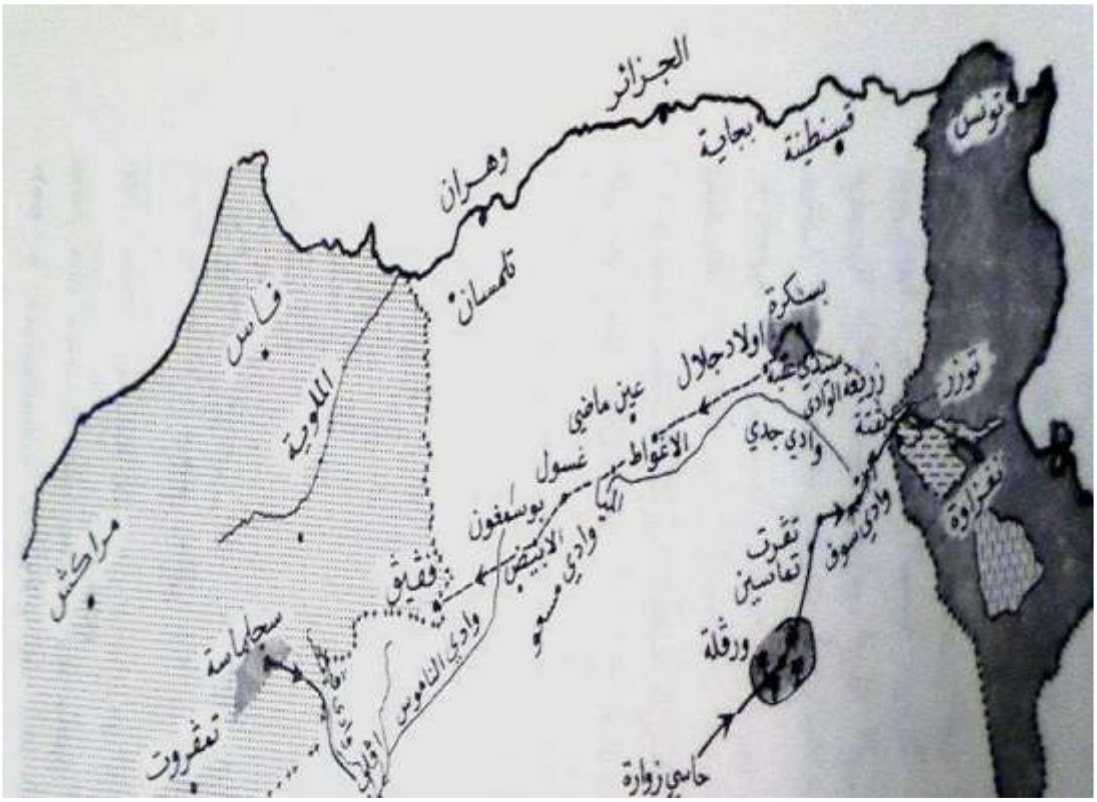

[1] مولاي بالحميسي: مرجع سابق، ص94

الملحق رقم 03: خريطة مسار ومحطات الطريق الركب الشنقيطي[1]

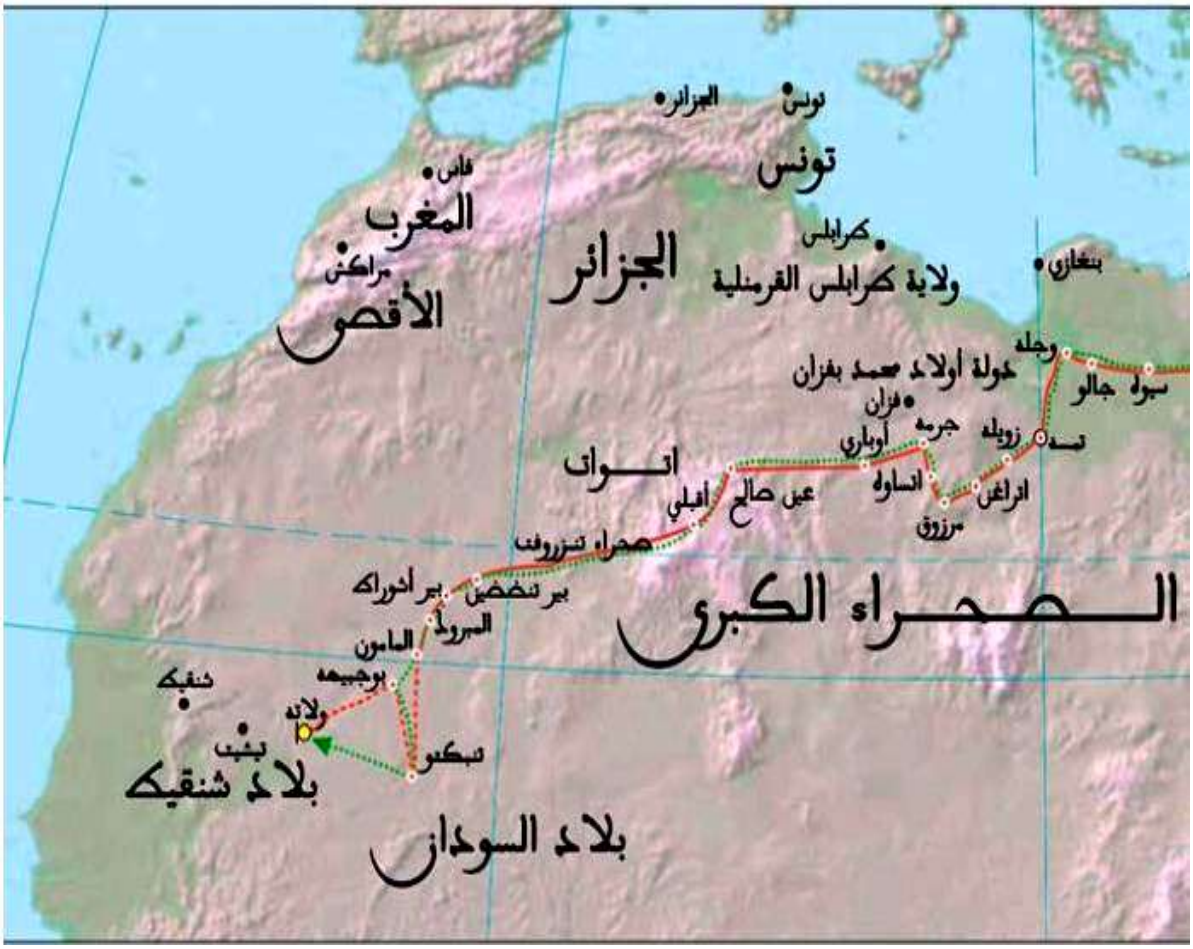

[1] البرتلي الحاج البشير: مصدر سابق، ص211.

الملحق رقم 04: خريطة مسار رحلة العياشي في الطريق العلوي بالمسلك الجنوبي الصحراوي[1]

[1] مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال الرحلات المغاربة، مرجع سابق، ص94

الملحق رقم 05: خريطة مسار رحلة ابن مليح السراج[1]

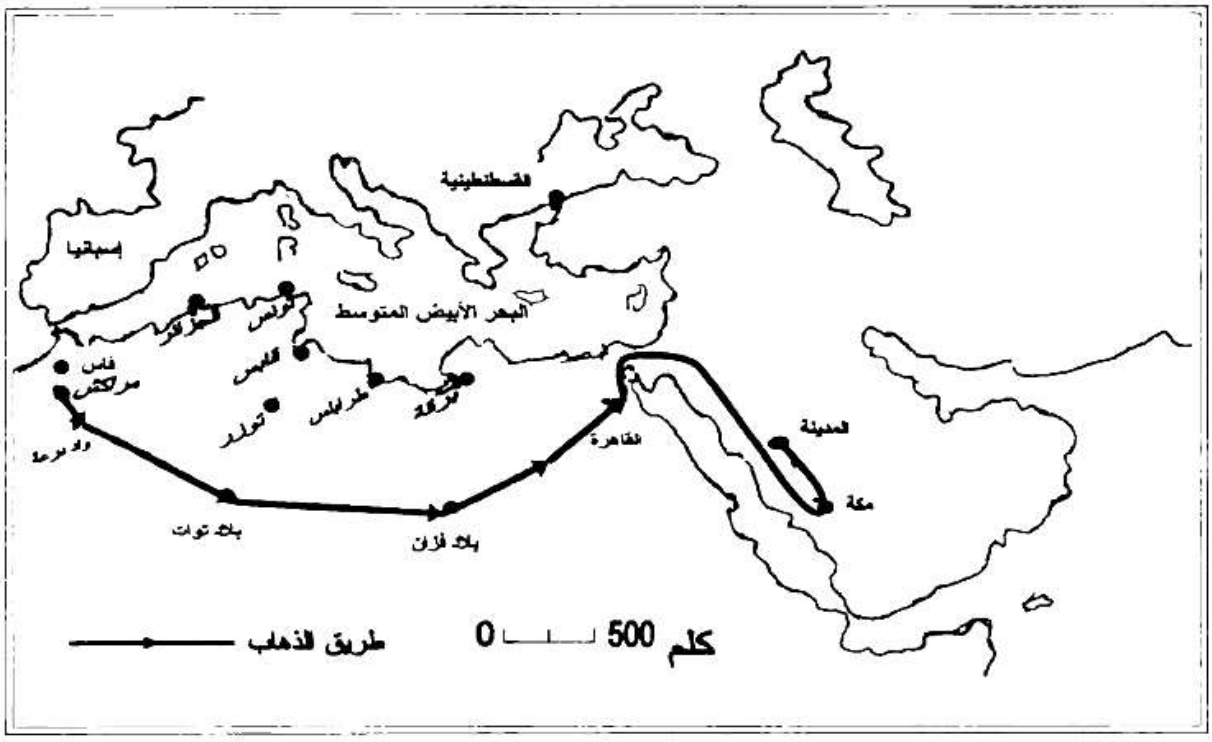

طريق رحلة ابن مليح السراج (الركب المراكشي)

[1]مصطفى الغاشي: مرجع سابق، ص669.

الملحق رقم 06: خريطة بلاد الزاب [1]

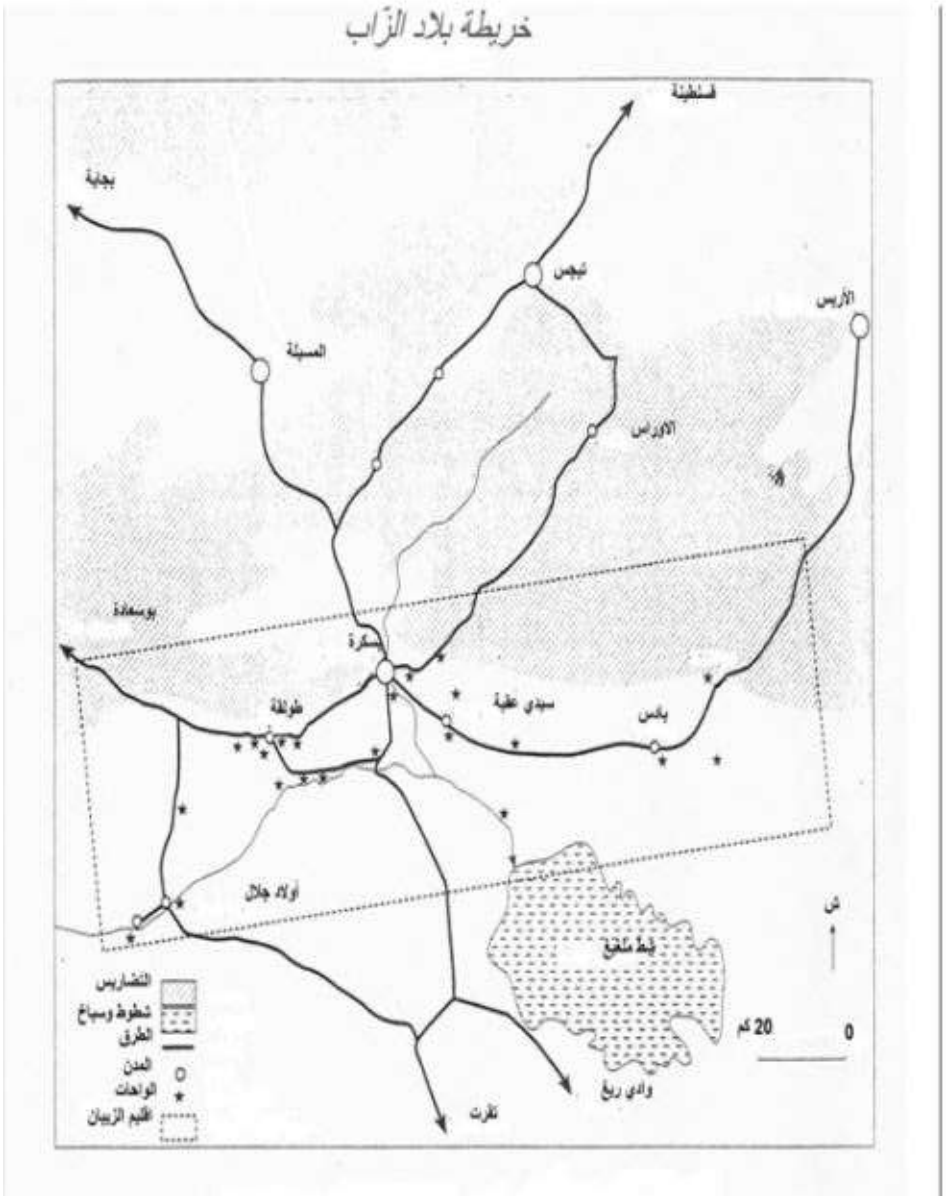

[1] علي الهطاي: مرجع سابق، ص 15.

الملحق رقم 07 : مخطط لطريقة السقي بالفقارة[1]

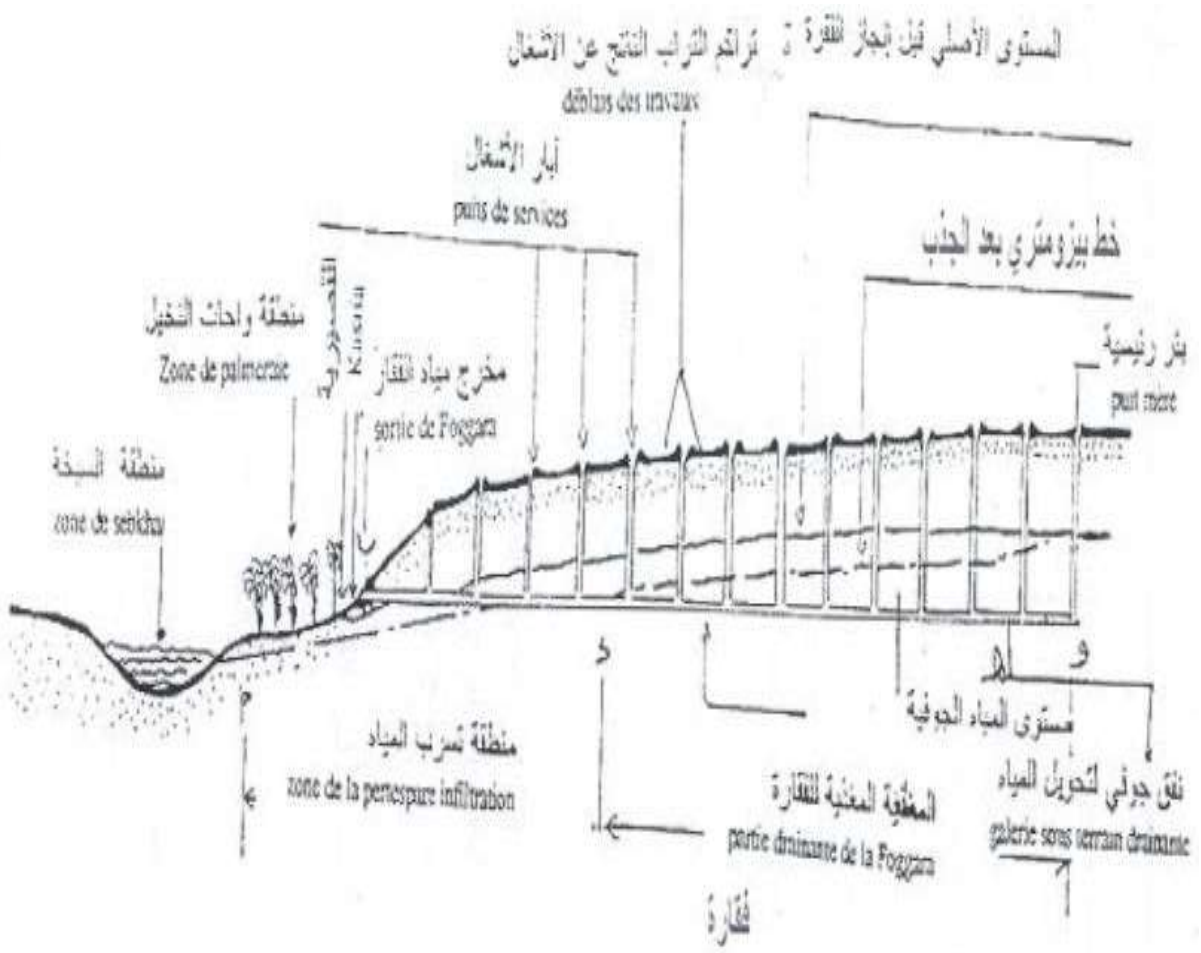

[1] بوفلجة حرمة: الاحكام الفقهية لاستغلال المياه الجوفية وتوزيعها "ادرار انموذجا"، مرجع سابق، ص212

الملحق رقم 08: نموذج شكل السقي بالخطارة[1]

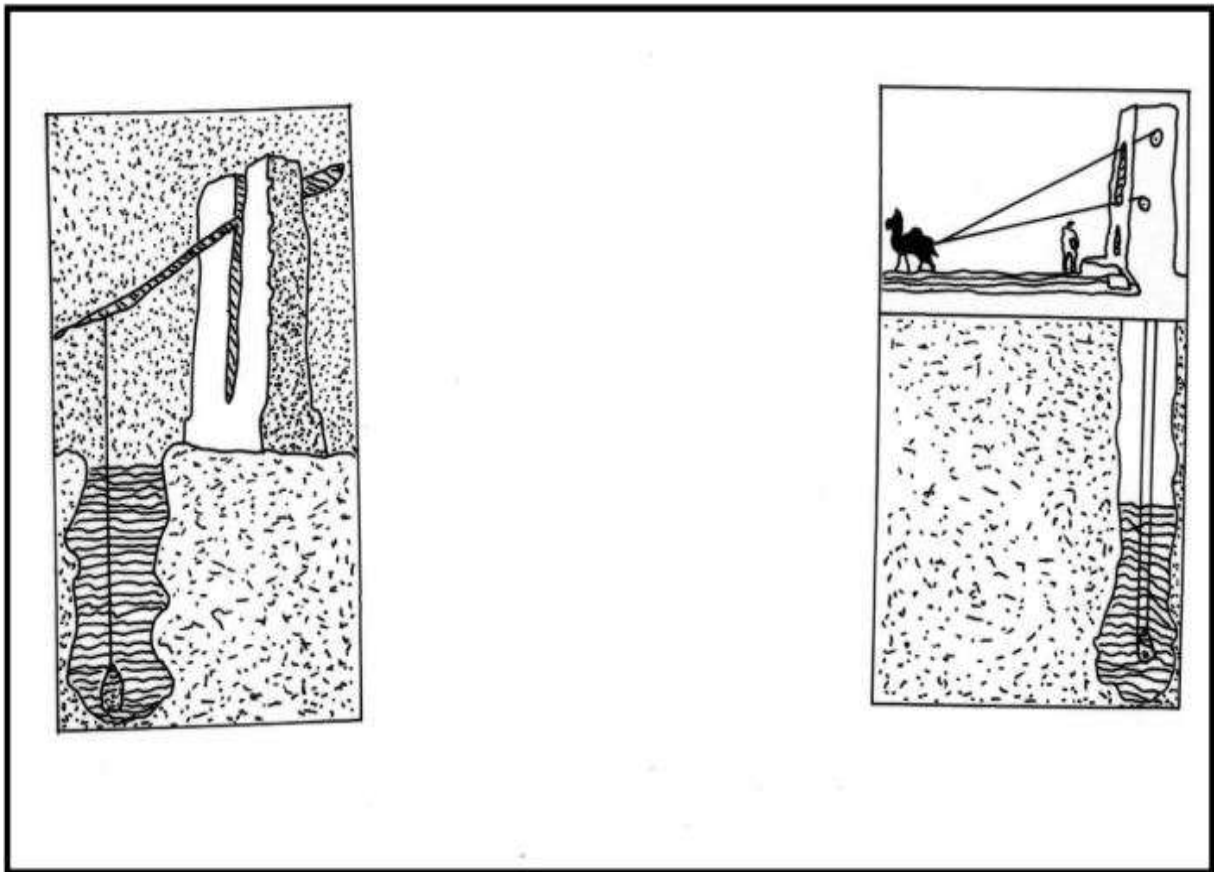

[1] عربية موساوي: مرجع سابق، ص 197

الملحق رقم09: صورة لشكل طقس تاغنجة [1]

81. تاغنجا، «عروس المطر»، وتُتخذ من مغارف خشبية تُغطى بثوب، ويُطاف بها استدراراً للأمطار. تبلبالا (الصحراء الجزائرية).

[1] غابرييل كامب: البربر ذاكرة وهوية، تر عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق للطبع، الدار البيضاء– المغرب، 2014، ص 245.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرءان الكريم برواية ورش عن نافع**

أولا: المصادر المطبوعة

1- ابن خلدون عبد الرحمان ابن محمد: مقدمة ابن خلدون، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، ج1، ط1، بيروت-لبنان، د ت.

2- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، دار الفكر للطباعة، بيروت- لبنان، 2000م.

3- أبو بكر ابن وحشية: الفلاحة النبطية، تح: توفيق فهد الجان، والجاني للطباعة، ط1، ليماسول قبرص، 1993.

4- الإدريسي ابو عبد الله بن محمد الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مج1، القاهرة، مصر، 2002.

5- الأغواطي بن الدين: رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية "رحلات جزائرية" ، تر وتح: أبو القاسم سعد الله، دار المعرفة، الحراش-الجزائر، 2011.

6- البرتلي الحاج البشير: اقدم رحلة شنقيطية مدونة" الرحلة المباركة للحاج محمد البشير البرتلي بن ابي بكر البرتلي الولاتي 1204-1206هـ/1789-1791م" تح: عمرو عبد العزيز منير ، دار بريل ، 2021، متاحة للاطلاع على الموقع :
https://brill.com/view/title/59626، تاريخ الإطلاع 12ماي 2021 على الساعة 21و 52دقيقة

7- البكاي اماهين الشاوي اللاله: الطوارق عبر العصور، تح: اصلاح محمد البخاري حمودة، دار الكتب الوطنية، ط1، بنغازي-ليبيا، 2007.

8- بن بحمان الشيخ ابراهيم: رحلة المصعبي، تح يحي بن بهون الحاج أمحمد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

9- بن طوير الجنة الحاجي الواداني الطالب أحمد: تاريخ ابن طوير الجنة، تح: سيد أحمد بن أحمد سالم، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 1995.

10- بن هطال التلمساني أحمد: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، ط1، القاهرة-مصر، 1969.

11- بيتس "الحاج يوسف"جوزيف: رحلة جوزيف بيتس إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، تر: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1995.

12- الحسني الحجوجي محمد بن محمد: فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، تح: أنور ترفاس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2018.

13- الحضيكي محمد بن أحمد: طبقات الحضيكي، تق وتح: أحمد بومزكو، ج1، دار النجاح، الدار البيضاء، المغرب، 2006م.

14- الحموي ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، مج5، بيروت، لبنان،1977.

15- الدرعي أبو العباس أحمد بن محمد ناصر: الرحلة الناصرية 1709-1710 م، تح: عبد الحفيظ ملوكي، ط1، دار السويدي للنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011.

16- الرصاع أبي عبد الله محمد الأنصاري: شرح حدود ابن عرفة "الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافي"، تح: محمد أبو الأجفان، الطاهر معموري، القسم الأول، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1993.

17- السعدي عبد الرحمن ، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، باريس-فرنسا، 1981.

18- الشرقي محمد الطيب: رحلة ابن الطيب من فاس إلى مكة المكرمة، تح عارف أحمد عبد الغني، دار العراب، دمشق-سوريا، 2014.

19- العدواني محمد بن عمر ، تاريخ العدواني، تح أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005 م.

20- علي بن محمد التمقروتي: التحفة المسكية في السفارة التركية، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة المالكية، الرياض، المغرب، 2002.

21- العوامر إبراهيم الساسي: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تع الجيلالي بن ابراهيم العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977.

22- العياشي عبد الله بن محمد العياشي المكنى أبو سالم: الرحلة العياشية 1661-1663، تح وتق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي، ط1،مج1،أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

23- الغساني الأندلسي محمد: رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تح: نوري الجراح، ط4، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002.

24- الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء، در و تح عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة، المغرب، 1972.

25- قدوري عبد المجيد: ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته "الإصليت الخريت"، منشورات عكاظ، الرباط-المغرب، 1991.

26- القرطبي أبي يوسف عبد الله بن محمد بن عبد البر :كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي، تح: محمد محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض، ط1، الرياض-السعودية، 1978.

27- القيسي "ابن مليح"أبو عبد الله بن محمد بن أحمد: أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تح: محمد الفاسي، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس-المغرب، 1970.

28- كانون الحسني عبد الله: محادي الزقاقية، د م.

29- الناصري أبي عبد الله محمد بن عبد السلام: الرحلة الناصري الكبرى، تح: المهدي الغالي، ج1، دار ابن الرقراق لطباعة والشر، ط1، المغرب، 2013م.

30- الهلالي السجلماسي أبي العباس: التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، تح: محمد بوزيان بنعلي، مطبعة جسور، وجدة، المغرب، 2011م.

31- هورنمان فريدريك: الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان، تع: مصطفى محمد جودة، مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، 1968.

32- الورثلاني الحسين بن محمد: الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مج1،مكتبة الثقافة الدينية، ط1، بورسعيد- مصر، 2008.

33- الوزان الحسن: وصف إفريقيا، ج2، ت: محمد حاجي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

34- اليوسي محمد العياشي بن الحسن: رحلة اليوسي (1101-1102هـ / 1690-1691م)، تح احمد الباهي، مطبعة سوجيم، تونس، 2018.

ثانيا: المراجع العربية

35-أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: تفسير القرءان العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، ج5، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية، 1999.

36-اوبنهايم ماكس واخرون: البدو، تح ماجد شمبر، ج1، دب، دت.

37-بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر، 1989.

38-بحاز ابراهيم وآخرون: معجم اعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت-لبنان، 2000.

39-بروفيل ادوارد: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، ط2، بنغازي-ليبيا، 1988.

40-البغدادي الخطيب: الرحلة في طلب الحديث، تح: نور الدين عنتر، دار الكتب العلمية، ط1، دمشق-سوريا، 1975.

41-بلعالم باي محمد: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والأثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، ج1، دار المعرفة الدولية، ط خ، الجزائر، 2005.

42-بن طاهر الحبيب: الفقه المالكي وأدلته، ج6، مؤسسة المعارف، ط1، بيروت-لبنان، 2009.

43-بنور رشيد: الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830، دار الواحة، الجزائر، د ت.

44-بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1995.

45-بومعزة عبد القادر: بسكرة في عيون الرحالة الغربيين، ج1، دار علي بن زيد، ط1، بسكرة-الجزائر،2016.

46-التازي عبد الهادي: رحلة الرحلات" مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة"، ج1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض- المملكة العربية السعودية، 2005.

47-الجاسر سليمان بن جاسر بن عبد الكريم: صلاة الاستسقاء، مدار الوطني للنشر، ط1، الرياض-السعودية، 2012.

48-جاه شريف عبد الرحمان: لغز الماء في الأندلس، تر: زينب بنياية، كلمة للطبع، ط1، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2014.

49-الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، ج1، بيروت،لبنان، 1980.

50-حجي محمد: نظرات في النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر، ط1، المغرب، 1999.

51-حساني مختار: الحواضر والأمصار الإسلامية الجزائرية، ج5، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2011.

52-حفناوي بعلي: الرحلات الحجازية المغاربة (المغاربة الأعلام في البلد الحرام) ، دار اليازوري، الأردن، 2018م.

53-حمادي الإدريسي عبد الله: الإختصار من تاريخ قصر بشار وما جاوره من القصور والديار، دار الكتاب الملكي، ط1، واد السمار-الجزائر، 2013.

54-حميش عبد الحق: فقه النوازل في الغرب الإسلامي، أعمال الملتقى الحادي عشر للمذهب المالكي بعنوان الفقه والحياة والمجتمع من خلال موسوعة المعيار المعرب للونشريسي، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015.

55-حوثية محمد: توات والأزواد خلال القرنين 12-13هـ/18-19م، دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.

56-الديناصوري جمال الدين وآخرون: جغرافيا العالم، ج2، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، د ت.

57-ذهينة نصيرة: مدخل إلى فقه النوازل، أعمال الملتقى الدولي السادس للمذهب المالكي بعنوان "فقه النوازل في الغرب الإسلامي"، وزارة الشؤون الدينية، عين الدفلة-الجزائر، 2010.

58-الراشدي عبد العالي سعد: صلاة الاستسقاء، د م.

59-الزركلي خير الدين: الأعلام، ج6، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، لبنان، 2002.

60-الساعاتي حسن: علم الاجتماع الخلدوني" قواعد المنهج"، دار النهضة، ط1، بيروت-لبنان،1972.

61-سراج أحمد: حول استمرارية أحد مظاهر الديانات المائية في مغرب العصر الوسيط، ضمن ندوة الماء في تاريخ المغرب، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة عين الشق، المغرب، 1999.

62-سعد الله أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1990.

63-سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت-لبنان، 1993.

64-سعد الله أبو القاسم: تجارب في أدب الرحلة، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.

65-سعد الله أبو القاسم: مجموع رحلات جزائرية رحلة ابن الحاج الدين الأغواطي، طبعة خاصة، المعرفة الدولية للنشر، الجزائر، 2011.

66-سعيدان الحاج تومي: سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس، دار هومة، الجزائر، 2005.

67-سماعيلي مولاي عبد الله: الفقارة وآليات توزيع الماء بتوات" النشأة والتطور"، ج1، دار الكلمة، ط1، أدرار-الجزائر، 2017.

68-الشامي صلاح الدين: الرحلة عين الجغرافية البصرة، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية-مصر، 1997.

69-الشاهدي الحسن: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، ج1، منشورات عكاظ، الرباط، 1990.

70-الصعيدي عبد اللطيف: تعريف الرحلة، الدار العربية للكتاب، ط1، مصر، 1996.

71-صيد عبد الحليم: ابحاث في تاريخ زيبان بسكرة، مطبعة سوف، ط1، الوادي-الجزائر، 2000.

72-العبدة محمد: البداوة والحضارة "نصوص من مقدمة ابن خلدون"، ط1، المنتدى الاسلامي، لندن، 1993.

73-العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

74-عمراوي حميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2009.

75-الغاشي مصطفى: الرحلة المغربية والشرق العثماني"محاولة في بناء الصورة"، الانتشار العربي، ط1، بيروت، لبنان، 2015.

76-الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، ط1، ج6،بيروت-لبنان،1982.

77-الغزالي أبي حامد: المستصفى من علم أصول الفقه، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1997.

78-فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18-19م، ديوان المطبوعات الجماعية، بن عكنون، الجزائر، 1977.

79-فيرون ريمون: الصحراء الكبرى، تر جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب، مصر، 1963.

80-قادري عبد الحميد إبراهيم: واد ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية "دراسة تاريخية"، ج1، دار الأوطان، ط1، سيدي موسى، الجزائر، 2013.

81-القرشي سليمان: الماء في الرحلات الحجية المغربية بين الحقيقة والرمز، كتاب جماعي بعنوان السودان وإفريقيا في مدونات رحالة الشرق والغرب، أبحاث ندوة العرب والمسلمين بالخرطوم-السودان، دار السويدي للنشر، ط1، أبو ظبي-الإمارات العربية المتحدة، 2006.

82-قنديل فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الإسكندرية، ط8، القاهرة-مصر، 2002.

83-كامب غابرييل: البربر ذاكرة وهوية، تر عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق للطبع، الدار البيضاء- المغرب، 2014.

84-الكرخي ابن بكر محمد بن الحس: أنباط المياه الخفية، دائرة المعارف العثمانية، ط1، حيدر أباد، الهند، 1940.

85-كروم عبد الله: الرحلات بإقليم توات " دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات"، دار دحلب للنشر، الجزائر، 2007.

86-لعروق محمد الهادي: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى ،الجزائر، 2009.

87-المحداد الحسن: الماء والإنسان بحوض السوس، تق: حسن بن حليمة، مطبعة المعارف الجديدة، ط1، الرباط-المغرب، 2003.

88-محمد خميس الزوكة: جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996.

89-محمود حسين حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، ط2، بيروت-لبنان، 1983.

90-المدني أحمد توفيق: جغرافية القُطر الجزائري، مطبعة الشريف، تونس، 1948.

91-المدني احمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

92-المدني أحمد توفيق: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

93-المدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د ت.

94-مقدم مبروك: الفقارة في قصور توات وأحوازها "المنشأة والتعريف"، ديوان المطبوعات الجامعية، ج3، الجزائر، 2016.

95-المنوني محمد: من حديث الركب المغربي، مطبعة المخزن، تطوان-المغرب، 1953.

96-الموافي ناصر: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط1، مكتبة الوفاء، القاهرة-مصر، 1995.

97-مياسي إبراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934)، دار هومة، الجزائر، 2005.

98-مياسي إبراهيم: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1918، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.

99-نواب عواطف بنت محمد يوسف: كتب الرحلات في المغرب الأقصى من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11و12هـ، دار الملك عبد العزيز، الرياض-السعودية، 2003.

100- يوان جوزيف: الإسلام في ممالك و امبراطوريات إفريقيا السوداء، تر. مختار السويفي، دار الكتاب المصري، القاهرة، دت.

ثالثا: المراجع باللغة الاجنبية

101. Augustin Bernard : « Sahara Algérien et Sahara Soudanais », Annales de géographie, T.19, N°.105, 1910, p 261.
102. Michèle Salinas : Voyages et voyageurs en Algérie, 1830-1930
103. Numa Broc : « les Français face à l'inconnue Saharienne (géographes, explorateurs, ingénieurs 1830-1881) », Annales de géographie , T.96, N°.535, 1987.
104. R.Furon : le Sahara (géologie, ressources, minérales, mise en valeur), Payot , Paris , 1957.

رابعا: المعاجم والقواميس

105.ابن منظور أبو الفضل: لسان العرب، دار صادر، مج4، بيروت، لبنان، 1997.

106.أبي الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة العربية، تح: محمد عبد السلام هارون، ج3، دار الفكر، د د ب ن، 1978.

107.أنيس إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، مصر، 2004.

108.بيار جورج: معجم المصطلحات الجغرافية، تر: محمد الطفيلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان، ط2 ،2002م.

109.الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان، 1986.

110.الفيروز أبادي محمد يعقوب: القاموس المحيط، تح: أنس محم الشامي، دار الحديث، القاهرة–مصر، 2007.

111.قنيبي حامد صادق: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط1، بيروت–لبنان، 1985.

112.مختار عمر أحمد وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، مج1، القاهرة، مصر، 2008.

خامسا: المقالات والدوريات

113.آل سيد الشيخ سعاد: رحلة عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي "نموذج للرحلة الحجية النظمية خلال القرن 11ه/17م"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع20، 2014م.

114.الأهدب رضوان: الرحلات الحجازية" رحلة أبي عبد الله الحضيكي أنموذجا"، مجلة مدارات تاريخية ، مج04، ع04، 2019م.

115.بالحميسي مولاي: مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، ع41، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1977م.

116.بكاي عبد المالك: العمل الزراعي في أرياف الغرب الإسلامي خلال نهاية العصر الوسيط، المجلة التاريخية الجزائرية، ع4، 2017م.

117.بكوش فافة: أبو عبد الله المقري التلمساني "السيرة والإنتاج الفكري"، مجلة كان التاريخية، مج09، ع33، 2016م.

118.بلبروات بن عتو:الباي محمد الكبير –باي وهران 1779–1797حياته و سيرته ، مجلة عصور، مج02، ع 03، 2003م.

119.بلهواري فاطمة: وصف الجنوب الصحراوي في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط رحلة أبي العباس الهلالي السجلماسي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج06، ع07، 2010م.

120.بن صغير يمينة حضري: سياسة التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطقة وادي ريغ، مجلة الواحات، مج7، ع2، 2014م.

121.بن عميرة محمد: الآبار وطرق استغلالها ببلاد المغرب في العصر الوسيط، مجلة جامعة الجزائر، ع03، 2013م.

122.بن قايد عمر: منطقة الأغواط وجوارها من خلال رحلة ابي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي"قراءة اجتماعية ثقافية"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية، مج09، ع01، 2018م.

123.بن قومار جلول: هاجس الأمن عند ركب الحج المغاربة، مجلة الحوار المتوسطي، مج12، ع13، جامعة سيدي بلعباس، 2017م.

124.بن معيزة محمد شرعي: السياسة العثمانية اتجاه الصحراء الجزائرية بين التمدد والانحصار "منطقة وادي ريغ انموذجا"، الملتقى الدولي الثاني بعنوان السياسة العثمانية بين المجال البحري والصحراوي بالمنطقة المغاربية في العصر الحديث والمعاصر، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط، 2019م.

125.بوسعد الطيب: الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني "وادي ريغ انموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، 2011م.

126.بوسعيد أحمد: طريق الصعاليك في روايات الرحَّالين المغاربة خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، عن مؤتمر البحوث والدراسات الإفريقية، مؤتمر طرق الحج بإفريقيا، السودان، 2016م.

127.بوسليم صالح ، بالحاج اوزايد: تجارة القوافل ين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء خلال العهد العثماني ودورها الحضاري، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع2، جامعة غرداية، 2017م.

128.بوسليم صالح ، علوان عبد القادر: تجارة القوافل الصحراوية بين الجزائر وطرابلس الغرب على العهد العثماني، مجلة الحوار المتوسطي، مج8، ع2، جامعة سيدي بلعباس.

129.بوعنينبة احمد: طبائع سكان المغرب الأوسط من خلال كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزان، مجلة الدراسات التاريخية، مج 20، ع01، 2019م.

130.بوفلجة حرمة: من الموارد المائية الجوفية في أدرار الجزائرية "الفقارة" نظام كيلها وسوقها المائية، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية، مج4، ع2، 2015م.

131.بوكرابيلة الزهراء: إقليم توات بين التعريف والتأليف، مجلة الفرطاس، ع03، 2017م.

132.تريعة سعيد: الإنسان والماء في أطراف الصحراء ما بين القرنين (2- 6م) بين النصوص الأدبية والشواهد الأثرية، مجلة التعليمية، مج5، ع15، 2018م.

133.تياقة الصديق: الفقارة ودورها في الإستطان البشري وهيكلة البناء الإجتماعي في القصر من خلال نظام الخراصة، مجلة الخلدونية، مج6، ع01، 2016م.

134.جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية "دراسة في الجغرافيا"، مجلة البحوث والدراسات، ع14، 2017م.

135.جعبل أسامة الطيب ، عبد الشكور نبيلة: الزراعة في اقليم الزاب في العصر الوسيط من خلال كتب الرحلة والجغرافيا، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، ع02، 2020م.

136.جعفري مبارك: الدور التعليمي للزوايا والطرق الصوفية في إقليم توات بالجنوب الغربي خلال القرن 12ه/18م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، 2011م.

137.جعيل أسامة الطيب: حواضر إقليم الزاب الكبرى غفي العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا البلدانية" دراسة تاريخية"، مجلة مدارات تاريخية، مج01، ع01، 2019م.

138.حاج بن فطيمة فتيحة: القيم التاريخية لكتب الرحلات، "رحلة ابن جبير والطهطاوي أنموذجا"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج2، ع1، 2019م.

139.حاج عيسى إلياس: مصادر المياه والنشاط الفلاحي في واحات المغرب الأوسط "ورجلان أنموذجًا"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج09، ع02، دت.

140.حفيان رشيد: امن القوافل بين البلدان المغاربية خلال العهد العثماني، مجلة كان التاريخية، ع27، 2015م.

141.حمودا حنان: الماء كمنشط انتربولوجي لإنتاج الطقوس بواحة سكورة جنوب المغرب، مجلة إضافات، ع 33- 34، 2016م.

142.حميد ايت حبوش: الرحلة وكتابة تاريخ بلاد المغرب" رحلة التمقروتي انموذجا"، مجلة الحوار المتوسطي، مج06، ع02، دت.

143.دجاج فاطمة: الإجراءات الجبائية والمالية العثمانية في الصحراء الجزائرية "منطقة الأغواط أنموذجا"، مجلة دراسات تاريخية، مج08، ع01، 2020م.

144.دجاج فاطمة: العلاقات الإقتصادية بين القبائل البدوية والقصور بمنطقة الأغواط بداية القرن19م، المجلة التاريخية

145.دوامي عبد القادر جلول: أعلام آداب الرحلات المغربية (رحلة الأمين الشنقيطي إلى الحج)، مجلة تاريخ العلوم، جامعة الجلفة، ع06، 2017م.

146.الدين قادة: أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر التاريخية، مجلة قضايا التاريخية، ع7، 2017م.

147.ذكار أحمد: مدينة ورقلة التسمية والتأسيس "دراسة تاريخية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع17، 2014م.

148.رافع يونس محمد: المغارسة في أرض الوقف "دراسة مقارنة في الفقه الإسلامي"، مجلة الرافدين للحقوق، مج15، ع52، 2011م.

149.رايس رشيد: الصحراء لدى الكتاب الفرنسيين خلال القرن 19، مجلة الآداب، ع7، د ت.

150.ربوج عبد القادر: الرحلة ودورها في التواصل الثقافي بين الجزائر والشرق العربي قبل ق17، مجلة البحوث والدراسات، مج15، ع01، 2018م.

151.رزايقية فاطمة، بن معمر بوخضرة: الماء والأرض والمرأة ودلالات الخصوبة من خلال طقوس الاستمطار، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مج16، ع1، 2020م.

152.زياني الصادق: الطوبونيميا ببلاد الزاب "دراسة في المواقع المرتبطة بالماء والتضاريس: الهيدرونيم والاورونيم"، المجلة التاريخية الجزائرية، مج04، ع1-2، 2020م.

153.ساقني محمد: عوامل اندثار الفقارة بقصور منطقة عين صالح بالتيديكلت الشرقية، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج3، ع1، 2007م.

154.سياب خيرة : رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة بـ(الرّحلة الأغواطية) "دراسة : طبيعية، اقتصادية، اجتماعية، عمرانية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع13، 2015م.

155.شاشي عبد القادر: العقود الإسلامية الممكنة لتمويل الزراعة، محاضرة ألقيت بمؤتمر هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات والتمويل الإسلامي، البحرين، 8 ماي 2012م.

156.شترة خير الدين : المبادلات التجارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي والسودان الغربي مجلة كان التاريخية، ع33، 2016م.

157.الصافي محمد: أهمية كتب الرحلات كمصدر في تدوين التاريخ "رحلة ابن بطوطة انموذجًا"، مجلة آفاق للعلوم، مج5، ع4، 2020م.

158.طرطاق الوردي: أنظمة الري التقليدية في الزراعة الصحراوية "إقليم وادي ريغ انموذجا"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع32، 2015م.

159.علا حمو عمر ، هلال عبد المجيد: أهمية الحفاظ على الخطارات وإمكانية إدماجها في سيرورة البناء الترابي بواحة تودغا المغرب، مجلة مدارات تاريخية، مج1، عدد خاص أهمية الحفاظ على الخطارات، 2019م.

160.العماري الطيب: النخلة في البيئة الصحراوية "قيمة إقتصادية ورمزية سوسيوثقافية"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، 2011م.

161.عمرو عبد العزيز منير، عبد الرحمان بن محمد با عثمان: طريق ركب الحج الشنقيطي من خلال رحلة الحاج البشير بن الحاج أبي بكر بن الطالب محمد بن الطالب عمر البرتلي المتوفي سنة 1800م، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، مصر، 2016م.

162.الفقيقي محمد الكبير: الدور الاجتماعي والاقتصادي للقوافل التجارية الحجية بالصحراء الجزائرية أثناء الفترة الحديثة، مجلة دراسات، الجزائر، مج04، ع02، 2015م.

163.الفقيقي محمد: حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع09، 2014م.

164.قاضي فتيحة: ورجلان وأثرها في نشر الإسلام ببلاد السودان الغربي ما بين القرن 2-3هـ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، جامعة تيارت، مج6، ع1، جانفي 2020م.

165.كراز فوزية: مسالك الحجاج المغاربة من خلال بعض الرحلات المغربية "الرحلات الحجازية"، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، الجامعة الإفريقية العالمية، السودان، 2016م.

166.كعبوش بومدين، بن مويزة إبراهيم: طريق الحج المغاربي من خلال رحلة ابن مليح السراج، مجلة دراسات وأبحاث، مج12، ع1، 2020م.

167.محسن زبيدة ، النمر محمد الخطيب: الموارد المائية عامل أساسي للتنمية المحلية في الحوض الهيدروغرافي للصحراء الجزائرية، مجلة العلوم الإنسانية، ع47، 2017م.

168.محمد ساقيني: الفقارة تراث أثري مندثر بقصور عين صالح بتديكلت، مجلة آفاق علمية، مج9، ع2، 2017م.

169.مشوشة سمير: ابن حمادوش وأبو راس الناصري يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن18م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات، مج03، ع04، 2017م.

170.نواري عبد القادر: مدينة عين ماضي من خلال الرحلات الحجازية المغربية في القرنين 11-12هـ، مجلة الباحث، مج11، ع04، 2020م.

171.نويصر مصطفى ، دهان سليمان: تنظيم ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري، مجلة أفكار وآفاق، ع9، 2017م.

172.هرباش زاجية: الصحراء الجزائرية في كتابات المستشرقين الفرنسيين "دوماس انموذجا"، مجلة عصور الجديدة، ع6، 2012م.

173.الهطاي علي: الجغرافية التاريخية لبلاد الزاب من الفتح إلى منتصف القرن 5هـ/11م "دراسة في تطور المجالات والمواقع"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع12، 2017م.

سادسا: الأطروحات والرسائل الجامعية

أ- الأطروحات

174. بلحاج ميلود: الحرف والفنون الشعبية بمنطقة توات، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص ثقافة شعبية، إشراف بالحاج معروف، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 2018- 2019م.

175. بناهض عبد الكريم: القيمة اللغوية للرحلات المغاربية المجازية ودورها في التواصل الحضاري مع المشرق "رحلة العياشي أنموذجًا"، أطروحة دكتوراه، تخصص الدراسات اللغوية في ضوء التواصل الحضاري، إشراف: والي داده عبد الكريم، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 2017-2018م.

176. بوتدارة سالم: الحركة العلمية بالجنوب الجزائري خلال العهد العثماني على ضوء المصادر المحلية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: حنايفي هلايلي، جامعة سيدي بلعباس، 2015-2016م.

177. بوسعيد أحمد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث

والمعاصر، إشراف: محمد الصالح حوتية، جامعة أحمد دراية، أدرار-الجزائر، 2017-2018م.

178. جعفري أمحمد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتدكلت خلال ق13هـ/19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ معاصر، إشراف عبد الرحمن بعثمان، جامعة احمد دراية أدرار، الجزائر، 2019-2020م.

179. دجاج فاطمة: مجتمع الأغواط خلال القرن 19م-13هـ من خلال الكتابات الفرنسية "دراسة تاريخية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، اشراف: محمد عبد الرؤوف ثامر، جامعة حمة لخضر، الوادي- الجزائر، 2018-2019م.

180. ذكار أحمد: الروابط الاجتماعية والاقتصادية بين وارجلان ووادي ميزاب في العصر الحديث 960-1270هـ/1552-1854م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف: مختار حساني، جامعة ابو القاسم سعد الله، الجزائر، 2015-2016م.

181. روباش جميلة: أدب الرحلة في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، تخصص الأدب الجزائري القديم، إشراف، امحمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، 2014-2015م.

182. شافو رضوان: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الإستعماري "ورقلة انموذجا 1844-1962م"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: تلمساني بن يوسف، جامعة الجزائر، 2011-2012م.

183. قصباوي عبد الخالق: أصول الاستنباط الفقهي في النوازل التوتاية "فتاوى الشيخ عبد الكريم البلبالي انموذجًا"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص: فقه وأصول، إشراف: محمد ذباغ، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2015-2016م.

184. لخضر العربي: واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633-962هـ-1235-1554م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص: تاريخ وسيط إسلامي، إشراف: محمد بن معمر، جامعة أحمد دراية-أدرار، 2017-2018م.

185. موساوي عربية: الفقارة بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع "دراسة تاريخية أثرية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص الآثار الإسلامية، إشراف: لعرج عبد العزيز، جامعة الجزائر، الجزائر، 2007م.

186. هرباش زاجية: الوضع الاقتصادي في إقليم توات من مخطوط الغنية في القرنين 12-13هـ/18-19م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص التاريخ الحديث، إشراف: بن نعيمة عبد المجيد، جامعة وهران، 2011-2012م.

ب- رسائل الماجستير

187.الأزهاري عباز: نظام المشيخة في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال "1603-1884م"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، خصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف: عاشوري قمعون، جامعة حمة لخضر، الوادي-الجزائر، 2013-2014م.

188.بوفلجة حرمة: الأحكام الفقهية لاستغلال المياه الجوفية وتوزيعها، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الفقه والأصول، اشراف نور الدين طوابة، جامعة أحمد دراية أدرار-الجزائر، 2007-2008م.

عليوش وسيلة: الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها منشآتها إستغلالها من القرن 1 هـ إلى نهاية القرن 6 هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف إبراهيم بحاز، جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2012-2013م.

190.العبادسة عبد العزيز: الماء في القرءان الكريم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تفسير علوم القرءان، اشراف مروان محمد ابو راس، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 2002م.

191.دواس أحسن: صورة المجتمع الصحراوي في القرن 19م من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الأدب المقارن، إشراف الأخضر عيكوس، جامعة منتوري، قسنطينة- الجزائر، 2007-2008م.

192.دعاشي سميرة: الإهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية وإفريقيا الغربية ما بين 1850 -1945م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف دة فلة موساوي القشاعي، جامعة غرداية، 2014-2015م.

193.بن زهير بن معيض الشهري هزاع: أحكام آبار المياه في الفقه الإسلامي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص فقه، إشراف: محمد بن منصور مدخلي، جامعة الملك خالد، السعودية، 2011م.

194.الطار خيرة: الرحلة والرحالة في الدولة العثمانية VOLNY أنموذجا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الدولة العثمانية والمشرق العربي، إشراف: نادية طروش، جامعة الجزائر، 2012-2013م.

195. دحمون منى: قصر بوسمغون بولاية البيض" دراسة اثرية تحليلية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص الآثار الاسلامية، اشراف: علي حملاوي، جامعة الجزائر، 2004-2005م.

196.حفيان رشيد: الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: خليفة حماش، جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة، 2013-2014م.

197.ذكار أحمد: حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي 1000-1310هـ/1591-1883م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، إشراف: محمد حوتيه، جامعة أحمد دراية-أدرار، الجزائر، 2009-2010م.

198.جراية محمد رشدي: الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث 6100-1000 ق.م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ الحضارات القديمة، إشراف: عبد العزيز بلحرش، جامعة منتوري، قسنطينة–الجزائر، 2007-2008م.

199.آل سيد الشيخ سعاد: رحلة المجاجي "دراسة وتحقيق"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص الحضارة الاسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2007-2008م.

200.بوسليم صالح: الصناعات التقليدية بمنطقة تيديكلت صناعة الفخار والجلود نموذجا" دراسة ميدانية فنية اثنوغرافية"، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص الفنون الشعبية، اشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، الجزائر،2001-2002م.

201.سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هـ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: بودواية مخبوث، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان–الجزائر، 2011-2012م.

202.بوسعيدأحمد: الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص التاريخ المغاربي الاجتماعي والثقافي، إشراف: محمد حوتية، جامعة أحمد دراية، ادرار–الجزائر، 2011-2012م

203.قومي محمد: دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين 9-10هـ/15-16م، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص الدين والمجتمع، إشراف: غازي الشمري، جامعة وهران، وهران –الجزائر، 2013-2014م.

204.حوتية عفيفة: حاضرة تيجورارين "دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية خلال القرن 13-19م"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، إشراف: عبد الكريم بوالصفصاف، جامعة أحمد دراية–أدرار، 2014-2015م.

205.عميور سكينة: ريف المغرب الأوسط في القرنين (6-5هـ/11-12م) "دراسة إقتصادية واجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: تاريخ الريف والبادية، إشراف: إبراهيم بكير بحاز، جامعة قسنطينة، 2012-2013م.

206.حامد إبراهيم لمين: التبادل التجاري بين إفليمي توات والسودان الغربي وأثره الاجتماعي والثقافية 999-1317هـ/1591-1900م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث ومعاصر، إشراف محمد حوتية، جامعة غرداية، 2016م.

ث- المذكرات

207.بوهدي سهيلة: عادات المجتمع المغاربي بين الموروث المحلي البربري والمؤثرات العربية الوافدة، مذكرة لنيل شهادة ماستر، تخصص: الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف: حفيظة لعياضي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م.

208.دحو عامر: الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية في القرنين 11-12هـ/17-18م، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ المغرب الحديث، إشراف: قريزة ربيعة، جامعة غرداية، الجزائر، 2019-2020م.

209.دهيمي مريم: صورة الجزائر من خلال كتب رحالات المغاربة في العهد العثمانية "رحلة أبو سالم العياشي انموذجًا"، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م.

210.غضبان فاطمة الزهراء: مدن إقليم الزاب من خلال الكتب الجغرافية (النشأة والتطور والاندثار ق8هـ/14م)، مذكرة لنيل شهادة ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي، إشراف: جمال مجذوب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018-2019م.

211. قرايفة بشيرة، رجاء تواوة، البعثات الإستكشافية الفرنسية للصحراء الجزائرية خلال القرن 19م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، إشراف عاشوري قمعون، جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي، 2016-2017.

سابعا: المواقع الالكترونية:

212.موقع قانون العرب: https://www.law-arab.com ، تاريخ الاطلاع يوم 25 آفريل 2021 على الساعة 18و22 دقيقة.

213. فاطمة الزهراء الذبياني: الماء بين الخرافة والكرامة من خلال بعض النصوص التاريخية للمغرب، موقع أنفاس نت:https://www.anfasse.org، تاريخ الإطلاع يوم: 2021/04/04، على الساعة: 22و41دقيقة .

214.موقع المحول الإلكتروني: https://www.econverter.net، تاريخ الاطلاع يوم 24مارس2021 على الساعة 20 و16 دقيقة.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

مقدمة.....أ

الفصل التمهيدي: مفاهيم عامة

المبحث الأول: جغرافية الصحراء الجزائرية 8

أولا: أصل تسمية الصحراء:.....8

ثانيًا: الموقع الجغرافي والفلكي 10

ثالثًا: التضاريس والمناخ.....12

رابعًا: التركيبة البشرية في الصحراء الجزائرية.....15

المبحث الثاني: الماء وأهميته 16

أولا: مفهوم الماء 16

ثانيًا: الدورة المائية 19

ثالثًا: أهمية الماء 20

المبحث الثالث: ماهية الرحلة 22

أولا: مفهوم الرحلة.....22

ثانياً: أنواع الرحلات 27

ثالثًا: أهمية الرحلة في كتابة التاريخ.....33

الفصل الأول: الماء في الرحلات الحجازية

المبحث الأول: مسالك الرحلات الحجازية بالصحراء الجزائرية 38

أولا: الطريق العرضاني الأوسط "شمال الصحراء الجزائرية" 39

ثانيًا: الطريق العرضاني الجنوبي.....45

ثالثًا: طريق الركب الشنقيطي 51

المبحث الثاني: مصادر الماء في الرحلات الحجازية 54
أولا: الآبار 55
ثانيًا: الأودية 60
ثالثًا: مصادر أخرى 65
المبحث الثالث: دور الماء في الرحلات 66
أولا: دور الماء في تحديد المسالك 66
ثانيًا: تأثير الماء في نفسية الحاج 69
ثالثًا: علاقة الدليل والقربة بالماء في الرحلة 72
الفصل الثاني: الماء في الحواضر الصحراوية الجزائرية
المبحث الأول: الماء بأبرز الحواضر والمراكز بالطريق العرضاني الأوسط 77
أولا: بوسمغون 77
ثانيا: عين ماضي والأغواط 80
ثالثا: إقليم الزاب 84
المبحث الثاني: الماء في أهم الحاضر والمراكز بالطريق الجنوبي الصحراوي 87
أولا: إقليم توات 88
ثانيا: أهم الحواضر والمراكز بالمسلك العلوي 92
ثالثا: أهم الحواضر والمراكز بالمسلك السفلي 98
الفصل الثالث: مظاهر تأثير الماء في الصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية
المبحث الأول: تأثير الماء في الزراعة 103
أولا: الفلاحة في الصحراء الجزائرية 104
ثانيًا: طرق السقي 108
ثالثًا: طرق استغلال الأراضي الفلاحية 113
المبحث الثاني: تأثير الماء في الحياة العامة بالصحراء الجزائرية 116
أولا: العادات والطقوس الدينية المتعلقة بالماء: 116

ثانيًا: دور الماء في استقرار المجتمعات 119
ثالثًا: تأثير الماء في الأوضاع الاقتصادية بالصحراء الجزائرية 121
المبحث الثالث: نوازل فقهية متعلقة بالماء بالصحراء الجزائرية من خلال الرحلات الحجازية 122
أولا: مفهوم النوازل الفقهية 123
ثانيًا: نازلة بيع ماء الفقارة 125
ثالثًا: نازلة الحلف بتحريم الزوجة إن لم تسقي الماء 126
خاتمة 129
الملاحق 132
قائمة المصادر والمراجع 142
فهرس المحتويات 165
ملخص: 171

ملخص:

– ملخص باللغة العربية:

كانت الصحراء الكبرى عامة والصحراء الجزائرية مجهولة لدى الكثير، وكانت تطلق عليها عدة مسميات مثل "موحشة، آهلة"، فجاءت الرحلات في الفترة الحديثة وتفند ما قيل عنها، وأماطت اللثام عن هذا الفضاء الواسع، وقد تميزت الفترة الممتدة مابين القرنين (12-11هـ/17-18م) بكثرة الرحلات البرية المارة عبر الصحراء الجزائرية باتجاه الحجاز قصد أداء فريضة الحج، وذكرت مؤلفات الرحالة معلومات هامة عن الصحراء الجزائرية وعن المسالك والمناطق التي مروا بها، كما جاء ت غنية بذكر معاطن الماء وأنواعه وكيفية استخراجه، وتطرق بعض الرحالة إلى مسائل فقهية حول الماء.

تنوعت مسالك الرحلات بالصحراء حسب الطبيعة الجغرافية لكل مسلك، كما تأثرت المسالك بوفرة وقلة مصادر الماء بها، فتقل مصادر الماء كلما توغلنا جنوبا وسط الصحراء الجزائرية.

الكلمات المفتاحية:الصحراء الجزائرية، الماء، الرحلات، مسالك الرحلات، مصادر الماء.

- English summary:

The Sahara was in general, and the Algerian desert was unknown to many, and it was called by several names such as “loose, inhabited.” The trips came in the modern period and refuted what was said about it, and revealed this wide space, and the period between the two centuries (11-12 AH/ 17-18 AD) by the large number of land trips passing through the Algerian desert towards the Hijaz in order to perform the Hajj. The traveler’s books mentioned important information about the Algerian desert and about the paths and regions they passed through, as it came to be rich in mentioning water sources, types and how to extract it, and some travelers touched on doctrinal issues around the water.

The paths of trips in the desert varied according to the geographical nature of each path, and the paths were also affected by the abundance and lack of water sources by them, so the water sources became less as we moved south in the middle of the Algerian desert.

Key words: Algerian desert, water, excursions, trekking routes, water sources.